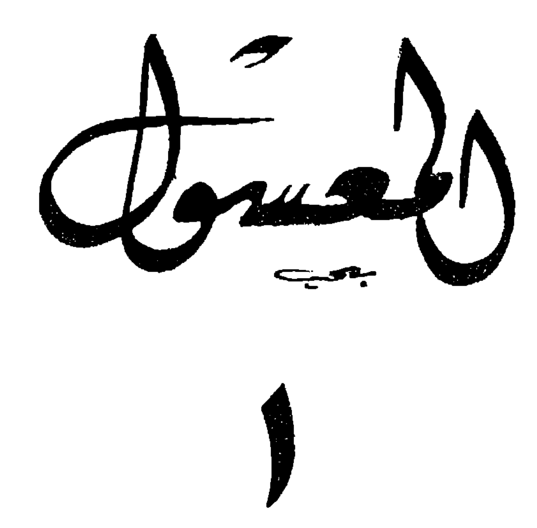


محمد المختار السوسي



المغرب

مقدمة

بين الامس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففى كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. أو أفول معروف كأن لم يكن فى يوم ما جديدا. فما يألفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوفا. وهذا ما يراه الانسان فى نفسه. فيكون فى كهولته غيره فى شبيبته فكرا وذوقا ورغبة فى شىء أو رغبة عنه؛وهى اطوار جبلت عليها هذه الحياة. سنة الله فى الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا

والتحول فى الهيأة الاجتماعية فى غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء حتى لا يكاد يفطن له الا الامعيون ؛ حتى جاء هـذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال فى طرفة عين. خصوصا فى بعض الاقطار كقطرنا هذا الذى هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتا؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمس

انـا اليوم فى (المغرب) لفى عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى أن يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا.فقد شاهدنا كل شىء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا فى بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأى لون. كنـا فى دين وفى عادات وفى هيئات وفى افكـار وفى مقاييس وفى اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما ألفناه على خطمستقيم.

أمس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجري الى أن ادركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر

أمس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا ممن له من ارث هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام الى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار

أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التأثيث وفي هيأة الجلوس وفي اقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هيأة اجتماعية توافقنا لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل ـ فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا ودينا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عيناء ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحياها في أمسنا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذا هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشأ في محل خاص في عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول في عهد قصير الى مغرب آخر يغاير كل ما كنا نعرفه معروفا منه في الامس. فاذا بأمثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرخ شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر أخذ ما لا بد من اخذه من أساليب الحضارة ونظمها وعلومها — لان الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها — ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا في التحول السريع الذى لم يراع فيه — حسب انظارنا نحن المسنين — حكمة ما بين التفريط والافراط؛ فنحاول ان نجمع بين محاسن أمس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التى اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفريط في المثل العليا التى لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفريط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التى هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلغة رسميةحتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجرى. وليت شعرى لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التى استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هى اللغة الوحيدة في البلاد

ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهى دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي.

لان الجالسين منهم على العرش عرب اقحاح. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله أن لا يطول

الغـــــد

نحن نوقن انه سياتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحيـة من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان نهم من سياتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحـق في سفح الاطـــلس الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلمـاء الادبـاء العظام؟ فلم أقع على أي أثر فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قراته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها. فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقـــلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كأدوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطـة وتاتلت والمعدر وتادرارت واسرير وتاكوشت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لايزال فيها رمق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنىوأنا اذذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو أجد فراغا لمايختمرفي نفسي حتى أؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث الزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ). وحين لم أجد من اخالط الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رآني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتبا؛ فهيىء لنا كتابا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكيدشت الذى الفه العربى المشرفي الفاسي؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشترطت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 في الالغيين العلماء والرؤساء

5 في اساتذتهم كالجشتيميين والادوزيين والتيمكدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتيين والاقاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والحضيكيين والتادرارتيين والناصريين والوهداويين الاساويين

6 في الاخذين عن زاويتهم كالاكراريين والمحجوبيين والكرسيفيين والمعدريين والركنيين والتاتلتيين

3 في اصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤسا. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعظماء سوس. وآخر في رؤسائهم. والمقصود ان أسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب

هذا وقد يجد القارىء من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لاينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافات

ولكن لا ينسبن انني مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقذى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التضليل والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعته الى الذى يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضلل القارىء عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا أحرص انا فى التراجم أن أذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب

وبعد فها أننا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حواليها. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا أزعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهيأة لمن سيستقى منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافى وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى اننى بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى اننى حرصت على أمانة النقل عن المصادر — وغالبها من افواه رجالات الاسر — واجتهدت على أن أتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت — لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء أمازيغ الشلحيين البدويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب

ثم اننى ابن زاوية وابن بيئة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرنى من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى دينى

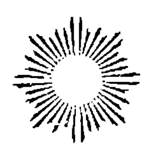
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التى تجمع كل شيء. فلياخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئا تافها؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون ازاءه قارىء آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) أمام القارىء. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثانى الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر بفضله؛ فان لم يخرج القارىء بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع • او يصحح الاغلاط • وما ذلك على شبابنا الذى نراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد

م خ س



بيـــان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر فى مطابعنا العربية المغربيـــة سلكت الطريقة التى تعتاد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية فأجعل الالـــف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة وكل حرف ليس أمامه الف او ياء فانه مسكن فمثلا تجد (تمنرت) فى اقـلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانـك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء فاذا بـك نطقت بها نطقا صحيحا وكذلك (ايديكل) و(ءازاريف) و (ءاكجكال) و (تيغمى) و (ءاقا) و(تامادولت) و (تيفنوت) (تاكانزا) و (ايسى) و (تالبرجت) و (تيفرميت) و (تاكموت) و (ايليغ) و (الـغ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنهـا وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لهـا فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم فلم يبق الا الكـاف المشددة وكـذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشـددة وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان كما يبقى لنا أيضـا مـا يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق. وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعنا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجتهد ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛ وأرهف الاذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الالسن باللغات؛ وخص كتابه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها ألسن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من اقصى المشرق الى أقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا حتى صرنا – نحن أبناء الغ العجم – نذوق حلاوتها؛ وندرك طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونخوض امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم نكن الا أبناء (أمازيغ). فالانسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تتفتح له به المعانى الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا – معشر الالغيين – هى لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسلاتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحربيليين والوفقاويين والمجاطيين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربى؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان أحسسنا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيبين للشيح والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاوروننا من أبناء الشلحيين الاماجد

---

(1) النبع: كفلس والغرب كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام

تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير أرض وان لم تكن الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء قبل أن يكون مخصوصا في مبادئه الحق للعرب الخلص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فأوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فاندونيسية الى هذا القطر المغربى الذى نكون نحن ـ أبناء الغ ـ فى أقصى ذنبه الذى هو ذنب الطاووس ـ فيما نرى ـ ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا فى الصحراء الكبرى تركيزا؛ ثم لم تقدر أربعة عشر قرنا أن تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه فى القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التى تفتح القلوب باللسان العربى وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

أما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلى من دبيرى؛ وميزت يمينى من شمالى. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتنى العربية باثمدها، وأذاقتنى حلاوة معانيها الطلية فانتشتنى بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر أختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) فى فجر حياتى؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛ فأخذت بحكاياته التى تدل على ما لمدنية العرب فى بغداد ومصر وما اليهما من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميرى وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادى؛ والصفوة ـ وهى الكتب التى طالعتها فى حياتى الاولى فى الغ وما الى الغ من افران واغشان ـ ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ أقبلت بنهم الذى لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عينى كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أى كتاب سنح؛ ولسان حالى ينشد قول ابن المعتز

قلبــي وثاب الى ذا وذا	ليس يــري شيئا فيأباه
يهيـم بالحسن كما ينبغى	ويرحـم القبح فيهــواه

ثم لما حللت بفاس أتى الوادى فطم على القرى (2)؛ فبدلت أخلاقا غير التى عهدت من نفسى قبل؛ وانا فى مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

---

(1) لا يدرك المرء فى اوطانه شرفا   حتى يكيل تراب الارض بالقدم

(2) مثل عربى، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادى؛ وطم الماء على الشىء: اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم انلقح به لما كانت لى فكرة، ولا تحركت بى همة؛ ولا نزعت بى نفس عزوف تقول بملء فيها

لى همة عالية فذة طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتلاك سدرة المنتهى

تكونت لى في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت منى غيرة وطنية نسيت بها نفسى ومصالحى الشخصية؛ فاعددت نفسى فداء لدينى ولوطنى ولامتى التى هى أمة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح فى آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدى ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به أن الذى كنت أسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يفثأ غلة ؛ ولا يقضى على لهفة •

ثم لما ابت من فاس. وقد المت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليهـا الا فى الرباط وفي مشايخ الرباط. حللت بالحمراء وقد القيت فيها مرساتي، وأنوى أن أقضى الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا فى جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى أراها اذ ذاك فى انهيار؛ ففى هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عنأعمال كان فضل اللهعلى فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالى بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعددت له منالمراجع ما لو تم بها لكان ــ فيما كنت أقدر ــ صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا وافادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفى بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات

ها انا ذا الآن انفى الى الغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتنى فجأة أمام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هناك بهذه القصيدة التى المت فيها ببعض لعب الولدان الالغيين؛ وبذكريات اول شبابى ؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم ــ بني امي ــ ائيب ركائبي فياليت شعرى هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انا اعود كان لم اغد ــ قط ــ بغائب

(1) أئيب؛ تقرأ الهمز ةالثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميلى اليكـــم   ورجعاى هذا اليوم احدى العجائب(1)

كان لم يكن الغ بلادى التى بها   سموت به فوق الذرى والمناكب

كان لم يكن اصلى ومنبت نبعتـى   ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبـــى

كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى   سربت صغيرا بين شتى المسارب

وروض وصال قـد تمتعت برهـة   بأزهاره بين الملهـــى والنوائب

اذ الدهـر بشر والحيـاة مسرة   وروض الامانـى مستهل المعاشب

ويوم الصبا يوم ضحوك كانمـــا   تغـازل صبـا سافـرات الكواعب

نهارى حبور ثم ان زرت مضجعى   فاطيب بحـــلم مستـلذ المشارب

فليلى هناء والنهـــار سعـــادة   وعيشى طليق الوجه عذب المشانب

تناغينى الآمـال من كل وجهـة   مناغـــــاة أم الطفل مهما تلاعب

فامى واختى لا تريدان غير مـــا   أريد جناه من جميــــع المراغب

اشير فيوتى لى بكل الـذى اشا   وان كان مجنـاه مناط الكواكب

فاحسبنى بالامر والنهـى اننى   امير على اهلى وكل صواحبـــــى

تطارحنى نفسى المنى فاظـل فى   خمائلها أجنــــى ثمار رغائبـــى

فلـم ادر الا ان انال المـراد كـى   اساجـل اقرانـى بكـل الملاعب ؛

فأسدر فى ميدان لهوى واننـــــى   ـاخالـ ذكاء قد علت كل ثاقب(2)

اجول كما اشهى واجرى كما أشا   واسحب ذيلى سحب سكران شارب

الإعب أترابى فنغـدو الى المسا   وما ان درينـا كيف مس المتاعب

نظل علـى فر وكـر كأنمـا   تلاطم ميدان الوغـــى بالكتـــائب

عـلى قصبـات شققت جنباتهـا   ولكنها من تحتنا كالشوازب (3)

نجيل اذا جلنا بـها فـى اكفنـا   عصيا نرى منهن امضى القواضب

فنصمد وانقع المـثار مطنب   كما اعترضت فى الجو سود السحائب(4)

فنجرى ولا تدرى المجـلى بيننـا ؛   واى نظام بين خيـل الملاعب ؟

نحاول تنظيما وسرعان ما ترى انـــ   ـــتثارا كوهى العقد فوق الترائب

وافضل يوم عندنا يوم نغتدى ،   حفاة بجرى المذكيات السراحب(5)

---

(1) صدف عن الشيء: مال عنه

(2) السادر: الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء بضم الذال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس

(3) الفرس الشازب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم التى يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها

(4) طنب بالمكان: اقام فيه

(5) المذاكى من الخيـل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛ وفرس سرحوب: طويلة.

وقد اعصرت ريح التفاقم بيننا ... واقبلت الصبيان من كل جانب
وصرح بين القريتين تضارب ... فدارت رحى الهيجاء بين المقانب(1)
وفرقع في الميدان «الد» وصوتت ... «تزبا» وخاض الحرب كل محارب(2)
وقد جالت الاحجار فوق كانها ... عصائب طير صادمات عصائب
وقد زجلت اصداء سرعتها كما ... تصل قطا عطشى سرت للمشارب(3)
وقد علت الاصوات منا ومنهم ... فكمل يعاني ان يرى جد غالب
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد ... تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
ونابت ايادينا عن «الد» واختها ... وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
يلز قرين قرنه حين يبتدى ... تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
يغالب كل قرنه فمجندل ... على الارض او جلد امام المغالب
اذا بعضنا صرعى وبعض ازاءهم ... وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب(6)
فيحتدم الخصمان حينا فينتحى ... ذوو الرأى منا نحو صلح مقارب
فيأتمر الجمعان ان يجعلوا الذى ... مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
فترأب بالصلاح القلوب اذا بهم؛ ... عناق كأن لم يلتقوا في المعاطب ؛
كان لم تلطخ بالدماء رؤوسهم ... فسالت على أعناقهم والمناكب
كأن لم يدقوا بينهم عطر منشم ... باحجار «الد» الجائيات الذواهب(7)

---

(1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة

(2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا ـ بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشمدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع تضارب بين الصبيان

(3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظمأ. فكان لها صليل أي صوت.

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها ... تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

(4) الذمر بالكسر الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحاريب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحاريب قياسي؛ فتقول: المحارب

(5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

(6) اصله التلابيب. ولببه: اخذه بثيابه من فوق صدره.

(7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امراة عربية تسمى منشم تبيعه؛ وهو تعبير جاهلي. ومن معلقة زهير

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

نروح جميعا بالوئام اقاربـــا ، وان لم نكن في اهلنـــا بالإقارب
الى لعبـــة اخرى فنفتح بابهـــا جديدا بشوق الصب نحو الحبائب
فجينا الى (الاسداء) نمضي وتارة لنحو «ضما» نثني زمام الركائب(1)
وطورا الى (شلوك) افضل لعبـــة لنا حيث يدمي القرص كف الملاعب(2)
وآونة نغـــدو الى الاختـــبا فـــان نفتش نفزع في المخابي بضاغب (3)

* * *

كذلك نمضي يومنا مرحـــا فلا نصيخ لجوع لافح النـــار ناصب
فلا نتقي بـــردا ولا نتـــقي حفـــا ولا نتقي ليلا بطيء الكواكب (4)
ولا نتقي الإكمام والحجر لا و ـ لا (اقلمون) في جمع الثرى للالاعب(5)
نجيء بقمـــص كالزهـــور ونتشـــي بدكن كأسمال الثكالى السلائب (6)
فان غمغم الاهاون فالامهات في ؛ مناغاتنـــا او ضمنـــا للترائب ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلن من نضار اليرنا بين سود الذوائب(7)
ونصبح ايضا عـــود بـــدء وهكـــذا قضينـــا عويمات بغير مراقب ،

---

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه الملعب بالحصى؛ وهي المسماة: (ءاكنترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.

(2) شلـــوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصا يقرص على ظهر كف من غلب فيها

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء وفتح الواو المشددة وسكـــون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهي لعبـــة يختبيء فيها الصبيان؛ فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احد المختبئين فيفزعه؛ وهو الضاغب، ولهذه اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القاريء وصف هذه اللعبة فيما ياتي

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(5) أقلمـــون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو مـــا يسمى بالقب المجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما

(6) السلائب والثكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة في الالوان. والاسمال الثياب الخلقة

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الغية. وهو احمر اللون كالنضار: الذهب

وليس لدينا من نخافهم سوى   ليوث اطلوا من صدور الكتائب
اذا ماسمعنا الهمس من صوبهم فلا   تسل عن قلوب فى الضلوع ذوائب
مساورة من مشبل وسط خيسه   اخف علينا من ملاقاة طالب (1)
عبوس المحيا قمطرير كأنما   تجهمت السعلاة فى وجه هارب
فلم يدر الا البطح فالهشم ان تصل   عصاه بنا كالنمر بين الثعالب ؛
او الملكم والركل الممض اذا ونت   يداه بعبل من حبال ازاغب (2)
نسر الرشاكى نستدر ليونة   لو ان الصخور الصم درت لحالب
فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا   الذ زمان لم يمس بشائب
ولكنه ادى الثقاف صلابة ؛   مؤيدة بالقرص من كل جانب
فتبصرنا تحت الذقون كانما   يحاول ضار خنقنا بالمخالب
فرضنا على رغم الانوف ومن يجل   بقواته سوى جميع المصاعب (3)
فمر بنا عام فعام فبدلت   ضرائب منا سذج بضرائب (4)
فطاف بنا عقل جديد فحلقت   امانى اخرى لاغتنام مآرب
بدت من سماوات المعارف برقة   اثرنا لها ـ نرتاد ـ قود النجائب
رأينا المعالى كلها فى مرادها   فطرنا اليها بالنفوس الرواغب
فغادرت الغا والشبيبة غضة ،   ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
اريغ العلا بالنص فى كل فدفد   تضل به الخريت شتى المشاعب(5)
اعرض حر الوجه نحو سمومه؛   فيكسوه من اثواب سود غرابب(6)
فجبت الجبال الشامخات؛وخضخضت   سراب البطاح الفيح هوج ركائبى
فخيمت بالحمراء حينا وسابقت   من ابناء فاس آونات سلاهبى (7)
وطورا اراني في الرباط وقد طمت   على غيوث الهامعات السواكب
فافرغت فى هاتى وتلك وتلكم   جهود مجد فى التفوق راغب ؛

---

(1) اسم الطالب يطلق فى الغ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.

(2) العبل: الغليظ. رحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب القاسى من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن

(3) ريض الفرس: اذا وطىء للمركوب. ورضنا بكسر الراء.

(4) الضرائب: الاخلاق.

(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشىء: طلبه

(6) غرابب: اصله غرابيب؛ ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.

(7) الافراس السلاهب: الطويلات

وشغلى الوحيد الدرس فى كل محفل ... درور بـــدر خالص المواظب
فاجثم فـوق الركبتيـن كاننـى ... ربيئة قوم جاثم فى المراقب (1)
اقيد عن ذاك الشوارد تارة ... وألقى لذا طورا ببحث مجاذب ؛
فيوردنى الاشياخ بحرا غطمطمـا ... أغوص بـــه حتى تغشى ذوائبى
ويجلـون ابصارى بفكـر كانـه ... صباح تجلى من سجوف الغياهب (2)
فابصرت نـورا مشرقـا متلألئـا ... تنظم منه جزءها يـــد ثاقب (3)
فابت بحمد الله فى حالة - اذا ؛ ... تنقصتها أثنت عليها حقائبى (4)
عرفت قبيلى من دبيرى بها ومـن ... درى حالتيه لا يحر فى المذاهب
وصممت ان اقضى الحياة جميعها ... وانى بعيد عن دنايا المشاغب (5)
لعلمى ان المـرء حيث توقفت ؛ ... به النفس فى آرائـه والمذاهب
وان نفيس العمر خيـر ذخيرة ، ... تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
فملت الى درس المعـارف معرضا ... عن العرض الفانى المر العواقب (6)
فاقصر همى كله حـول نشرهـا ... أصيره غـايـات كـل مطالبى
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا ... يحس بان قد حل بين الاجانب
كأن كان عن جداتـه وصحابه ... واترابه فى مهـــده غير عازب ؛
ينال من التبجيل ذكرا كأنـه ... زهور نمت بين الصبا والمذانب (7)
ويضفون اثواب التجلات فوقـه ... الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويوثر بالشىء النفيس لديهـم ... ويشكر أن يقبله من يـد واهب
فمن تره منهم تر البشر نيـرا ... عليه. كأنـوار النجوم الثواقب
كأن قطوب الوجه لا يعرفونـه ... فلست ترى من بينهم اى قاطب

---

(1) المرقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومثله. والربيئة: الطليعة المجيش للمرفقة

(2) السجف: الستار

(3) تلميح لقول ابن الطمحان

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(4) تلميح لقول الشاعر

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ... ويرجعن من دارين بجر الحقائب

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب تجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشىء ومر اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول

اذا أوقدوا نارا وشبوا وقودهـا   فما هي للعاشي سوى نار غالب(1)
يجلوننى فى حضرتى. ثم اناغب؛   فليس الثنـاء الرطب عنى بغائب
أمن بعد ذا ياأهل (الغ) ألامـان؛   نسيت بهـم اهلى وكل أقاربى ؟
فها انذا فى اليوم غادرت قطرهم   ودارت ببيني دائرات الـدوالب
فهل اجد المألوف منهم لديكـم،   فاحسبنى لم اغـد عنهم بعازب ؟
فانى انخت العيش يومى بالغكـم   والغى أنا ايضا زمـان الملاعب
وقد انكرت عيناى منه وانكرت؛   رباه سبالى واستطالـة شاربى ؛
فقـد غيرت منى ومن جنباتـه   نوائب تترى تاليـات نوائب
فقد عهدت منى رباه غليمـا   نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
فعاد اليها اليوم كهل تعرقت   جوانبـه مستأسدات المصائب
كأن خطاه فى المسير خطـا الذى   تمشى بكبل فى شفير السرادب(2)
ربـوض بمشـواه فليس بناهض   لغير ديون تقتضى فى المحارب(3)
كأن عاد فى الرهبان يقفو قفاهم   ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
كذاك أنا انكرت (الغ) وارضها   وحال رباهـا والبطاح الاجادب
تنكبتها حتـى تنكر جوهـا   على واعلام الصوى والمذاهب (4)
أرى جوها فى بهرة الصحو باهتا   كأن جللته قاتمات الغياهب (5)
اذلكم (بردى) الذى كان حقبـة   اذا احتفل النوار مغنى الكواعب(6)
وهذا (أمقسو) شامخا فكأنـه   مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

---

(1) فيه تلميح لقول الفرزدق فى جده غالب من قطعة:
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها   وقد خصرت ايديهم غالب

(2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:
اذا ما علت منا ذؤابة شارب   تمشت به مشى المقيد فى الوحل

(3) يعنى الصلوات

(4) الصوة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافى لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق

(5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى القاموس

(6) بردى بفتح فسكون فدال بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ

(7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقى

وهذى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا ... كذروة فحل اشرفت فوق غارب(1)
فأين (قهى) و(العنصر)العذب ارشدوا ... أخاكم وقودوه لتلك المثاعب (2)
لا نقع من تلك المشارب غلتـــى ... فعهدى بها من قبل أحلى مشارب
معالم كانت فى زمـــان طفولتى؛ ... مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
وعهدى بها مسكية الترب. والصبا ... شذا. ونثير الدر بين المحاصب(3)
اذا وجهها فى اليوم أجـرد كالح ... تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
فلله الــغ يوم ذاك فانهـــا ، ... حدائق رفت بالحقـــول المعاشب
أجر بهـــا شرخ الشباب واننى ... خلى رخى البـــال بين اصاحبى
وأما أنا فى اليوم فالطرف شاهد ... بحاضر حالى مستشف لغائبـــى
فمن كان فى سنى يرى مثل ماأرى ... وطاف به ما طاف بى من غرائب
وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس ... مكللـــة بالمجـد تحت العراقب
فأجـــدر به ألا يهـــز فؤاده ... جآذر ان عنت بزى الاعارب (4)
فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى ... وعن ذكريات قبـل عنه ذواهب
ففى همه المشبوب أشغل شاغل ... له عن مناغاة الدمى فى المسارب
اذا غمر الهم الفؤاد فهل تـــرى ... له لفتة للرائعات الرعابب؟ (5)
أشغل الا بى لا أبالك فى الهوى ... وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
فلا كان حـــر تطبيه سوالف ... وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
ولا ولم يحل دون الفريض الجريض ما ... كففت يراعى عن قواف صواخب

بنى الغ هذا صنوكم وعشيركم؛ ... يؤوب. أيغدو بينكـــم خير آئب
فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛ ... غريب المبادى والحجـــا والجلابب
فان تنكروا منه وينكر لديكـــم ... خلائـــق فالاغضاء أوجب واجب
فعما قليــــل يقرن الدهر بيننـــا ... فليس لزوم الطبـــع ضربة لازب
عليكم جميعا من اخ حل بينكـم ... حلول السها بين النجوم الثواقب

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الغ وهى بفتح التاء والكاف وسكون النون وفتح الزاى

(2) قهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا. ومثعب الماء مجراه.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الطاهر الافرانى فى ارض الغ
أرض ثراها عبير. والنسيم شذا ... والماء راح. وكالياقوت حصباء

(4) تلميح لقول المتنبى:
من الجآذر فــى زى الاعـاريب ... حمر الحلى والمطـايا والجـلابيب

(5) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة

(6) اطباه : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكم وفاحت لديكم طيبات المناقب،
يعمكم يا آل الغ فانتم جميعا أودائى وغر أقاربى ؛

خاطبت الالغيين بهذا النوع من الشعر العربى القح. لانهم لغويون أقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتاج الى مراجعة القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودى فتح الباب بينى وبينهم؛ وازالة كل الحجب التى تكاثفت فى العشرين سنة التى فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ. الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجتالقوم؛ فانثالوا علىبقصائدهم؛ فاجبت كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل أحاديث وذكريات كتاب يطول الى ان كان فى ثلاثة أجزاء، وهو كتاب (الالغيات)؛ فلما شاهدت ما شاهدت خطر فى نفسى أن أكتب حول تاريخ الغ؛ لاسجل ما يمكن من آثاره الادبية؛ واخلد ما يستح من حياة عظمائه الذين أسسوا لمجده؛ وغرسوا فيه بأعمالهم ما غرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخى البحاثة الاديب سيدى الحسن بن احمد البونعمانى نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك حوالى عام: 1351 هـ. فثارت منى نعرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ فى هذا المنفى؛ ووجدت بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافى أدباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غير متساو فى الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا. وهو (المترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس فى العهود الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذى من تمامه كتاب (رجال العلم العربى فى سوس)؛ وفى أثناء ذلك أجدنى مقصرا فى كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت فى بنيات صدرى: «لما ذا لا أخص اهل هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذى يضمها بين قراه الاخرى بكتاب خاص؛ يسهب فى كل ما أعرفه عن (الغ) وذلك بايحاء بعض أهلينا؛ فلم تكد هذه الفكرة تخطر لى حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل ما يصلح ان يدخل فى كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث مجالس الغ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت ـ بفضل الله ـ أن أقر عين الاخ البونعمانى الذى هو ابو كل أفكارى فى هذا الموضوع؛ وقد رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغية او سوسية ان اسمى الكتاب:

« المعسول »

«فى الالغيين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت أن أسهب فى ترجمة كل استاذ أو تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته. وكل من أخذوا عنه. ولا أقصد ـ يعلم الله ـ الا أن أفتح الباب لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التى تمت الى الغ بالاستاذيـــة؛ أو بالتلميذية أو بالصداقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك أيها القارىء تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛ لعلك تضمه الى التواريخ التى كتبت فى هذا العهد: عن (العويرة) بقلمى اخينا سيدى محمد المراكشي والسيد الركراكى الرباطى، وعن(مراكش) بيد شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديبالكبير سيدى احمد الزيانى القاضى .وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن (دمنات) بيراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوممولاى على الدمناتى. وعن (آسفى) بجهود البحاثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة (عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على السلوى. وعن (مكناس) بيد شيخنا ياقوتة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن (فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يغترف الا من وشل؛ وليسموضوعه الا بادية قاحلة؛ وأدباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحيى أن يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من أبناء بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيـــده غيره؛ فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز؛ وانت اشعرمنه؛ فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال قوله

انظر اليه كزورق من فضــة ... قد اثقلته حمولة مـن عنبر

وقوله فى وصف زهرة آذريون

كـــأن آذريونهـــا ... والشمس فيه كالية

مداهـــن مـــن ذهب ... فيها بقايا غاليـــة

---

(1) قال حسان

وقد كنا نقول اذا راينـــــا ... لذى جسم يروق وذى بيان

كأنـــك ايها المعطى بيانـــا ... وجسما مـــن بنى عبد المدان

فصاح: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون بيته؛ وما ذا أصف أنا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما أعرف أين يقع قولى من الناس؛ فأنشد

ما أنس لا أنس خبازا مررت به	يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة	وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة	فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وبعد: فهذا جناى فى هذا المنفى أقدمه للقارىء لقمة سائغة؛ واعتذر له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة فى التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع من أزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تتمة ترجمة كيفما يتيسر؛ فحينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينا يحاول ان تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينا تغلب فيه فكرة الادباء؛ وحينا فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينا أكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور اعينهم الا فى مجالاتها المعتادة؛ وحينا يجد هؤلاء ما يعدونني به من المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعمل؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لاننى هكذا خلقت؛ نشأت فى زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينا أبناء العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم كل ما اقتبسته من هذه البيئات

فالله أسأل؛ أن يوفقنى للعمل الصالح؛ وأن يختار لى كل ما فيه رضاه؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت على أن أكتب حول (مراكش فى عصرها الذهبى) (فالله يعلم وانتم لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت

وصف (إلـغ) الجغرافي

بسيط الغ البعيد عن تزنيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛ تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يبتدىء الشمال الشرقى بجبل أمقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبل العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وفقا) وهو جبل (الايغشانيين) الذى فى سفحه (أيجنى نتاكزين) – شعب العصر – ثم يحوط البسيط غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد أن

تمر ببصرك بمكان المدرسة الوافقاوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلع الالغيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (أكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبيه جبل آخر غير عال الا في ناحية (تاكانزا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بثنية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (أكجكال) الى (تافيلتناست)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزربى). حيث مدفن الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الغ من جهاته الاربع. واما حالة هـذا البسيط فانه أجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية أساياك؛ ولم يكن في اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى في اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبلي قرية (تاحواوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام الممطرة من آبار؛ فتسيل في الجداول، لكنها سرعان ما تغيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وا نكانت الارض تصلح للمزياتين صلاحية ممتازة كما يقول أرباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التـى يعتنـى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حـول الآبار؛ ثم ييبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه

وأما ما يحرثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحرث بعض أغنيائهم من آصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الغ الغربى والجنوبى يحرث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلأ مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالغيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الغ؛ اذا أخصب يكون كنزا

للمواشي الالغية؛ الا أن (بردى) في شمال الغ الذى لا يحرث كثيرا يكون من المراعى للقريبين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن

وارض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة في الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الإتساع في المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان أهلها هم الذين يسعون عليهـــا. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغذاء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب ـ وقلما يدوم ـ واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. وأما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالغية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجدب والاقلال هـو الغالب على من فى الـغ؛ ترى أهل الغ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من أشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بإبرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبـــة؛ أو بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكـذا ادركناهم ولا أزال أستحضر أحد المسنين من أعمامنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو) .ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قـــال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما آنسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرات فى كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الغ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاغشانيون والوافقاويون؛ ولعــــل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان ـ اغرم أكليد ـ كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاى الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايليغ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبيرعبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى)

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

---

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .
(2) نشرناه فى كتاب (ايلغ قديما وحديثا)

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الغ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحربيلية فان لها بعض القرى الالغية: ايكلي؛ آيت الحسن أعلي؛ أكني اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الغ: قرى أغرابو؛ دو تمنروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى أكادير وايو - تونين - أزار أوعيسى - ازربي؛ فهي من قبيلة أمانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزري)

قرى (إلـغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب ، فالتي في الجنوب او كالجنوب :

١ - تافكاغت من ايت وافقا

٢ - الزاوية من دوكادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد

٣ - آل سليمان من دوكادير منهم ايضا • ويقطن معهم بعض الحربيليين الذين هم اصلاء في القرية

٤ - تيبيوت القاسمية من المرابطين وحدهم •

٥ - تيبيوت الواوكرضائية: من المرابطين وحدهم• وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك

٦ - تاحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم •

٧ - تافراوت كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

٨ - انويدر كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التي في شرق البسيط هي

٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطي واحد •

١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطي واحد •

١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطي واحد •

١٢ - ازار اوعيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطي واحد•

١٣ - ايزربي من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا

١٤ - ايغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التي في الشمال او كالشمال هي

١٥ - أيت الحس أوعلي من الاغشانيين •

١٦ ـ ايكلى من الايغشابيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما •
١٧ ـ اكنى اديان من الايغشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
١٨ ـ توكال من الايغشانيين •
واما القرى التى فى الغرب فهى
١٩ ـ ذوتمنروت من الوافقاويين
٢٠ ـ اغرابو من الوافقاويين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
٢١ ـ تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين فى قبيلة آل عبد الله بن سعيد التى كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذهالشهرةعلى لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون فى الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلكالقبيلةوتلك الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط رؤوسنا نجد فى انفسنا ما يجده كل البشر فى مثل موقفنا

بلاد الفناها على كل حالـة وقد يؤلف الشىء الذى ليس بالحسن
كمـا تولف الدار التى لم يطب بهـــا هــواء ولا مـاء ولكنهـا وطــن

بسيط اجرد قفر نزاحم به تفكها ـ بهذا الكتاب ـ اهل دمشق ولبنان واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل ـ من قر عينا بعيشه نفعه ـ

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغـالب ان عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلكيعلم انغالب ماتذكره عنالالغيين منالعادات لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل وندر والعادات تدخل كل ناحية من نواحى الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلكنجدكثيرين من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد القو لالجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما فى حنايا صدورهـم • فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بيـن عند كل من يزن بتمييز ولا تنطلى عليه البواطـن بزخـاف الظواهـر ولا بتمويهات الالسن (ولا ينبئك مثل خبير)

نحن هنا لا ننظر الا للواقعالمعتاد من غير أن نزن بميزان الشرعولذلك نحكى ما كا نالمتاريخ وللعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم لان التاريخ كالمرآة تبين كل ما يقابلها كيفما كان

عـــاشـو ر اء

اعتاد الالغيون أن يعمد بعضهم فى عشية التاسوعاء الى الغثاء الذى تتركه السيول ضفاف مسيلات المـاء فياخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعـــار واعواد صغار فيبخرون به الديار فى صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا أول ما نفيت الى الغ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحث عن مثل هذه العادات. وكذلك يعمد فى سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم فى ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اهراء الزرع وحظائر المواشى

وفى ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعـيد مـن قريتهـم فينادون ــ فيما زعموا ــ على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبنون هناك احجارا فى محلات ثم يرجع الجميع وهميغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفى صبيحة عاشوراء يبكر جميع النـــاس رجالا ونساء الى زيارة المقابر • من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتنسكين يحرصون على الاثنتى عشرة خصلة التى ذكرها العلماء مـن خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيـم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفـار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انـه لا يصح من هـذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذى ورد فى حديث حسن وقد رأيت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصى بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمـع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون فى ثمنها بضمان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مغرس ذنب كبش عيد الاضحـــى الذى جعل قديدا يعطى فى يوم عاشوراء للراعى وهو ياكله فى ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شىء من قديد الاضحية على دور السنة فـــى ديارهم تبركا به

---

١ ــ وهذا مما تشارك فيه الحواضر الغ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهـم أيضا قديدا الىان يوكل يوم عاشوراء• الا ان اهـل الرباط وفاس ياكلونـه أنفسهم• واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة• لان الرعاة اولى به• لكونهم يلاقون المشقة فيـه بالرعـى

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد فى عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين ـ وحاشاهم ـ فانهم لا يزالـون ضد هـذه البـدع •

ليلـة المولد

فى الغ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاهما تعمر فى ليلة المولد النبوى. فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملأ مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الغ ان يحضروا فى تلك الليلة التى تتلى فيها بالتغنى على ألسنة المنشدين قصائد البوصيرى من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على ألسنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدى الطاهر بن محمد، فيلقيها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك فى حضرة شيخه سيدى على بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية

بـــرح الخفاء وصرح الوجد وبدا الذى ما خلته يبـــدو

ومطلع اخرى همزية :

رأى برقـا بكاظمـــة مساء فامطر مزن مقلته دمـــاء

ومطلع اخرى وازن بها البردة :

بطيب ما نقلت عن جيرة العلم ريح الصبا يشتفى قلبى من الالم

واخرى وازن بها (بانت سعاد)

دع عنك لومى فما التعذال مقبــول (بانت سعاد فقلبى اليوم متبـــول)

واخرى مطلعهـــا :

سرى طيف سلمى فسل ما اثـــارا اثـــار دموعـــا واورى أوارا

واخرى مطلعهـــا

بارق الرقمتين جـد ائتلافـــا فجفوني القرحى ابت ان تلاقي

واخرى مطلعهـــا

اذا أغبرت الارجاء من آلهاشم بوارق غيث منرباءال هاشم(1)

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهى عشرات ستراها فى ترجمته ان شاء الله

(١) شام البرق اذا لمحه والال السراب وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت •

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تنتحي وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض ـ ويسمى عندهم احمـال ـ فتقف ازاءه فترقص رقـصا متواصلا٠ وهي تغني بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة انّ يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يملي شروطه والغالب ان تكون نعـال كل من في دار أهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب٠ ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوي اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الـذي يسمى ـ اسلان ـ ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما أعدوا للزوجة مع مايأتي به الزوج كالشرط أويهدي للزوجة أو قدمه أهلها لها٠فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئا فشيئا؛فيقدر لكل شيء من الثياب والحلي وما اليهما الثمن الخاص ، فاذ ذاك تكون المعركة فيغالي في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفـرق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتني الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصداق مـن الدراهم هـو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي٠ ولذلك لا يذكـر فـي الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا مـــن دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال٠ واذذاك تخرج العجائز

اللاتي يجلون العروس بأغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يغرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلختمت ـ نسبة الى الخاتم ـ ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك. وقد كان الشيخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء في اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى أن العروس تجلى تحت الظلام وفى صبيحة الجلوة يذهب بالعروس الى اقرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء فى اناء نحاس يكون من جملة ما تأتى به من عند اهلها فيتجاذب الإناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولا من الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه هذا والالعاب تقام فى دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتى مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج. وعهدنا بعرس الفقيه سيدى المدنى لما تزوج من الايغشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاية باهل الزوج . وقد يتعنت احيانا اهل الزوجة فيأبون أن يطعموا حتى يقدم لهم أهل الزوج مكتلا مملوءا بالحلى ليعلموا أن بنتهم حلت في دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس أهلها. ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتى أهلها ـ ولا بد ـ اما بثور او كبش. ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله. وعند حلق رأسه بادىء ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئا ما .

العقيقة

ترى النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيحرصن على ان يزرنها فى الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعى النساء المحضور فى العقيقة كما يستدعى الزوج ايضا الرجال وفى صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا أضغاثا من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) ـ وهى خبزة كبيرة يغطى مخبزها فيوقد تحتها وفوقها ـ وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من فى الدار وتحرص النساء على ان لايغفل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلك يسبب

محبة الولد • وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفنة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتى تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لنظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرتية. واراها كثيرا فى قلائد الصبيان الالغيين - ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرءان والطلبة دائما في الـغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعا لشأنهم على العوام

الحذاقة

متى ختم التلميذ القرءان تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - آمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو فى لباس جميل، يدورون به فى القريةويزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة فى اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابى التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الإلغيين مقتصدون لفقر بلادهم

وقد اعتادوا ان ياتى التلاميذ فى كل اسبوع من كل يوم اربعاء ببيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تانعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقةبآيات من القرءان ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملها احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذى يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرءان وحملته •

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران. واهل القرية فى مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة. فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبى. فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليل الرحمن؛ فى انشودة خاصة لذلك؛

الحصاد والدراس وما إليهما

أدركنا الالغيين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة فى كل تلك النواحى - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان اجنى اللوز من حقله الا متى اذن فى ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك فى تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هى اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر فى الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فاليوم لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس فى بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم أيام الدراس ايام الحفلات؛ وللالغيين همة معلومة مذكورة فى اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس فى يوم واحد لكثرة البغـــال التى تجمع وليبس المدروس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتقض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول فى سقى قريتنا: دو كادير؛ منذ عقله من نحو 1280 هـ. فذكــر العجب العجاب الذى أدركنا نحن بعضه .

الجنـائز

ان مما اختصت به الغ ان لا نياحة فى جنائزهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا أمثال هذه المواقف، فلا نحس الا لوعة فى الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة فى العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل فى الشبكة، ولا يعرفون الآلـة الحدباء التى ذكرها صاحب (بانت سعاد)(1)؛ ثم يصلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن انثى وان طالت سلامته　　يوما على آلة حدباء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقن الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذى يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترم الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد الثكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التى لا تلفت الابصار، ولاتكتحل ولكنها لا تترك الغسل والاغتسال ولا تقرب الصابون فى غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاشنان

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع فى كل نواحي المغرب، انه يجد فى كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التى ادركناها لتعجب القارىء من حدادة فى كل انواعها التى من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهى صناعة سملالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحلى السوسى له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهى - صناعة ممتازة - فانها منبثة فى جزولة وخصوصا فى آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعلنا نؤدى له حقه مرة أخرى.

نعم ان الذى يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالغية؛ وهى قليلة غير متسعة، لان اعمال الالغيين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالغيين

الحدادة

توجد الحدادة فى قرية (دو كادير) فى أيدى اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك فى قرية (ايكلي) من القرى الايغشانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحدادة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه فى اصلاح محاريثهم او فى صنع حدائدها وما الى ذلك اجرته على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحدادين الالغيين من يسمى بعلي ؛ وآخر أوشنا لقبان لهما • وقد درجا الآن وتركا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالغيين الادباء هذين اللقبين فورى بهما فى هذين البيتين

وكم عانس بكر تخطت زواجهـــا
الى ان غدت تقلي وتشنا لدى الاهل

اذا اصبحت نادت الا ليت لى نوى
من (أشنا) لديهم والرواح الى (بعل)

وحدادو (ايكلي) أمهر وأكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التى تتخذ ـ حديثا ـ من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لخفتها وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها

النجارة

اما نجارة المحاريث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن الموذن الذى مات اخيرا فى قريـة (دو كاير)؛ والفقير بلقاسم السوقى الوافقاوى؛ وامـا النجارة المتقنـة فى الابواب والنوافذ والاخونة والموائد ؛ فانها فيقرية (ايكلي) وهيالآن فيأولاد موماد فانهم من احذق من هناك فى صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التى تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين فى كل دائرة (تافراوت) لا فى الغ وحده

الدباغة والحذاءة

اشتهرت قرية (تاحواوات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ فى داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهى حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرص كل الالغيين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص أنيدبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا اوجرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه فى داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه منجبل(أمقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ايركل)• وفيجبل امقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات

وما قلناه فى الدباغة نقول مثله فى صناعة الاحذية، فانها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود النيوتى؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد النيوتى ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكانزا) التى تطل على الغ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطى بعض الساق؛ اشبـه شىء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده فى (تاكانزا)

الاكافة

الاكـاف حلس البغل او الحمار ؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكـادير)

الفقير ناصر المتوفى أخيرا؛ وابن العربي؛ وابن همو؛ في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم اهلها لاحتياج كل ذي بغل او حمار اليها؛ ولها ثمن، حتى أن الاكاف قد يصل ثمنه الى الف ريال واكثر الآن 1358 هـ.

الحبالة والشباكة

لكل واحد من الالغيين يد صناع في فتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيخان سيدي الحاج علي. وسيدي علي بن عبد الله. ـ وهما ما هما ـ يبرمان بايديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على اعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان تلك الحرفة وابرامها وفتلها هي من صناعة الوافقاويين، فلهم حذق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجوائيق والزنابيل، وفي صنع الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتي بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في انطين. وقد قال بعض الالغيين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقاويين

خلق الله للحرير اكفــا	وأكفـا لصنعـة الحلفـاء
حرفة الالغيين فتل حبـال	وشبـاك ودبغهـم للدلاء
غير ان المرابطين منهم انيحوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لفتلة حبـل	والسعيدي افتله البلغـاء

نساجة الصوف

اشتهرت الالغيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتحن فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بثور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منـه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

---

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن.

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالغيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها، فيكاد يكون حراما؛ الا فى بعض الفترات من عنـــد بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تثلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التنمية للمواشى سنة عن سنة؛ حتى ياتى بعض الاعوام المجدبة فيسنتون فتذهب مواشيهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا فى مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالغيين ماآت بعضها لمن هم أقاربنا؛ ثم لم نأكل اللحم الا بشرائى لخروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجل فى اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لى عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت فى قبائلهم فى الحوز؛ أوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابى

واذا تأمل شخص ضيف مقبل	متسربل برداء عيش اغبـــر
اوما الى الكوماء هـــذا طارق	نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

لكننى فى الحقيقة اعذر القوم. فانهم فى بلد مقفر. لا يمكن أن يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزازة التامة ـ وقد كدت أكون كذلك الآن ـ ومن دخل ظفار حمر (I)

لا تعذل المشتاق فى أشواقه
حتى يكون حشاك فى احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة فى جميع نواحى سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون فى الحوز ومـا وراءه ؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين فى القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالغيون فى عرض جماعتهم هذه فى هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين مـن الذين يجيدون الخياطة فى اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياسيتنى؛ والسيد على الاحطيوى من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرهما فى اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالغيين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما

(I) ظفار كحذام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية

الرفاءة

اذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل انواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما اتعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصرى رفا لى ثوبا فى المدينة المنورة فى حجتنا 1365 هـ. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار فى المغرب فى رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذى يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مالوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى فى الاحذية فانها ترقع حتى ينمحى الجلد الاصيل أحيانا ؛ وكل ما يعاب فى بيئة قد يعد مألوفا فى بيئة أخرى •

الخزافة

لهذه الحرفة رواج عند الإلغيين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب أن يصنع كل واحد فى داره عشرات او مآت من الاوانى قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون فى دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقى يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعقيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون •

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالى، ذاك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجعان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكنى قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او فى (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين

---

(1) فى هذا الطليسان قطع شعرية لشاعر. وتوجد فى كتاب (زهر الآداب) الحصرى .

معدن النحاس

انتذا ترى أن لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه فى الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المنن فان فى كدية ازاء قرية أكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها همأومنأذنوا لهم؛ فقدكانالمعدنون يستخرجون منذ أجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) فى نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشى باخبار هذه الصناعة فى عصره بسوس توفى نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث فى ايام الإحتلال: حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدى اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الأكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا أن ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل فى العمل • وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير أن يوخذ رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين

العلم والتدين والاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة أخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولمكانة الغ. من جزولة كان أهلها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون أبناء الشيخ عبدالله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالى عام: 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ - ويجدها القارىء فى ترجمة الشيخ أمامه - ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سريرته بالانوار. وقد كانت فى الغ مدرستان قبل: احداهما فى (ايزربى) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل فى ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التى كانت منذ أسست بايدى السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضىء حينا بنويرة من العلوم؛ ثم تنطفىء أحيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق أن يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1297 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتتموج في سوس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالغي؛ ثم في ابن كرير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليمة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه:

لانعلم اليوم من يؤدون في سوس المعربية وللادب الواجب الا الالغيين».

هذا مقام الالغيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الغي ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لايزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلي منهن؛ وياتممن بالمسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدي بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالغيين التبكير في أشغالهم فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الغ حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالغي على كل حال تجده غالبا متفقها في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة – وان لم يكن الا عاميا – لمصاحبتهم للعلماء

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبعقيليين والحربيليين والمانوزيين ممن لايردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقيلي او حربيلي؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوي السلاح؛ ولا من ذوي عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

---

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة

ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

فاننا تكأة كل قوى؛ ومرعى لكل سارح؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعقيليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى أن جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فأمكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبائل، فتستطيع أن تتملص ممن كانوا ياخذون كل اسرة باتاوة فنفعهم الاحتلال من هذهالجهة ـ ومصائب قوم عند قوم فوائد ـ

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فبه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1)

واما ما يرجع الىالكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذى لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالإضياف من ذبح الكباش وقلى الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابى. وقدور راسيات؛ فان بلدهم المقفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من أمكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايغشانى؛ وكالفقيهين ابنى عبد الله؛ وكالشيخ الالغى، ثم بعدهم الرؤساء من ايت وافقا وايزربى وسيدى المدنى واخينا سيدى محمد؛ على أن الغ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى على بن عبد الله فى طليعة القبائل التى تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز للهمم الى ان توفى عام: 1357 هـ. ثم خلفه فى ذلك شيخنا سيدى الطاهر الإفرانى الذى ما فارق قط الصف الاول فى المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذى علمت سعد)

اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الغ المتقدم اقفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تثمر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون فى هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ أو عصيدة ملتوتة من دقيق الذرة ـ ان أتى بهـا مـن افران او ماسة أو

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوى دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامراة وردت عليهم تسمى جهيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جهيزة قول كل خطيب. فكان ذلك مثلا.

تامانارت ـ او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ. أن غالب الالغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛ ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فـي الطعـام العام الا الكساكس المسنمة فى القصاع ،بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت الحرث فانه يوجد

من قبل انترشف شمس الضحى ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛ وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى ـ ما يوكل بين الغداء والعشاء ـ وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكساكس؛ هذه هى المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار آل صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايغشان ان كان عندهم اضياف (1) والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان كان متسعا الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد، فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائه ولا لمن فى زاويته من المنقطعين؛ هذا ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاى فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما فى كل اسبوع، ،بعد ان كان غالب الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذبيحة يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم نكن نعلم فى صغرنا من يدوم اللحم فى دارهم الا دار الرئيس الايغشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد الله؛ ثم تتلوهما دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى شهرا او اكثر لا نذوق مرقة والشعير هو عمـاد المعيشة ؛ ولا يعرف القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع وتحكى كالنوادر؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايغشان ومجاط، فيدور به البدالون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهـة يوما؛

---

(1) بات الاديب البونعمانى سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايغشانى فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفـل لتنكبت العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايغشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل هذا الأديب. لو احتفل به وعرف قدره

وقد راى بعض الناس يريد ان يشترى تفاحا لالغى:

فكه مصاحبك الالغى مـــا الفت — لهاه من (أكنارى) شائك قاس
لا تتحفنـــه بتفـــاح فشهوتـــه — فى غير ما يشتهيه اكثر الناس
يعيش فى فطرة البادى الذى مرنت — يدا ه من مسك محراث الى الفأس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فدع — تلك التفافيــح للمصرى والفاسى
لذائذ البدو فى الاذواق اطيب من — سوائهـــا منظرا وطيب انفاس
فلـــذة المرء فى عاداتـــه ومتى — تجووزت فظـــلام قاتـم عاسى

والخبز عند الالغيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة التى تجعل فى المخبز. ثم تغطى بغطاء المخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى (توقديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر. وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل شيئا فشيئا فى الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبذ؛ وهو افضل ما يوكل فى الغ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران الذى يهيأ للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الملة للرعاة، والعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة فى مرابعهم؛ وقد يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذى ذكر فى بيتين ينسبان لليوسى؛ وهما

أرى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث فى الصيف اغد اقى(١)
ومن كـــان هكـــذا فلست ارى له
دواء سوى أكـــل العصيدة أو (بفى)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم فى الغ؛ فترى السميد وخبز الحوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شىء.

فهكذا دبت الحضارة الى الـــغ بمطاعمها وبفرشها من الزرابى والحشايا والكساء الحسنة؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى البناءات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدى محمد اول من اتخذ

---

(١) اغد اقى معناه انهمر

السيارة بالغ عام: 1353 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضا. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاه الرئيس على الايغشانى وبلقاسم المانوزى وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقانى؛ والتاجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستحلى ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوى على الحنيذ. وخبز السميذ؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذى يستدير بسكرجات السمن والعسل وأملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكالة لحما، المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين أن يقدموا اولا زبديات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يثنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلث بشراب الاتاى، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى المطاعم

وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف فى بعضها غير خاف عن ذوى الاذواق السليمة •

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحى - وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فبها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدى صنع يومختمتى ثمانين لقمةقدمت فىقصعة عود؛ فيتناول كل منفى زاويتنا منالفقراء لقمة لقمة، والبسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقلى؛ وهو الذ. والمذنه قيل يوما فى مساجلة مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس	تطيب به فى المضغ كل نفوس
صناع يد لتتنه لنا فكان من	اخاير ما قد ذاقه كل سوسى
فمن ذاق منه لقمة خال انه	يمس سماء من مكان جلوس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا	ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل فى أملو

أملوا علينا من حديث (أملو)	ان حديث (املو) لا يمل
تمزجه بالعسل المصفى	مع سفنج فى الخوان صفا

(I) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته فى الفصل الثالث .

تاخــذ من هذا وذاك اخــذة طيبــة تاتى بكل لــذة
ومــن اتى الغ ولم يبتاــع من هــذه الاكلة لم يستمتــع
ومــا البساطيل بهــذا الباب ازاءهــا الا مــن السراب

ولشيخنا سيدى الطاهر الإفرانى يمازح رفيقه الاديب سيدى العربى الساموكنى؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايغشانى الالغى:

ان الموائــد انت مــن شجعانهــا والزرد حرب انت من فرسانها (١)
لله درك فارسا يفرى بــســيــ ـف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
ويفك فــى قــعر الطواجــن ظفــره اسرى الدجاج تقاد فى ارسانها (٣)
واذا كررت علــى الطبائلــى كــرة ، اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
وتزج فى بحــر المكايــل غائصــا فلك السفنج فتنثنى بحسانها (٥)
وتعوم فى جمع من السادات فى نعم همت كالسحب فى نيسانهــا
حادث بواكفها يــدا بحــر النــدى فــذ العلا طــرا سنا أنسانهــا
خير الاحبة احمــد وابــوه مــن شاد المكارم فى ذرى غسانها (٦)
فرد مكارم مجــده اعيــت علــى اعشى البلاغــة أو عــلى حسانهــا
لا زال فــى شأو المكــارم جاريــا طلــق العنــان الى مدى احسانهــا

وفى سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليمانى، عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيلت هذه القصيدة التى نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو ثلاثة شروح الغية

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الــغ أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

(١) الزرد المقصود به معناه العامى الــذى هو الــزردة المعلومــة حفلــة الطعام لا معناه العربى الفصيح

(٢) اخسان بكسر فخاء مسكنة لفظة شلحية معناها العظام

(٣) الارسان جمع رسن الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها

(٤) الطبالى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلــق فى الغ عــلى الصينية وفى الرباط على الخوآن والكاس تجمع على اكؤس وكؤس وأمــا الكيسان فلم نقف لها على أصل

(٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الغ الزبديات والسكرجـــات يجعل فيها السمــن ونحــوه

(٦) يقصد بغسان قبيلة ايغشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد ـ وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها ـ لتنا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى باناء اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان أمام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبثق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت أمامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاعق في مأكل الغ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في المؤاكلة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذى وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريحية الادب

لمن جفنة قد أقبلت تتألق ... تلوح بلالأ العصيدة يبرق ؟
مسنمة حتى كأن سنامها ... شماريخ طود لم يكد يتسلق (١)
وقد فغمت منها الخياشيم نكهة ... تطيب بها كل النواحي وتعبق(٢)
أهذا أريج المسك أم نفح روضه ... أزاهيرها تحت الصبا تتفتق ؟
نعم انها من غير شك عصيدة ... من الذرة المعطار ان كنت انشق
وعهدى بأنفي ليس يغلط شمه ... فيا طالما شم البعيد فيصدق
الم ترها كالثغر أشنب باسما ... وللشنب البراق فيه تألق
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛ ... متى جال فيها لحظ غرثان يشهق(٣)
لها قمة في وسطها حوض زبدة ... (كجابية الشيخ العراقي تفهق) (٤)

فيا ليت شعرى من تحط أمامه ... فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)
ويخبط فيها باليدين كأنما ... تخبطه وسط الدجنة أولق

---

(١) الشماريخ ج شمراخ بالكسر رؤوس الجبال وتسلق الجبل طلع عليه وتسلق الجدار

(٢) الخياشيم ج خيشوم ثقبة الانف وفغم العطر أنفه ملأه

(٣) الغرثان الجائع

(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله (نفى الذم عن آل المحرق جفنة) وفهق الشراب في الكأس ـ اذا سال ـ من جوانبه لكثرة الامتلاء

(٥) الايضاع والاعناق الجرى وسرعة السير :

(٦) الدجنة : الظلمة الاولق الجن

يشمن عليها غارة مشمعلة بلقم أكول آمن ليس يرهق (١)
فياتى على تلك العصيدة كلها اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحى انى السعيد فانها تحط امامى والرجاء مصدق
فيا طالما اجرى احاديثها وكم اعرض فى نطقى بها وأرفق (٣)
فانى لمنهوم اليها وللحشا الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فها هى ذى عندى فيا بطن ابشرن فعما قليل سيلها يتدفق
فذى نهمتى جاشت اوارا تحرقا افى كل يوم نهمة تتحرق ؟
افى كل يوم فرصة مثل هذه افى كل حين لى جراز يفلق (٥)

* * *

دلفت اليها والعيون كانها نطاق حوالى ركبتى تحملق (٦)
حللت لها طوقى وزحزحت معطفى والقيت عنى ما به اتمنطق
فاغسل حتى مرفقى فربما ستعمل ايضا معصماى ومرفق
وهل فاز فى اشغاله غير حازم يؤيده عزم اذا هم يصدق ؟
وهل فاز باللذات الا الذى اذا تأتت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
فأنفض نفض المعجلين فلم يمل الى فوطة هم بتلك معلق (٨)
وهل يذكر الانسان امثالها سوى اذا لم يكن أمر حواليه مرهق ؟

---

(١) الغارة المشمعلة المنتشرة على الاعداء وارهقت الانسان عن عمله اعجلته عنه

(٢) الحديقة الغناء المزدهرة ؛ والارض الجرداء لا نبات فيها ؛ والسملق القاع الصفصف لا نبات فيه ولا أشجار

(٣) التعريض والترقيق اذا كنت تكنى عن الشىء ولا تصرح به ومنه المثل « اعن الصبوح ترقق »

(٤) المقصود بالسيل ملتوت العصيدة باللبن

(٥) الجراز السيف القاطع وهو بضم الجيم

(٦) دلف الشيخ فى مشيته مشى مشية المقيد

(٧) خلق الصانع الاديم اذا قدر كيف يقطعه وفراه قطعه وفى المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتمها كما قدرها

(٨) الفوطة : عربية فصيحة والاشارة بتلك الى الجفنة .

واما اذا الارهـاق عـن فربمـا — تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
وأدنى الى القعب يطفح رائبا — كغرب ملىء ماؤه يتدفق (٢)
وللمحض فيه نضرة وتلألؤ — كعضب على متنيه لمع ورونق
وما أثرت فيه الوطاب ولادنا — الى أريه المبيض ارعن يمذق (٣)
ولا مخضته العانسات وقد بدا — لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
وتعلوه امثال القباب سميكة — زجاجية لماعة تتألق (٥)
فآخذ منه حسوة بعد حسوة — كما يحتسى الفحل الذى يترمق (٦)
وما القصد الا ان أبل مصارنى — والا فهمى ما اليها احدق (٧)
وأن تغتدى بدء الفتوح لحملة — تغرب فيها غارتى وتشرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجدر به اذا — تقدم ان يحظى بفوز يحقق
فأعلن باسم الله أن حانت الوغى — ومن كان محفوفا به ليس يزلق
فأحفر فى حرف العصيدة حفرة — موسعة كالحوض او هو اضيق
واجعل فيها يمنة ثم يسرة — سدودا صحاحا عاليات توثق
فاملأها محضا فأجدحها كماء — يهيىء طينا مشمعل محذق (٨)

---

(١) تدلق السيل اندفع
(٢) القعب بالفتح القدح الضخم وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن
قال تلك المكارم لاقبعان من لبن — شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
والغرب بالفتح الدلو الكبيرة وهو مذكر
(٣) الوطب بالفتح جلد اللبن الذى يمخض فيه والارى العسل والارعن الاحمق ومذق اللبن بالماء مزجه به
(٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من الممخوض فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
(٥) المقصود الفقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب
(٦) ترمق الجمل الماء يشربه قليلا قليلا وكذلك يقلل فى اللبن
(٧) الضمير فى اليها الى الجفنة
(٨) جدح السويق لته ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره) والمشمعل الخفيف الظريف؛ والمحذق الذى تخرج فى حذق عمل حتى أتقنه

اخضخض فيها خضخضات بهمة ... تكاد لديها جفنتى تتشقق
وانى فى امثال هذا لباذل ... جهود مجد فى المهمات يصدق
فاجدح ما فى حفرتى جدح عازم ... وسبابتى فى جانبى الحوض تبثق(١)
الى أن يرى والزبد يكسوه زرقة ... كما بان طرف واسع الجفن ازرق
اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى ... وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
وقد رصصت فيها الانامل كلها ... فعادت كسطل ليس فيها تشقق(٢)
أمططها حتى اوسعها وهل ... يبلغك السؤل الاناء المضيق ؟
فتاتى وتمضى كالدلاء تواليا ... وللسيل فى وسط اللهاة تدفق
وللشدق صوت كلما صب وسطه ... كما يجد المخنوق روحا فيصعق
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنما ... تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا ... بسرعة خفق القلب أيان يفرق (٤)
فأبقى ولاء هكذا واناملى ... بمنحدر حينا وحينا تسلق
وما فتئت جدحا وحملا كأنها ... عفاريت تزجى حملها وتخندق
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه ... ولى بعد اغذاذ امام ومعنق (٥)
وبطنى ينادى هل هناك بقية ... فما من معى منى بذلك ضيق ؟
وهل من مزيد فالعصيدة هذه ... الذ واحلى من رحيق يروق ؟
فكان جوابى فى سيول كأنها ... سيول الروابى والسحائب تغدق
ورائب قعبى فينة بعد فينة ... يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
وقد وسعت تلك المجالات فاغتدت ... بسائط لكن ليس فيهن مورق
فنلتاح قبل الجدح والمحض مائج ... وبعض لقيمات عليه تفرق
كبحر شديد مزبد قد تفرقت ... زوارق شتى فوقه وهى تغرق
وانى أوالى حملة بعد حملة ... كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

---

(١) بثق النهر كسر شطه لينبثق الماء
(٢) السطل عربية فصيحة وهو الاناء الصغير للماء ويستعمل الآن فى كل أناء ماء يحمل باليد وهو مجاز مرسل
(٣) الذنابى الذنب نفسه والابلق الفرس.
(٤) فرق يفرق كفرح يفرح خاف
(٥) والمقصود بالحوض حوض الزبدة والاغذاذ والاعناق الجرى
(٦) الاخرق من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛ فاذا أراد أن يحمل مزادة الماء أفلت فاها فيندفع الماء :

فتنسف هاتيك الجبال جميعهـــا وتعلى صياصيها ويفتح مغلق (١)
الى ان ارى الفتح المبين وانثــــى على شبع والجوع خزيان يرمــق
ولم يبق الا جولة وحدها لـــكى يلمم ما يبقى هنالك ملعـــق (٢)
فألحس كفي ثــم اغسلها وقـــد رسا بى على سيف الامانى زورق (٣)
فاعلن حمدا خالصا من طويـــتى لمن كان يعطيني النعيم ويـــرزق
فان يطعم الفالوذج الحلو فتيــــة وبسطيلة جماعة مـا يفـرق (٤)
فانى بحمد الله عندى عصيــــدة من الذرة الغـراء اولى واوفـــق
فقد برئت من كل زور ولم يطف على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
فجاءت بما لم يات فيما اتى به الـ ـمقنع فيما قاله والمحلـــق (٦)
ادام لنا الله العصيدة ما غـــدت مصارين بطن الجائعين تنقنق (٧)
وما سالت الارياق ان عن ذكرهـا وطـاف حواليهـــا ثنـاء مخلـق

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدى ترفه وبين يدى غناه من المشروبات المتنوعة مـا يجـد: من شراب اللوز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛ ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلـو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب وابرد من مـاء الحواضـر المثلج؛ وما رآى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة

ألا ليت لى من مـاء الـغ مروقـا من الخمر قد سموه ماء على غلط

---

(١) الصياصى الحصون
(٢) الملعق الاصبع التى يلعق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة الباديين الى الآن
(٣) سيف البحر شاطئه
(٣) سيف البحر شطئه
(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر وأمثالها
(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل
(٦) للمقنع الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون التى عليه وفى جفنة لا يغلق الباب دونها مكللة لحمـا مدفقـة ثردا
وأما ما قيل فى المحلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته
نفى الدم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق
(٧) نقنق : صوت كنقيق الضفاديع

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض الـغ الفقيرة الجرداء عن الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسبيل

نعم ان مشروب الغ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد؛ وقد دارت قواف كثيرة حوله فى مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة الشاعر الكبير ابن الغ البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى المشحر؛ بقصائد كثيرة (1) فقال هو

هذا وانى قد رايت رجـزا	موشحـا محبرا مطـرزا
قد دار بين سيدين احـرزا	خصل المدى فى الفضل لما برزا
كلاهما لدى الصيـال بازل	متـى سطاعنا لـه منازل
هما هـلالا هالة الاكـرار	سلالتا الخيرة الابـرار
سيدنـا محمد ابـن احمدا	من صار فى قلب الحسود كمدا
وكفؤه سيدنا عثمانـا	من قد حكـى نظامه الجمانا
تجاريا فى حكم أمـر حدثـا	من صنع تشحير الاتاى عبثا
فعابـه الاول عيبا قادحا	فيـه ورده الاخـر مـادحـا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى؛	فصل القضيـة بقول منصف
فاعلم بأن صنعة التشحير قد	أحدثهـا ذوو المجانة فقد
أما الطباع المستقيمـة فلا	ترضى بان تفعلها او تقبـلا
لانهـا تسخم البـرادا	وربمـا تفسده افسـادا
والكأس قد شرط اهل الظرف	فيهـا النقـاء وصفاء الظرف
لذا تغالى الناس فى ماعونـه	وبذلوا النفيس فى شؤونـه
وريحه اذا غلا اسهك مـن	حوت رماه البحر صيفا فنتن؛
وشرط طيب الكأس طيب الارج	فضده اذن تمـام الحرج ؛
لـذا تنافس ذوو المفاخر ؛	فى العود والمراش والمباخر
فما زوال الهـم والتقطيب	الا بمـرأى مبهـج وطيب
كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛	كـما استحال لونه وشمه ؛
فهـذه قطعا ثلاث حجج ؛	بينة مثل الصباح الابلـج
وكلهـا حسيـة طبيعيـة ؛	وبعدها رابعة سمعيـة
قال فتى الظرف ابو نواس	وهو كما قيل امـام الكأس
فى وصف خمر «لم يشنها الطاهى	بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

---

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فهو كما سمعت سمى الطبخا شينا فهلا نتبعن الشيخا
ان قلت ان قوله في الخمر قلت ومثلها الاتاى فأدر
فالقصد أن الطبخ شين الكأس بالنص والاجماع والقياس
فصح أن صنعة التشحير فذى بعين الانس يا سميرى
لا هم الا أن يخاف البرد جدا على البراد اذ يشتد
أو اقتضاه سبب فلا حرج اذن على ما كان فيه من عوج
لكن على السداد دون نفخ بقدر ما يسخن دون طبخ
فالبرد أيضا يفسد الشرابا ويغلق الشهوة بابا بابا
نص عليه جلة أكياس وكلهم في زكنه اياس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالغية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التى تجمع لذلك من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب أثر من آثار نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛ فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالغيات يطبخنه تيمنا ودرءا للعين والجن؛ ولذلك يعمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي بالعادة الوحيدة التى تصنع ليلة اول السنة؛ فأتذكر أن الناس يحرصون على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبت في داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة

الالبسة

الذى أدركنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف وسراويل الصوف ـ ويسمونها التبان ـ وعمائم الصوف، وذلك لباسهم صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون على أعاليهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء والعلماء وائمة المساجد؛ وفى الشتاء يلبسون الخنيف ـ وهى لغة فصحى ـ ويستورد من (أزآنيف) مكان في الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست أنا ـ ما شاء الله ـ خنيفة غليظة تحمر ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهيم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته ولم ندرك عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ماانقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه؛ ثم جببه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا فى ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المراة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر على الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض فى البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التى ما كن يعرفنه قد دبت اليهن لبستها وشيكا، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهوية والسلاهيم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومى او البزيوى قد صار الكل الآن ياخذ مكانته بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ دبيبها

الفـرش.

ما كان يعرف الا الحصر التى تستورد من قرية (أمتضى)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها فى الطى اكثر من بقائها منشورة تحت الناس ؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر - جلود الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابى الا فى عهد آبائنا فى ديار قليلة فى الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن وأقل القليل جدا جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة فى الحواضر من المضارب والزرابى والمخاد الا نحو دارين؛ على أن ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة

المعتاد في المساجـد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الامام والمؤذن - غالبا - وقارىء الحزب،

والحزب يقرا في اغ على القاعدة الناصرية؛ تتبع الاحزاب الا فى عشايا الخميسات فيقرا الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم بالشهر؛ ويقرا سبع من البردة فى حزب كل عشية؛ وفى المدارس العلمية تقسم الهمزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع خصوصا المجامع التى يحضرها اهل الخير، تحتوى على الصلاة الابراهيمية؛ ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ ثم الصلاة الابراهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولاريب ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور فى العهد الموحدى، ولكل طرف منه أساس من الحديث؛ وفى ليلة ختمة القرآن؛ ـ وتكون دائما عشية الاحد ـ تزاد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجـــال والنساء الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتى اهـــل الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفى بعض المساجد من جيران الغ توجد احباس لهذه الختمة

أما كيفية التدرير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد فى كل المغرب ضغطا وتكرير السور وغسل الالواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر نصفها الاول؛ الذى كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التى كانوا حفظوها الى الهاجـرة؛ ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميـــذ؛ وتكرد المحفوظات الى العشاء؛ وم نعصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله، لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد فى الغ البيضة الواحدة فى الاربعاء وقرشا فى العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما، ثم جاءت الدراهم فى الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة من البيادر بعدد معلوم من الآصع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤونته بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجورى ولا لهنة (1) فى الغ؛ وقد أدركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها الممتاز؛ وعاقد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين

المعتاد في المدرسة الالغيـة

كان سيدى محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الغ عام: ١٢٩٧ هـ مجددا فأسس فى الغ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ فى المدرسة بعد ان يحفظ القرءان يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوى؛ ثم اللامية لابـــن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقاقية؛ ثم المنهج وفى الرمضانات لا يقرا الا الحساب والفرائض والبخارى، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة فى كتب الادب بينهـم يبتدئون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالمواهب المدنية ثم لايزالون يترقون الى ان يقعوا بعد ان يشدوا فى نفح الطيب الذى هو الكتاب العالى عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرأ فى ايام الدراسة تفرغا للعلـــوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريرية، واما المعلقات والطغرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرأ فى العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا ؛ والمعتاد أن يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهـــم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ فى حفظ الشواهد والابيات التى تستطرد فى الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالحفظ لعدد من الابيات فى كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة فى عشايا الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين فى غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات فى كل المتون التى يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم فى الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التى تقرا جماعة قبـــل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين فى الالواح؛ يشققون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بألسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه فى القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون الالفيـــة أولا بشرح السيوطى ويتلـــو التلاميذ المكـــودى مناوبـــة ؛ ثم بشرح

---

(١) اللهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا. فقد قال اعرابى لاناس لهنوا ضيفكم

الاشمونى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحفة بالتاودى والتسولى ؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشى ؛ وللاساتذة الذين مروا بالمدرسة الالغية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بها فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الالغيين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتى احدهم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحيي الصغير أن ينبه الكبير ان لحن فى اعراب او فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فأسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ التطوانى فى وجهى كنصيحة أن لا أتسبب فى معاداة الناس؛ فياللعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الالغيين وكشيخنا سيدى الطاهر ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحى أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ فى هذا الميدان؛ وللالغيين ابيات سقيمة يفتتحون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان رجزا تقدم له ارجوزة فى أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ... الغ ومن أبيات الطويل: قول حسان فيما اظن فى الرسول:

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالغية من بينها قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع

دور المرأة الالغية

قديما يقول الحضريون: (المراة الفاسية؛ امراة وتجارة؛ والمراة البدوية امراة وحمارة؛ والمراة المراكشية: امراة وخسارة)

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير قليل فهذه المراة الالغية ككل نساء تلك النواحى؛ هى التى تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها فى الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البير بالقلة على ظهرها تاخذ القلة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابى الغ حيث لا يزال الشيح الذى

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتجمع منه ابالة عظيمة تنظمها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فان النساء الحاطبات يرجعن بالاغانى يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهيء الغذاء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقى طحنها الغد؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتى بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقر؛ ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهى التى تتولى ذلك؛ وزد على ذلك أن تتعهد مغزلها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهى التى تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تمـــلأ نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها فى دارها مـــع المسمع من المسجد، والمراة الالغية هى سيدة الدار حقا ـ فهى الخازنة وهى المتصرفة فى الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولـو لـم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف ـ؛ والطلاق فى الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: أن المراة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراى) اى اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما فى خارج المنزل، ومجمل القول أن المراة الالغية تقوم ازاء زوجها الذى لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم فى الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا فى النادر الذى لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق فى المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصا ايـام الجمعـة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان

الامثال الالغيـة

ان درس الامثال التى تطلق عفوا من الالسنة هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم فى كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها منى الكولونيل المستشلح: (جوستنار) ففرنسها ونشرها فى بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة أخرى ونحن فى معتقل: (أغبالو نكردوس) فامليتها على الوزير الكبير أخى سيدى محمد الفاسى؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منثور ومنظوم؛ وقد فسرها كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التى جمعها فى الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفـــاء بما فى مجموعة الاخ الوزير المحترم

الالعاب الالغيـة

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما العاب الصبيان فانها :

1 ـ الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانـوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم

ياتى كل صبى بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا فى كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر فى الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد عـلا الحصيات؛ ياخذه اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيتلقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقـد خسر اللاعـب؛ فيعطـى الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتـه؛ يبتدىء اللاعب فى التقاط ما انتثر أمامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الاعلى حصاة من يده فى الوقت الذى يلتقط فيه حصاة أخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح فى ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد أن لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد أن يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى أن يربح الجميع او يخسر الباقى، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمـت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذى كان له فان الرابح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكنترن)

2 ـ شلوك ـ لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى فى باطن كفه؛ فيسأل صاحبه: أشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربـا
اخنس يحنـى ظهـــره اذا مشى

الزور او مـــال اليتيم عنـــده
لعب الصبـــى بالحصى خسازكا

3 ـ ضما ـ لعبة أشبه شيء بالشطرنج؛ الأنشروطهاأخف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق

4 ـ طابت العصيدة ـ لعبة للاختباء؛ يختبىء صبى حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان فى المخابىء ثم ينادى احدهم بالشلحة: طابت العصيدة (تواتكلا) فيخرج المختبىء فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان

5 ـ لعبة الحبل ـ وهى رياضة نافعة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبى فى طرف وآخر فى طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو أقوى.

6 ـ لعبة الحمل ـ يحاول الصبيان فى أن يحمل كل واحد صاحبه الى غاية محدودة

7 ـ رماية الهدف ـ يضعون حجرا مفلطحا؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز

8 ـ صيادة اليمام ـ يحفرون حفرة وينصبون ازاءها حجرا مفلطحا غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحـــل بمجرد ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان فى الحفرة أن يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطى الحفرة فيبقى هناك حيـــا؛ فياخذه صاحب الحفرة

9 ـ لعبة الخيط بحجر ـ يعمدون الى حجر صغير قدر ريال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبتين فى وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط فى السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى)

10 ـ الخذروف ـ لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا أحتاج أن أتكلف وصفها تفصيلا؛ وهى بالاجمال: طرف من العود مدبب الراس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 ـ المضاربة بألفاطو ـ وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبـــة المستطيلة؛ فيدخل فى الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى فى محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 ـ المضاربة بالاحجار الصغيرة ـ وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمقلاع؛ والمقاليع على نوعين نو عيسمى (الـدى)

وآخر يسمى تيزيبـا يصنعـان من الحلفـاء ؛ ولا فرق بينهمـا الا أن الاول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها فى حبلى الطرفين

13 ـ اللعب بالكرة ـ ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تخاط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط

14 ـ المراماة بالماء يوم العنصرة ـ على أن هذا اللعب قلما يتعاطى فى الغ كما يتعاطى فى غيرها

هذه هى الالعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالغيين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء ـ ولا يختلط الجنسان فى لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذى يعجب به ان رآه أو سمعه فى المذياع ويقام فى الاعراس والاعياد والإفراح، يديره رئيس يعرف ان يغنى؛ وفى يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتى أرباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ فى الوقت الذى تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس ـ طاقات الحبق ـ وهو النبت الطيب الوحيد الذ ىيعتنى به فى الغ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار ـ وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التى تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والغالب فى الغ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من احواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفى هذا اللعب يوجد بين الاغانى اشعار الحب؛ والاشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهـداف فى عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر •

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب احواش؛ وكـان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ فى قطع ذلك فى قريتنا حتى نادت القبائل بتغريم كل من اقامه: ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعـاده جذعـا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

أما أغانى الالغيين فى وقت الحصاد وفى الدراس فكلها أذكار وحكم

واستغاثة بالاشياخ المعتقدين عندهم؛ وهى لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتلونه فى محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مأثورة يحفظها المسنون؛ وبالاجمال: ان عوائد الغ فى الالغا بهى عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص ؛ بل هناك عند غير الالغيين ازيد مما ذكرناه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا. مع الاختصار فى هذا القليل.

ما قيل في وصف إلغ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله ؛ ولكنني لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشوق اليه؛ او التشكى منه؛ وقد كنت انا نفسى صدرت منى اشياء من ذلك؛ فلأختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالغى ؛ سيدى الطاهر

نسيم الصبا هبى بنشر ربا الغ	ففى نشرها المعاشق الصب ما يبغى
تعلل شلوا لم تغادر يد النوى	به غير سمع للاملامة لا يصغى،
يحن الى تلك المنازل انها ؛	منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛	بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور أرضه	سماء حبا اثوابها الفجر بالصبغ
اذا أشمست أرجاؤها قلت انها؛	فتاة على أعطافها صفرة الردغ(2)
هى السؤل والمأمول لوسمحت بها	يد الدهر لكن شيمة الدهر أن يبغى

وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة على بن عبد الله استاذه الوحيد؛ من قصيدة مطلعها

بانت فبان جميل الصبر أسماء	وانهل من سحب الاجفان أنواء

يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى والدموع النار والماء

أرسى بأحشائه الشوق المذيب كما	المجد فى أرض (تحت الحصن) ارساء
أرض ثراها عبير؛ والنسيم شذا	والماء راح، وكالياقوت حصباء
وأربع طلعت فيها شموس هدى	فهى المنازل لا فرغ وعواء
تاهت بواحدها الغ فقلت لها	ايه فقد سلمت مصر وزوراء

(1) الفرغ من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل. هكذا فى اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى فى الردع بالعين لا فى الردغ بالغين. ولا ادرى ما وقع لشيخنا معانه يتثبت فى اللغة

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى

أياساكنا أرضا هى الارض وحدها — بها ما يشاء القلب والاذن والبصر
أجل بلاد الله علما ورفعـــة — ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا — بهاالدين والدنيا؛ بهاالوعظ والسمر
فما شئت من عيش هنيء وحكمة — وعقل رصين لا تحوم بـه الغير
بهم قلهم عيشى يطيب ومرتجى — فؤادى وجودى معهم لو يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان — تقاصر جودا عنهـم وان انهمر
ألا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛ — بروك لديهم كى يزايلها الضجـر
فأبصر ايضا عيشة مطمئنـة — ودهرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المـرىء لديهـم — فتضحى عيونى بالمنى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعذرى :

ليهنكـــم يا آل الغ مفاخـــر — فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم — تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛ — الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا

حى ربع الرباب من (تحت حصن) — منجـــدا زائرا لاوثـــق حصن
وبـوادى العقيـق فيـــه فعرج — بالمطايا واعمد الى خير ركـــن
واقـــرأن تحية مـــن مشوق — قـــاده لهواهم كـــل حين

وقال العلامة محمد يحيا الصحراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فمكث فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه — معنى وحصنكـــم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفــه — أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعـــــلا — ترقوا معالى حدها لا يوصف

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بهـــا؛ مطلعها

بالغت فى الارشاد يامن ينصف — أهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العينين بن العتيق الصحراوى

ياآل (تحت الحصن) ان يقع النوى — فبحفظ ودكم الفـؤاد زعيـم
لا زلتم مأتى الوفود وان دهت — سنة وناب مـن الخطوب عظيم
انا بلوناكـم فألفيناكـم — ما منكم فى النائبات مليـم
لم تضجروا فطباعكـم محمودة — والعرض مما يستذم سليـم
انتم مناخ بنى السبيل وحيكـم — أبدا بقارعة الطريق مقيـم
(ان امرءا جعل الطريق لبابه ؛ — طنبا وأدى حقـه لكريم) (1)
فعليكم أسمى التحايا مـا شدت — ورق عـلى أيـك وهب نسيـم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعمانى على قطعة محمد يحيا المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال

لله ما قـد هاج ذاك الموقف — وعيـون الغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهى فى — حسن اجل من العقـود واشرف
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا — ولكم بشعرهم المسامع شنفـوا
ذهل المودع والمودع للنـوى — فكأنما دارت هناك القرقف (2)
حييت الغ فما أجلـك مجمعا ؛ — لوفود شعر أين مـن يستنكف
علماء صحراء الفسيحـة جددوا — فيهـا عكاظا للنهى تستوقف
أحيا الولاتى فى الموات حدائقا — غلبا بفكـر فى المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضـه — وعليه أعـلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء الغ أغدقـوا — كرما وآدابا ومـا يستطرف ؛
هـم أفعموا من كل فن أكـؤسا — للوافدين وبالنوادر أتحفـوا ،
صف بالمفاخر الغ فهى جديـرة — وأنا بالغ فى المفاخـر أعرف

وقال بعضهم

أبواب الغ لكل آن تفتـح — وصدور من يرجون منه تشرح
ياامن يؤم أنغ فلوصك واقترح — ان الحوائج منك طرا تنجـح
فسيح ما أبصرته بسهولـه ؛ — كم كـان فيه للتجارة مربـح
أرسل لطرفك فى البسيط عنانه — فبسيط الغ كما تشاهد افيـح
لا أمت فيه لا اعوجاج كراحـة — مبسوطة منهـا المكارم تطفـح
من ذلكاستقت الطباع من أهله — (ان الاناء بما حـواه يرشح)

---

(1) بيت قديم مبدل. وهو هكذا فى الاصل
ان امرءا جعل الطريق لبابه — طنبا وانكر حقه للئيم
(٢) القرقف : الخمر.

وكتب الاديب محمد بابـه نزيل الـغ الصحراوى الى عميد الـغ سيدى على بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها

عرج بـ(تحت الحصن) يامن سادا — لترى بعينك فى الورى أجوادا؛
وانزل هنا لك ما تشاء وطولـن — وأطـل به التطواف والتردادا
واكرع بمعهده ورد اعلامـه الا — قطاب والإجراس والاوتـادا
وامكث هنالك ألف ألف راتعا؛ — بل بله عنـك الحصر والتعدادا
قوم تقفوا فى صيانة مجـده — ما رد للآداب الغ عمـادا
الغ وما الغ تلافى مجـده — أبنـاؤه الابـاء والاجـدادا
فاقرأ السلام على الفقيه وقل له — صيرت الغك للعلوم مهـادا
قبل يديه وأبلغن من خلـه — أن التشوق لم يزل مـزدادا

كان قاضى (أقا) ورد على الغ فقابله أدباؤها بقصائد ترحيب ـ على عادتهم ـ فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها

ما الغ غير شعوره فى شعـره — أسعد بمن ظفرت يداه بـدره
بالعلـم والادب البليـغ فخاره — ان قام كل فى الندى لفخـره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا — بالروض يونق من تدفق نهـره
لكن له أدب تدفق نهـره — مدا وهل أحد راى من جـزره
كل البلاد لها كنوز فى الغنى — وكنوز الغ جميعها فى شعـره
ما الغ الا البحر يزبد علمه — والشعر افضل مقتنى من بحره
بل روض مجد خضلت جنباته؛ — وشذا القريض تأرج من زهره
فبه يرحب بالنزيـل فينثنى — بجرا حقائبـه برائع سحره
فاذا افاض الشعر الغى فقـد — أدى بما أسداه غاية شكـره
وبمدح الغ وتركه يدرى الورى؛ — من كان فذا فى العلا من غيره

اصبحنا يوما فى الغ فى فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الغ بجباله يميس فى حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد الحسن بن على الصالحي، وهو ناشىء اذ ذاك فى اول عهده بقرض النظم فكتب الى

أهلا بوفد الخصب وفـد سماء — نالت به الغبراء كل بهـاء
حنت اليه وكابدت بفراقـه — ألم الغرام وصرحت بعنـاء
وتولهت حتى أتـاح لها الا لا — ه وصاله فتباشرت بهنـاء
نثر السحاب زمردا فتزينت — بعقوده وتبرجت للقـاء
فترى البسيطة كالعروس تبرجت — وتتوجت بزهورها كسمـاء

وترى الخليقة بعد ما قد كابدوا جهدا قد احتفلوا بكل ثناء
هذا بفضل الله ليس بغيره نهج لفقر عباده وغناء
لولا النبي المصطفى ورجاله ؛ عند الإله لما سقى بالماء

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم

ما ذا رأى من لم يكن بالرائي ثلجا يشع بلونه الوضاء
لا سيما ان عم حتى لا ترى؛ من لمعة في سائر الارجاء
والارض من أثوابه مياسة ؛ ميس العروس بحلة بيضاء
فكأنما وجه البسيطة فضة مصقولة براقة اللالاء
وكأنما كل الثرى حبب الكؤو س متى يشعشها المدير بماء
أو روضة أزهارها مبيضة مخضلة من مسة الانداء
والجو صاف والسماء كأنها مرآة من تعتادها بجلاء
والشمس قد القت لدى اشراقها، بشعاعها الوهاج في الانحاء
فجلا بياض الثلج في برقانه حتى ليعشى أعين البصراء
أنى التفت رايت أبيض ناصعا شرك العيون وفتنة للرائي
تهوى به لو كنت اجمع أعينا كي تحتظي في لمحة بمراء
لله وقت ضحى خرجت لنزهة ترتاد في البيضاء لا الغبراء
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛ لماعة الانجاد والبطحاء
واليوم طلق والحياة مسرة والقلب مجلو من الاسواء
والنفس تأنس بالطبيعة اذ بدت أسرارها بالطلعة الغراء
فوضعت فوقي معطفي والعقل لا يغتر صاحبه بصحو شتاء
فمشيت أخطو والبسيطة نضدت ساحاتها باللؤلؤ الوضاء
في جانبيها شامخات توجت منها المفارق باخضرار سماء
فكأنني في صحن بلور وقد غطيته بكرامة خضراء (1)
فأجيل أبصاري اجالة حائر في تينك الخضراء والبيضاء
متنقلا بلواحظي مترنحا مما أرى من روعة وبهاء
واللب مأخوذ كأن طافت به ايدى السقاة بخمرة عذراء
فأقول ياعجبا أفي ذا اليوم يبـ ـقى المرء تحت الشملة الصماء
من ذا يرى النعماء هذى ثم يبـ ـقى بعد في الجدران تحت كساء؟
من ذا الذى لا يستفز شعوره ببسائط مبيضة زهراء ؟

---

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) اى اناء وغطاءه .

أين القرائح أين ما يعتـــاد ان   يبهر عجيب أعين الشعـــراء ؟

* *

قضيته زمنا أجــول واننـــى   فكه الفؤاد بهذه النعمـــاء
متمتعا بمناظر ما مثلهـــا   من منظر، ما سامع كالرائـــى
وأنا أميس ومحجنى فى راحتى   كيلا تزل الرجـــل فى الارساء
حولى بياض ناصع يقق ومـــن   فوقى اخضرار طافح بصفـــاء
ما كنت أحسب أننى متهلل ؛   يوما هنـــا بملامح السمـــراء
حتى رايت اليوم الغا كلهـــا   بسهولها وجبالها الشمـــاء
قد جللت بالثلج يلمـع صافيا   كالثغر حين تبسم الحسنـــاء
فاهتز عطفى نشوة وأثارنـــى   ما يستثير خواطر الادبـــاء
فأحس من طيب الحياة وعيشها   ريا كأن قد عدت الحمراء (1)

* * *

العادة فى الغ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جـــاء الخصب والا فعكسه؛ فتاخر المطر فى سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقيل فى ذلك

الغيث فــى مـارس بعـ   ـد ما انقضى الصبر الجميل
كالــوصل جـاء بغتــة   من بعد هجران طويـل
بينـا ترى الجفـــاف يسـ   ـتولى على زرع الحقـول
والورق الرقيــق سيـ   ـم باصفرار وذبـــول
ولفحة السموم تــر   مض البطاح والتلـول
وصرصر الاعصـار يهـ   ـشم الفروع والاصول
واليـاس يرسل عـــلى   أهــل الفلاحـة الذهول
اذا بمــزن هـامـــع   مسترسل الغيث الهطول
يحيى البــلاد والقلـو   ب بتمــوج السيــول
فتسترد الارض زهـ   ـوها من الزهر البليـل
تلـوح كالحسناء فــى   مطارف وفى حجـول
فأينما التفت أبـ   ـصرت قشيبا مستطيل
فكــل حقــل غـــادة   ماست تجـرر الذيـــول
تبهــر مــن يبصرهـا   تحت نسيمهـا العليـل
فالحمد للـــه الــذى   روى بفضله الغليـل
ورد للربيـــع بالـ   ـحيا رواءه الجميـــل

---

١) لا ينسين القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الغ

ما الـغ فى غـير الربيـ ـع غـير قفر ذى طلول
تجهـــم ووحشـــة فلا مبيت لا مقيـل
جرداء لا روض ولا حوض بهـا لمن يجـول
لكنهـا فصل الربيـ ـع مـا لارضها مثيـــل
بســائـــط مخضرة يحوطها الجو الصقيل
فـأينما انتحيت منـ ـها تجد الظل الظليل
لا سيما عنـد الضحـى وعند زبـرج الاصيل
حييت يـا الـغ بهـ ـذا الفصل لا كل الفصول
فان يزل عنك الربيـ ـع فتحيتـى تـزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فـرح وحزن؛ فاقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك

يا طيب الغ فى الربيع فـما لجـوه فى طيبه من قسيم
ارجاؤه الفيحـــاء مخضــرة تقابـل الطرف بوجـــه قسيـم
فكلما اسمته نظــــرة اسمتها بين بسيط وسيـم
يموج بالصحة لست تـرى ذا علة هنـاك الا النسيـم
يفوز فيه رائـد العلـم ان فيه يخيـب حاطب او مسيـم
لـولا ينابيـع العلـوم بـه والذكر ما زارته ذات رسيم
مدرســة جـوار زاويـــة فجاور العالم فيه الدسيـم (١)
وان صقعـا مجـده علمــه لفالج القدح بمجد جسيـم

ومـن ذلك :

لله الـغ ومرءاها ومحياها وما يشم اذا حيت برياهـا
وما تحس به بين الشغاف وقـد قاربت ان تجتلى منها محياهـا
حتى اذا انكشفت بطحاؤها فـاذا الغ السماء التى تدرى ثرياهـا
سماء افق المعالى من يطل عـلى آفاقها الغر حياهـا وبياهـا
خصب القرائح لا خصب المزارع ما فى الغ فهو على الاماد محياهـا
ففكر الغ حيـاة للعلـوم ومـن أحيا العلوم على أرض قد أحياها

ومما قيل فى وصف الغ وهو وصف حقيقى

اوصاف الـغ متنافيـات عند القيـاس متناقضـات
ضـد لغد يتقابـلان كفارسين يتصـا و لا ن

(١) الدسيم الذاكر

مناخها بجدبه المغبر — مباين لعلمها المفتر
غير ربيعها بسيط يكلح — صقيعه وقت الشتاء يطفح
فلا تمت ارضها لاهلها — الا كمت حزنها لسهلها
فكل من يزورها مرات — بين فصول متفاوتات
لا بد ان يصفها فيشهد — حينا يذمها وحينا يحمد
ان شرفت أرض بنيها فبنو — الغ همو من شرفوا وزينوا
ومن اتى الغ فما اتاها — وانما اتى بنى رباها
فانه من علمها سيعجب — لكنه من فقرها سيكأب
فانها من جهة لمخصبة — كما ترى من غير تلك مجدبة
مجدبة كما ترى حقولها — لكنها مخصبة عقولها
فكم علوم من بنيها فائضة — وكم بثار فى رباها غائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة — وكم هضاب عندهم محجرة
روض الفهوم عندهم مزدهر — وما هناك قط روض يزهر
خزائن العلوم دافقات — ولا مياه متدفقات
قلوبهم فى العلم بين العين — والشيح والخلفاء للعيون
متعهم فى الادب الاندلسى — لافى الرياحين ولافى النرجس
فكم قصائد لهم عصماء — بين بسائط لهم جرداء
وطيبهم من عرف (نفح الطيب) — فى وسط ذاك الجرز الجديب(١)
فهذه الغ وذى اوصافها — وارحمتا لمن همو ألافها
سبحان من يجعل فى الاضداد — لحكمة منفعة العباد

ومن ذلك

نعمة الالغى فتح — لكتاب وسط داره
بين رشف الكؤس — واصطلاء حول نساره
يتملى قابعا بيـ — ـن التفافات ازاره
بنعيم كان فيه — دفتر قطب مداره
والاعاصير تدوى — فوقه أو فى جواره
فيكاد البيت ينـد — ك جميعا بجداره
جنة الغ وان حفت — بأنواع المكاره

ومن ذلك :

الغ بسيط بلقع مقفر — لا روض فيه لا ولا عين
تجول فيه ما تجول فلا — تبصر فيه مونقا عين

---

١) الجرج بضمتين من الارض التى لا تنبت

شتاؤه سم ذعاف لمن يقطنه وان له كن
يعصف فيه صرصر صافر كانما يقطنه جن
تشقق الاطراف منه وان حوليك دار الصوف والقطن
وتجمد الصهباء من قره اعظم مما يجمد الـدن
حتى مياه المزن في افقه تكاد لا يندى بها المزن
كم قرعت من فم قاصده ندامة وحسرة سن
لولا علوم من بنى الغ لم تصخ الى اخباره اذن
ولا رأيت قط من مبصر الى تجاه ارضه يرنو
لكن قطرا زانه اهله يعلو بهم بين الورى شأن
هل البلاد غير سكانها بهم لها الزين او الشين

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك

اذا احتفلت ءاداب من كان فى الغ تصاغ كما تبغي وفوق الذى تبغى
فاية ارض حول الغ متى شدا من الغ بليغ بالقصائد لا تصغى
فالغ لكف الشعر والناس كلهم شهود على هذا بمنزلة الرفغ
لئن كان قفرا فهو كالخد ليس فى جوانبه الا طلائع من صدغ

ومن ذلك :

الغ المعارف والاداب بلدتهم لا الغ مال ولا الغ الامارات
من رام علما وآدابا وحل بهم يقر عينا بآيات وآيات
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم مجد القصور ولا مجد الرياضات
فالعلم حرفتهم والبحث شيمتهم والفهم حليتهم بين النديات
ان تسألن الصبا عن زهر أرضهم هبت عليك بآداب ذكيات

ومن ذلك :

الغ فردوس لمن منيته صحة الجسم وجورائق
ونسيم مستطاب فى المصيـ ـف وماء مستلذ فائق
أى مصطاف عجيب لوبه خضرة الروض وماء دافق
انما المصطاف أشجار لها ضفة النهر حفيف شائق
فاذا اعوز هذان فما بعد يهفو لهواه عاشق

كنت مررت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادى (ترت) فصدرت منى قصيدة فى وصفه ؛ ـ مطلعها

وضيق واد بترت طويل كما امتد للماء خرطوم فيل

ثم شفعها الاديب الالغى سيدى الطاهر بن علي بن عبد الله بأخرى مطلعهـــا :

لك الفضل ترت على ما بـــه   يخاطبـك اللوذعى الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعى من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهـــذه القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالغى سيدى الحسن بن على بن عبـــد الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

اتتنى الـغ بـــدمع يسيـــل   كجدول مـــاء بخد اسيـــل
تنادى الاديب الاريب الـــذى   تحلى بعز ومجد اثيـــل
جمال الوجود ومفخـــره   وكنز المحاسن لا لامثيـــل
رئيس المعـارف مختارنا   شفـــاء لكـــل فؤاد عليل
تقول اليس من الحيف ان   تبجل (ترت) بذكر جميـــل
اينشر ذكر لترت ومـــا   حظيت لديكم ولـو بقليـــل
وما ترت الا ممر يشيـــ   ـــب وينسيك أهلا وكل خليل
يذكر ضيقـــا ممر الصرا   ط اذا ما مررنا به فى مقيـــل
عـلى أننى للعـلا محتــد   وأنتم سليلى ونعم السليل
ولكن هجرت فاحفظنى (٢)   ثناء لغيرى وحـقى جزيـــل
اينسى بسيطـى ومـا فوقـه   وما يحتوى من سرى نبيـــل
وما وسطه من ربا للزهـــو   روخير قرى يتلقى النزيـــل
وما بين ذلك للزائـــر   ين وما مهدوا منسواء السبيل
أتنسى علوم من النحو كـــم   تسر مبردهـم والخليـــل
اينسى نحارير فى كل علـــ   ـــم هنا ما لهم من مثيـــل
اشادوا المعالى وما فيهـــم   سوى مستحق اعتراف الجميل
الا فانظرن يا ابن الغ الـــى   مكانـة الغ المقـام الجليـل
ففى كل ناحية يستحـ   ـــق الغ اهتبالا بكل دليل
وما الغ بين البـلاد ســوى   عزيز وما (ترت) غير الذليل
أينفى العزيز ويبقى الذليـــ   ـــل اذا كان فى الشعر قال وقيل
الا غيرة منـك الغيـــة   فتنسف هذا الكثيب المهيـل
لعلك ترأب ما قـــد صدعـــ   ـــت لتشكر عن الغ فى كل جيل
فالغ سرت تحت ذيل الدجـا   كطيف خليل سرى لخليـــل
تراود انصافها بالقريض   منك ومن صنـوك المستطيل

---

(١) والقصيدتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)
(٢) احفظـه : اغضبه

فان القوافــى لتنصــف مـــا　　　تسارع انت وذاك الزميـــل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالغى ولا الادب العـام

فقلـت

حنانيك الغ المكان الجميـل　　　فما لك بين القرى من مثيـل
اما كنـت فى بهجـة فــذة　　　اليك بها كم وفود تسيـــل
اما كنت روضا اريضا فمــا　　　يزورك الا نسيـم الاصيــل
قرائح مـنـك يفجرها الــ　　　بيـان المروق بالسلسبيــل
اينكر شانك بين القــرى　　　لدى وان لم يكن من دليل ؟
اما فيك شعر بليـغ تــرى　　　لروعته كل طود يميــل
أما فيك علم تفننه الــ　　　فهوم كما جال سيف صقيـل
اما فيك صوفيـة لهـم　　　عزائم مـا لهم من عديـل
اما فيك رى لكل العطــا　　　ش فيصدر كل ببرد الغليــل
ثراك شفاء لكـل فتــى　　　يزور مقامك وهو عليــل
صباك تفوح بخلق بنيــ　　　ك تشـم كزهر بروض بليـل
فيا طالمـا صح من شمهـا　　　الا اعجب لذى صحة بالعليـل
شرفت شرفت الى ان تشـر　　　ف حوليك كل قبيل قبيــل
فلله ذاك البسيط فكــم　　　راى من عليم فصيح نبيل
اذا قال قافيــة فــذة　　　يرددها مثــلا كـل جيل
او ان حبرت كفه مهرقـــا　　　ترى كعذار بخــد اسيــل
كذلك يا الـغ انـت ومــن　　　يكذب انك قطر جليــل
فلا عجب ان يطيـب اليــ　　　ـك ومنك لاجلك كل سبيـل
فيدرك (ترت) نصيب ومــن　　　تجاوره فهو ايضا جميــل
فانت تنيل الجمـال لـتــر　　　ت واشباههـا ولنعم المنيـل
فكل مديح لهــذى الجهــا　　　ت وكل قريض ففى الغ قيـل
ايطرق لى بالحصـا وانــا　　　ابيت بالغ وفيهـا اقيــل
وفى كل وقت انث عن الـ　　　ـغ مفاخر ما ان لهـا من مثيل
أمنى عقــوق يظن لالــ　　　غ ؟ فيالك ظنا كبرق يخيـل
وكيف وانى أوالى الثنـا　　　ء عن مرقـم لم يكن بالبخيـل
سينكشف الدهر عمن يكـو　　　ن لالغ المعارف خير سليـل
اذن يعرف الناس منى ومـن　　　اخى خير نسل وخير زميـل

ولنختم هذه القوافى الالغية بأخرى كانت صدرت منى يوما قبل أن آلف الالغيين وأمازجهم اثر ما نزلت بهم فى منفاى عام ١٣٥٦ ه

(يقولون واقـول)

يقولون صبرا انـه بك اجدر ... فقلت نعم لكننى كيف أصبر ؟
وقالوا تكلف ما استطعت فربما ... فقلت لقد حاولته ثم اقهر
وقالوا تجلد فى الندى فقلت قد ... أباغت حينا بالدموع تفجر
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد ... تباعدت لكنى على الرغم احضر
وقالوا اتبكى كل من قد تركتهم؟ ... فقلت لعيش بينهم ليس يكفر
وقالوا الم تقدر تناسى ذكرهم ... الى أن يعودوا ؟ قلت لا لست أقدر
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت اننى ... على كل حال اننى لست اغدر
وقالوا قداستعبدت بالشوق قلتهل ... يفى فى النوى الا فتى متخير
وقالوا السنت الحر ؟ قلت لهم بلى ... ولكننى من ودهم لا أحرر
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا ... ومن هو أزكى مخبرا حين يخبر
فقلت بنو الحمراء شيخا ويافعا ... وليس كراء من بذلك يخبر
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم ... ومن مورد منهم حميد ومصدر
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم ... سيورد من شتى البحار ويصدر
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما ... لبحث عويص دونه الفكر يعثر
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة ... كجذوة نار فى يفاع تسعر
وقالوا سبى المراكشيون عقله ... فقلت انا مختارهم ما اخير
وقالوا اما فى الغ والاهل غنية ... فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهراء ... فقلت متى فى البدو فضل مشهر؟
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة ؟ ... فقلت وءاداب بها كان يذكر
فقالوا ألم تولد بالغ ؟ فقلت هل ... تظنون انى للولادة منكر ؟
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامحا؟ ... فقلت لانى بعدكم متحضر
وقالوا اهذا كل ما كان وحده ؟ ... فقلت وخلق من كلينا مغير
وقالوا سيكفيك التخلق امره ... فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
وقالوا وما التفكير ؟ فقلت أبعد ذا ... يعنفنى ان صحت بالشكو معشر
فانى يكون الحر بين معاشر ... مداركهم لم تدر كيف التفكر
امن بعد هذا تستطاب بالغكم ... حياة بتنغيص الجمود تمرر ؟
ومن عجب أنى أجيش بفكرة ... فاودعها شعرا بليغا فتدخر
فيحسب من فى الغ أنى خائر ... جزوع عظامى بالاسى تنكسر
فيعطف بعض كى يسلى وما درى ... بان صفاة الحر لا تتأثر

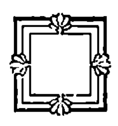
وما هى الا وثبة من خيالــــــه	وفورة جاش تستهل فتزفـــر
فتودع فى الاشعار خير ذخيـــرة	لكل اديب لا فح الفكر يشعـــر
فكم شاعــر فحــل تخيــل نكبـــة	لكيما يجيد القول فيها فيبهـــر
فكيف أنا يا قوم أفلتها وقد	عركت بها عركا يقض ويسهـــر
اكل مصاب فاض بالشكو جـــازع	خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
فما كل ذى رزء اذا ان خائـــر	ولا كل ذى شعر شكـا متأثـــر
اينظر من اى البراكين ان طـــغى	من احشائــه الاتــون الا التفجر ؟

هذه القوافى هى التى وقفت عليها مما قيل فى الغ التى كنت قلـــت فيها من قديم متشوقـــا :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة	بالغ وحولى الشيح يطهى به سكسو؟
وهل اردن يوما مياها بعنصـــر ؟	وهل يبدون بردى لطرفى وآمقسو؟

والشيح هو الوقود الوحيد فى الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون به لا (كسكسو) والعنصر بفتحتين بير غذبة المـــاء امام دارنا وبـــردى بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى وأمقســـو: بفتح الميم وسكون القاف جبل عـال فى الشمال الشرقى من الــــغ والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثـيرا من الادبـاء قديمـا وحديثـا

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة	بواد وحولى أذخر وجليـل ؟
وهل اردن يوما ميـــاه مجنـــة ؟	وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

١ ـ القسم الاول في المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون فى الغ وفى اكادير ايزرى وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان
الفصل الاول في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥هـ
الفصل الثاني في المرابطين أبناء الشيخ الذين لا يزالون أحياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

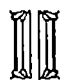
٢ ـ القسم الثاني في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوفقاويين والاغوديديين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الغ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول
الفصل الاول في الاغوديديين
الفصل الثاني في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسوا أصالة من الالغيين .
الفصل الثالث في الوفقاويين
الفصل الرابع في الايغشانيين
الفصل الخامس في المانوزيين

٣ ـ القسم الثالث في أساتذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف .
وفيه فصلان :
الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف
الفصل الثاني في أساتذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم في القرءان

٤ ـ القسم الرابع في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :
الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .
الفصل الثاني في مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ ـ القسم الخامس : في اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم . أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم لحمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هي اقسام الكتاب . وارجو من الله ان يوفقني ويسهل لي حتى يتم كما قدرته وخزرته في نفسي . فانه ان تم على ذلك النمط سيؤدي مهمة تحيى غالب الاسر السوسية أو بعضها على الاقل ؛ كما ستنشر من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه . وانا منذ الان اقر بعجزي وبقصر باعي . وبكوني بلا ريب اقع في اغلاط . ولكن حين بذلت جهدي وافرغت ما في وسعي فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعيديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولـــده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له ءاخر
على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيرى
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزى
بلقاسم بن على بن أحمد بن عبد الله بن سعيد التيييوتى
احمد بن بلقاسم ولـــده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمان
ابراهيم بن سليمان ولده
أحمد بن صالح بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد أول فقيه في الصالح
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيييوتى الفقيه الاول فى القاسميين
الحـاج عـلى التيييوتى الفقيه
الحاج عبــلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدى محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد
الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية المنبع الثانى لمجد

العلامة سيدى على بن عبد الله
الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيـــدى عبـــلا بـــاولا
النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
الفقيه سيدى البشير بن الطيب
الفقيه سيدى موسى بن الطيب
النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا أم الشيخ الالغى
سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
سيدى احمد ابو الفـــدام
الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التاهـــالى
سيدى احمد بن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
النجيب المعتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
العلامة سيدى المدنى بن على بن عبد الله الصالحى

سيدى عبد الله بن سعيد التهالى

نحو ٩٥٥ هـ - بعد ١٠٥١ هـ

نسبـــه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك؛ اوحسين بن مسعود على ما في بعض الرسوم اوحسين بن يبورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان يبورك انما سقط في بعض الرسوم •

هذا هو الجد الاعلى الذى تنتسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو على شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط رأسه غير معـــروف الا رجم ظن ؛ وأقاويل تتداولهـا الالسنـة ؛ والمعروف أيضا مـن سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما يجـد ما يستضىء به فى طريـق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبـذل جهدنا في ذلك؛ على حسب ما يتراءى لنا من كلام المؤرخين ومن رسـوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهنـاك •

ما شـاع عنه فى الالسنة

شاع عند أولاده شيوعا متواترا أن أصله من(تامدولت أوقا) وأن ولادته هناك ثم انتقل بعد الى أكادير نتبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدى يحيا بن عبد الله النملي (وشيخه هذا في التاريخ معروف موصوف بانه شيخ يربى المريدين؛ ويرشـد السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالملا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفى نحو عام ٩٩٩ هـ) فلازم خدمته على سلب الارادة؛ فيحـكى انه وكله على غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضياف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مـز؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : انني لاعرف مذاقه؛ فقـال له الشيخ أو لا تعرف الحلو من غيره فى البستان وأنت القيم عليه من أول يوم؟ فقال : انك يا سيدى لم تاذن لى فى الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم فييوم اخر وقد تكاثر اضياف اخرون

---

(١) مثل هذه الحكاية توثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزوانى •

عند الشيخ؛ امره ان يوقد الفران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما حمى وطيسه يعلمه باتقاد الفران حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان اتقد فادخله فبعد لاى قال الشيخ لاضيافه قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه لا يبعد أن يلج الوطيس لما سمعه منى من الكلمة الفارطة ؛ فوجدوه داخل التنور جالسا؛ واللظى فى الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان من رؤوس اظافير رجليه فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛ فامره ان يسكن فى وادى (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد فى اهل البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره ثم فتحه؛ فاذا به يرى الوادى كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له هذه جنودك؛ تسلط على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يد اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك •

التطفيات التي اسسها في القفار

ثم يقولون ان من حكاياته ان له نطفية فى (دراووغ) فمر به هناك بعض الملوك بجيش كثير ؛ فاضر بهم العطش فى ذلك المحل ـ وهو معطشة الى الان؛ ـ فقال الملك لمن حضر من يقدر ان يسقينى انا وجيشى؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛ وهو مشتمل بردا ء ؛ فقال له أنا أسقى الجميع ؛ فقال له : أو تقدر على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له سترى؛ فمال بالجيش الى نطفية له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يناول لكل من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش •

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه فى القفار؛ فيؤسس النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته ؛ فقام بنوه على ذلك الى الآن ؛ وءال أكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة ؛ لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتى عشرة؛ وكانت تسمى بنات الشيخ عند المتحدثين وهى

١ ـ (انبد نتومليلين) فى الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادى (تامانارت)

٢ ـ فى (بو الجير بين تاكجكالت نيت تيكنى) وبين (اوسا)

٣ ـ فى الطريق بين (اداى) و (افران) فى قفر هناك

٤ ـ فى ايخف ايغير وينتكونا ؛ بين (تيمولاى) و (بوزاكارن)

٥ ـ فوق المراكع فى (تازاروالت) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنتين أخـريـيـن
٦ ـ فى ءايت (بومريم) فى مسجد بناه هناك
٧ ـ المذكورة فى (دراووغ) التى اصدرت ذلك الجحفل اللجب ريا حتى ضرب بعطن فيما يقال :
٨ ـ فى (سمون ايسان) فى القفر الذى يوجد فى جنوبى الغ
٩ ـ فى (تينوضفيوين ييزين) فى طريق تامانارت من الغ
١٠ ـ فى (فم افيفاغ) فى شرق (ءاكجكال) بالغ
١١ ـ فى ءاودرى بتهالة
١٢ ـ فى (اكرض ايملالن) بـ (ايسى)
هذه هى النطفيات التى تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذى اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان
ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما يضاف الى الشيخ ٠
تلك هى الترجمة التى يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهى فى الحقيقة لا تتجاوز فى بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التى يهرف بعض اصحابها بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدرى؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك لاننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ وان الامانة التى تدل عليهـا الحكاية الاولى ؛ وخرق العادة فى عدم الاحتراق فى الحكاية الثانية ؛ واصداره جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل بقاء سنة الكون على ما هى عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعـة الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛ ولا ننتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بمـا تثبت به المعلومات؛ واين السند الذى يثبت به هذا ؟ على ان امثال هـذا الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقـدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف فـى امكان وقوعه الاغبى جاهل ؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى ؛ لكـن المحدثيـن يوثمون من اطاع ءامره فى مثل دخول الفرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق فـى معصية الخالق؛ الوارد فى مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه فى سرية ان يتساقطوا فى نار امرهم بايقادها٠ هـذا رأى المحـدثين بـل رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلـم عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقـع لبعض الصوفية فى هذا المقام٠ وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية وجهة هو موليها استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا فى كل قضية على حدة ٠

قرأت معنى ترجمة الجد التى يتداولها احفاده؛ وتعال معى لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التى بايدينا وبين العبارات التى وجدناها لبعض المؤرخين. فلعلنا نجد فى اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل اعلنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التى يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التى يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقى الشعاع التام على حياته

١ ـ نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفى؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار تزوج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الايمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله على (بن‌حسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة ـ كذا ـ قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هى ثيبة (لها طلقة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب فى هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما فى وجهى الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث‌درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز ـ كذا ـ واربعة حروز.

الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلوبه ٦٨ حجـ ... ابراهيم ٨ ... (١) ٧ دراهم وذلك (١) ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخه من اصله بلاولا وكتبه من شهد فى المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثانى عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن احمد بن ابى بكر الغسانى وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

---

١) بياض فى الاصل

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح • وقد رأيت في ءاخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تتمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأيته •

٢ ـ فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (••• (١) •••) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اهـ • كما نقل من أصله ؛ وقد سقط اسم الموقع الاصل واما ما في الطرة فهو بخط ءاخر لهذا القائد الذى سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذى اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هـــذا القرن

٣ ـ الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجبه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادى ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى •••• لطف الله اهـ كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذى تركنا فيه البياض

٤ ـ ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه يبقى المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرابطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس ءال تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

---

(١) بياض في الاصل •

٥ ـ ... وباطنا يفزع اليه من كان ملهوفا فيغيثه؛ ومكسورا فيجبره ومن نزغ الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم فى طلب قضائها فقضيت؛ ذو بركة فى جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشدهم من البلاد واقطارها وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه وعظموا حرمته من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة فترك أولاده متمسكين بأوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوقير وان يدخلوا فى جملة المبتعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فنرغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته مولانا أبوالعباس أحمد الشريف نصره الله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بأمثالهم فى التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته فى اهل الخير والصلاح ؛ والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ بأوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد ابن على بن ابراهيم التوييتى لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عمن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن والحسن بن محمد بن على بن داود السملالى لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به.

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن محمد بن سعيد السملالى؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بثبوته وصحته احمد بن على بن عبد الله السملالى؛ لطف الله به ؛ ومحمد بن على بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملالى لطف الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه العمل على ما رسم اعلاه ... فيه أعلم بن محمد التملى به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بصالح المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام أولاده بعده باقتفاء أثره ... بسلوك طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛ والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلاما العبيد الذليل؛ لربه الجليل أبوبكر بن عبد الله الناماناراتى؛ كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد ابن عبد الله بن عمر التملى لطف الله به؛ وسعيد بن على بن ابى بكر السملالى

لطف الله به فى الدارين آمين وعبد المومن بن محمد بن على بن محمد الديا
العصماوى وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجمارى لطف الل
به ؛ ومحمد بن عبدالله بن عمر الساموكينى بمنكب ابى القاسم عفا الله ع
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وع
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين
وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحا
عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الديانى عالم الغ فى عصره؛ وابراه
ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفى المذكور عنه انه كان من قادة الناس فى عص
وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالى احد العلماء العباسيين المشهورين؛ و
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه فى قومه؛ وان كنـ
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة فى هذا المقام؛ الا ممن كان لايستان
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين فى حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كل
علماء كبار فى عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضي
عند الناس علما وديانة .

ثم ان هـذه الوثيقـة قد وقع فيها بتر قليل فى مفتتحها؛ وان كان ذلك
يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثي
بين وثائق التحريرات والظهائر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على
المقصود بها هوالشيخ صاحب الترجمة الذى سقط اسمه فيما سقط من أول الوثي
وقد كتبت الوثيقة كما ترى فى سنة ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بكث
ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وه
السلطان الذى رفعت اليه الوثيقة سمى فى وسطها كما قرأته بامير المومن
احمد؛ وفى ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر اسماعيل. من سنة: ١٠٨٢
هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احم
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد مـ
اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظ
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات أخر
ويمكن ان الكاتب غلط فى اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعـ
وابعد ؛ على انى الآن لا استحضر كيف حال سوس فى سنة ١٠٩١ هـ وتحتا
هذه النقطة الى تامل طويل ؛ ربما نتفرغ له بعد ان شاء الله ؛فنعلم هل احمد
محرز فى سوس فى ذلك العهد اولا

ثم اننى راجعت فوجدت ان سوس فى هذا العهد تحت احمد بن محـ
الذى لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة ـ اذن ـ الى احمد بـ

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالى الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ ـ نقل من ام صحيحة بعد الثناءين؛ الحمد لله؛ صير سيدى عبد الله ابن سعيد المرابط من وادى (ايمور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى من (اكرسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادى ايمور فى البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت تصييرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع فى جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها فى ذلك بسببه ؛ وعرف قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ أوائل ربيع النبوى سبعة وأربعين وألف أحمد بن بلقاسم بن أحمد الكرسيفى لطف الله به وهو عدل ورضى لموته ؛ بلقاسم ايضا؛ ما فى النسخة المنتسخ منها نقله بأول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن ابراهيم ومعه فى النقل عبد الله بن على ابن أبى القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اهـ كما وجد ؛ وفى قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ ـ منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدى بلقاسم والدهما الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله فى ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله فى الرباع والعقار وحازته بأتم الحوز؛ وفقا تاما وابرآه فبرىء؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفى رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفى ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به فى الدارين؛ بالنبى صلى الله عليه وسلم امين امين امين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى متم هـ

ثم يليه اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له فى مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن على وفقه الله .

ثم يليه اعلم بثبوته وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمد السملالى لطف الله به آمين. انتهى ما فى الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريخ أوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن على بن ابى القاسم الساموكنى ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال من شهده من أصله ابراهيم بن على بن ابراهيم الساموكنى ؛ لطف الله به آمين.

٨ ـ يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفى رحمة الله علينا وعليه ؛ فأحاط بميراثه زوجه زينب بنت أحمد الغرموزى وبنوه السيد محمد والسيد احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وماماس ثم توفيت زوجه المذكورة فاحاط بميراثها ابنها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه عبد القادر وعلى بن يحيا بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب اللهعليه انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ ـ نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى لافتراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الغرموزى مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد بوادى ايمور التهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها العامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين فى أكرسيف وأحوازه ؛ والجرفة وأحوازها ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛ واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) ـ اى اطلالا ـ غامرا وعامرا؛ سهلا ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه خمسة وعشرين مثقالا ذهبا سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛ ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمزكز ؛ على العين بأعلى اكرما ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك بحساب الناقش (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك ـ انفصالا قاطعا جميع الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعا بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرم عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به ءامين واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب لطف الله به ءامين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه ءامين انتهى ما فى الام وقوبل باصلــه مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيــع الثانى عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن على بــن يعقوب بــن ابراهيم الغشانى لطف الله به ءامين وعبدربه احمد بن على بــن محمد بــن داود مــن مشمس جدمانة اغشان لطف الله به ءامين •

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد ابن على الغشانى ؛ وفقه الله آمين اه كما وجد

١٠ ـ ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتــى زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرمــوزى انهما تصدقتا على المرحوم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد من زاويــة ايمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة واللــه اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد المعول عليه بذى قعدة عام ١٠٦١ هـ بلقاسم أحمد بن سعيد الكرسيفى لطف الله به آمين •

اقول لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتى بلقاسم واحمد• فيكون الكلام هكذا بلقاسم بن احمد الخ ••

١١ ـ اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن احمد العسرى ـ به عرف ـ البعقيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد اللــه المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبــد الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابرأته منها ابــراء صحيحا حالا ومئالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريــخ رجب عام ثلاثة وعشرين وألف انتهى من أمها بعد المقابلة والمماثلة ؛ قالــه ناقله بأوائل ذى قعدة عام أحد وثمانــين وألف ؛ عبد ربه محمد بن عــلى بن احمد بن يعقوب امرح البعقيلى السطحى غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبــد الواسع المرزوغى البعقيلى؛ لطف الله به اه

١٢ ـ وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينــوب (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى البعقيلى وهى الثيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامــا اقامه مقامه (فى كل مايراه وظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ ـ شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيا الكرسيفــى انه حضر للمرابط السيد عبد الله بن سعيد من ايمور حين ذكر جهاز مريــم بنت عبد الله البعقيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبدالله بــن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلي وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اه •

١٤ ـ المرابط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا من تيظاهارين الساموكني وطنا وتوفي بتيظاهارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثاني عام اربعين والف ؛ هذا ماقاله الرسموكي في كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره•

١٥ ـ عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا الساموكني وطنا كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مربيا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقى اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى في مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفي بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكي في (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالغي من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكي رحمه الله في تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعيني رسم تصيير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده في ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ماكتبه شيخنا على نسخة للحضيكي نقلته من خطه

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد ألقت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التي نحن اليوم في صدد جلوتها الى أعين القراء ؛ فلنتتبع هذه المآخذ المتقدمة مأخذا ـ مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه تصريحا او تضمنا •

١ ـ في وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لنتساءل اهذه اولى زوجتيه ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا في الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذى رأيته فى وثيقتى ١١-١٢ قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعقيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى وبلقاسم المذكورون فى الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب كما ترى ذلك فى رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحزر مبتدأ حياته على اقل تقدير فى نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛ هى اقل مايحتاجه من كان لابد -بعد ان يحتلم- من انيمر تحت يد شيخ من شيوخ التربية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيى ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس بستانا قام عليه حتى أثمر ؛ وأما اذا كانت هذه هى الثانية من أزواجه فلابد ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا فى سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذى يحتاجه بعد أن تزوج الاولى فى العادة وفى الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس سنوات على ما كنا قدرناه فى الزمن الذى يحتاج اليه فى الاتصال بشيخه؛ على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان فان ولادته فى نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهل لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتطاول الى المعدوم فقد يتطاول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم - ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينبنى هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرنى الفقيه سيدى على من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛ التهالية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى محمد بن عبد الله ؛ والافرانية وهى أم سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب لها معروف ؛ ولا يدرى من هى أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا مخطوطا بين رسوم المرابط سيدى عبد الله بن محمد من ءايت اورخا من اكادير ايزرى؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كل ما هناك

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمده من ذى النورين جسر الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضيالله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضله

ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الثيب التى ربما كانت للشيخ عبد الله بن سعيد ـ ان تزوجها اولا ـ مثل ما كانت السيدة خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه في حياته ـ والاسرة قائمة؛ والضرة موجودة بمرأى منها ـ فقد وضحت لنا نفسيتها واخلاصها لزوجها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك في رقم ١٠ فلئن قيل انما ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين أولاده الاربعة ؛ حين خمس ماله بينه وبينهم في أواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار ؟ ثم ان فى وصفها هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفى.

ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عدة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ ﻫ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا

٢ ـ فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنة وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا ـ نتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه ؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ ﻫ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصل بذلك الى الاستظلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ ﻫ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التى يكلل المرء بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كان يجتهد فى الارتقاء الى المعالى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة فى أيام سلطان واحد ؛ لما يحمل على مجد يتزايد ؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله ٠

على ان هناك فى عصر مولاى احمد الذهبى الذى افتتح بسنة ٩٨٦ ﻫ وانتهى بسنة ١٠١٢ﻫ لنظرة خاصة الى امثال هوءلاء المتزيين بالصلاح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرات فى وثيقة سقطت الى ؛ كتبها احـد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبى هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لايتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى يبورك بن‌الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه‌السنة بنحواربع‌سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثيريـون والركراكيـون والفلاليون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بغمار الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هوءلاء

هذا ما كان قرره احمد الذهبى سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحامن التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف أن صاحب‌الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هـذا التوقير الجديد وهـذا الاحترام الفائـق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطـان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون منزجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل‌السلطان الذهبى نفسه هو الذى راى منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهالينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامـة كما يسميها أهالينا ؛ مما لابد أن‌تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان‌يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتـهم والسلطان الذهبى الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنـازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذ االباب واحكم اجافته؛ الاباعث آخر جديد يحفزه فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتا خاصا؛ وقد قرأنا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبى اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوفقاويون والايغشانيون والحربيليون ؛ولايزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغـرم اكليـد) كما لايزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكينيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الـذهبى ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية : الكبيرة اذ ذاك ؛ وقـد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحـرب المشبوبـة بين الذهبـى والقـبيـلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتـت شملها والغالـب ان هـذا المحـل المضاف الى سلطان بالغ هـو منزل احمد الـذهبى ايضا ؛ كـمـا رأيت هـذا

المحل الاخر هو الذى اضيف له ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران المعدود ايضا من بين منازله فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريرات .

ثانيا ـ ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنقع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافى والقفار وكان يسميها بناته؛ فكان مما أوصى بـه بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حينا بعد حين؛ فكان اولاده عندهذه الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هـؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهيد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جراثيمه الا من حمأة الالحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محور الاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؟ وانه نهاهم أن يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يألفون التكفف وجمع الزيارات ؟ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك ـ لعمرى ـ منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدى الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتى

هي احسن في المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛ فاية منقبة افضل من هذه يالناس؟

كدنا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد او كنا عدمنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايغشانيون والاكماريون والساموكنيون والتامانارتيون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا مارأوه وشاهدوه في الشيخ ومن خلفه في مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عمن رآه وشاهده في الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما في الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هوءلاء المتحرين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هي ـ والله ـ شهادة لها عند ذوى الالباب مكانة مكينة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له .

كثير من الذين حظوا بالشهرة في حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول ذكرهم ؛ لايكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك الشهرة في الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل في الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فاتت بمانقرأه اليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ الذين وقفوا حياتهم في سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلمة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي معنيا باصلاح الطرق وتسويتها في الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتأسيس النطفيات في المعاطش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غاية الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التمنارتي فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقي؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيخ الحضيكي في ترجمته التي كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمنرتي فان الشيخ التمنرتي توفي سنة ٩٧١هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمنرتي عالما جليلا طائر الصيت في عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامي ان يتردد الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التي هي نفع العباد في مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاج والقفار كما يهتمون بها في القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمنرتي مصلح طريق (تيسا) في بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الغاس وناصب النطفيات المتعددة المعلومة الى اليوم في قفار شتى

ثالثا ـ نعلم هذه التحليات التي يحلى بها صاحب الترجمة في هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امي لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هوءلاء انما يصفونه بالفقير المرابط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام في الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس في الوجهة الربانية؛ التي ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شيء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم؛ هذه هي العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هوءلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المرابط الصوفي نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه أمي لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وأن الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا أن أحفاد الشيخ عندهم من أوصاف جدهم ما ليس بقليل؛ وأنهم وان ادخلوا في ترجمته في اسمارهم مايشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتمد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها في هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون ان الشيخ وان كان أميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم ويستشيرهم ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده في ترجمة الحضيكي

ثم يقولون بعد ذلك في تدعيم هذا انه كان من الواقفين على مدرسة (أوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجويي المعاصر للشيخ (وقد توفي هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الحبوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم أوصى أولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن ٠

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة في تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحوهم ويكشفوا الستر عن تمويهاتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولايعرف لاهل الفضل الا ذووه ٠

وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل

فهـذا ما أمكن لنا أن نعرفـه صراحة أو استنتاجا من هـذه الوثائق التى كتبناها تحت هذه الارقام ٢ـ٣ـ٤ـ٥ والحمد لله الذى يسر لنا ذلك حمدا كثيرا

٣ ـ فى الوثائق الموضوعـة تحت أرقـام ٦ـ٧ـ٨ نعلم أن أولاد الشيخ الاربعة محمدا وأبا القاسم وموسى وأحمد قد بلغوا كلهم أشدهم فى حياةأبيهم؛ فاستحق كل واحد منهم ان يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب ان والدهم زوجهم جميعا كما زوج أخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ ـ ١٢ فسلك بهم الشيـخ الطريقة التى يسلكهـا أولو الحزم فى الدين والدنيـا ؛ الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون أموالهم لاولادهم قسمـة لاتصطـدم وقـانون المـيـراث الشرعي من عدم المساواة يفعـلون ذلـك لاولادهم وهم لايزالـون فـى الحياة خوف ان ينشأ ايضا بيـن اولادهم حول الميراث بعدهم مـا يتسبب عنـه فساد ذات البين وانقطاع أواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هي التى سلكها الشيخ فخمس ماله بينه وبينأولاده الاربعة وذلك الخمس الذى صار له ؛ هو الذى صيره لزوجته المباركة فى مقابلة كل ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا فى رقم ـ ١٢ ـ موافقـة أولاده على هذا التصيير

مثل هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو لايزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكلـه ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقولـه المالكية رحمهم الله ؛ ثم ان الموافقة انما حصلت من محمد وأبى القاسم وموسى ولم يذكر فيها أحمد ؛ لانه ابن المصير اليها ؛ وهو الذى سيؤول اليـه هـذا المال متى هلكت المصير لها لانها أمه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الحظ اليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك فى الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه تبين ايضا من ذلك ان للشيخ اعتنا ءبتاثيل الاملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا ما لانشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحدة (١) فى هذه البلاد ؛ فكما أن له فى ايمور أملاكا كانت له أيضا أملاك أخرى فى مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولان كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وان كان غالب العامة وبعض الخاصـة من المتفقرين يحسبون ان الرجـال الصالحين المشار اليهم بالاصابع الذين يوصفون بالزهد والخير والاقبال عـلى مـا فيه منفعـة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون فى منصة التربية للمريدين كصاحب الترجمة ؛ لايتأتى منهم

(١) وحدة بلا ياء وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة .

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعا ؛ ولا يخفى أن هـذا قـول ماقـون لايصدر الامـمن لايعرف ماهو مدلول الزهد في دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي أن تصك آذانه بقول أبي الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا •

وبقوله أيضا : من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه • وأن يصرخ عليه بقولـه صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاصى نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على مايروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرتـه لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال في أحـاديث كثيرة في الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ مـا عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالبالناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض لليد ؛ حتى لايضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متأثل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فيأحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لابد منه من دنياه ؛ لاكوه بألسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم؛ ويتمضمضون فيأنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه علىالمقياس الذى توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقيس والمقيس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذى أنحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى أن يخالوا ما ليس في الواقع

اذن تأثل صاحب الترجمة املاكا لابأس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفي أسرته فكان من ذلك أمران أحدهما أنه لم يذر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بـل ورثهم ماانموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر في اولاده هـذه العادة المحمودة المتركبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك في هـذا الخلف •

هذه نظرات في الـذى وضعناه تحت أرقام ٦ـ٧ـ٨ وقد بقي منها مـا يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتي

٤ ـ في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩ـ١٠ نعلم بعض ما يتعلـق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا أنهـا توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا أن أسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة في

قومها فقد عبر عن أحد أفراد عائلتها بالشيخ بلقاسم والشيخ في عرفنا هو أمغار الذي يرأس اخوانه ؛ ولا يمكن أن يرأس الانسان في هذه البلاد الا اذا تأهل للرياسة تأهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رأيت أثر هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ـ الذي فيه المفاصلة ونعلم أيضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع أختها على ورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ أو على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ بل هو استرعاء املاه من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الاصل ؛ أو من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ايم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما ياتي على زمن وفاة الشيخ ٠

هذا ما يتعلق برقمي ٩ ـ ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما ٠

٥ـ في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١ـ١٢ـ١٣ تجد مايتعلق بزواج ابن صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق أجمع ؛ أن يختار الآباء للابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقيلية الشريفة ؛ وهي غنية كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والحلي التي جهزت بها السيدة ويساوي جهازها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والاوقية في ذلك العصر؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس اننا كثيرا ما ننشد هذا البيت :

والمرء لا يشبهه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؟(١)

أو ليس أننا نروي فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا أولادكم فقد خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فأنجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن أحمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من أبيه أحمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن أحمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى ٠

---

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فاته فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيفية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كـــــــــان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنابة أحمد بن عبد الله بن سعيـد ؛ لاحمـد بن عبـد الرحمن من نسبه لدليلا لما سنستنتجه منه حين نبحث عن اصل صاحب الترجمة؛فيما ياتي قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين ٠

هذا ما استفدناه تصريحا او تضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١ـ١٢ـ١٣ زيادة على ماكنا استفدناه قبل منها فى تلك النظرات السابقة ٠

٦ـ ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤ـ١٥ـ المذكور فيهما ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيـدي عبـد الله بن محمد فوائد جليلة ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابـد أن نقف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه ٠

أولا ـ نجـد في ترجمـة الحضيكي زيـادات في الاوصاف على مـا عنـد الرسموكي؛ فبينما هذا لايزيد على قوله ـ المرابط الافضل ـ اذا بالآخر يصفه بكونه ـ رجلا فاضلا متصرفا مربيا للمريديـن ذاكرامـات وجهادات وعبادات وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقى أكـابر العلمـاء ؛ وصحب أفاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التى زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذى أدرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد مايؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم ـ٥ـ التي وقعها ذلك اللفيف من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التى لا تزال تتردد بين الالسنـــة الى الآن ؛ فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات البين وما اليها من الفضائل التى يستحق بها المرء العامل ؛الذكر الخالد بين الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان فى السنة المحدثين نسبة كرامات اليه أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكـلا السهمين ؛ وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وأثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالمـا فيكفيه شرفـا أنه يزور أكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلات اليراع أولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف ـاذنـ التي زادهـــا الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقـة أيضا بمثل ذلك أو أكثر فى بعض النواحي

ثانيا ـ ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم أكابر

الصلحاء ويزورهم والمقصود بالصلحاء هم الصوفية فأما كونه يخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيا بن عبد الله التملي ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور أكابر الصوفية الذين ادرك أعصارهم كالشيخ أحمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانهما واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا أنه اتصل بأحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر - الا ماكان من الفقيه سيدى سعيد الاوجويى الصوابى وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذى أدركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عمن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه ٠

ثم ان التصوف الذى اتصف به صاحب الترجمة يظهر أنه تصوف عملي؛ مشيد باقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم جهده - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذى يحمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ أو في مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه أولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ وبمشاركتهم في كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جدب ؛ فيتجه لوجهتهم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بأمور المسلمين ٠

ويظهر -ايضا- ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كمافصلتها رائية الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ لهسيما خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية ٠ وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذى درج وراءه ؛ وماكان الرسموكي الذى ادرك عصره ليسكت غالبا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدى محمد بن احمد الحربيلي المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمرى ان هذا الارشاد العام من غيرتقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذى يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك ٠

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلقت على كبير منالصحابة فعلاهم عمر بالدرة ؛فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : اتريدون ان يقال غدا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقرأناهفي مختصر تاريخابنعساكر

ولم نسقه بلفظه لطول العهد به ؛ وكانه رضى الله عنه يتوجس خيفة مماوقع بعده فى المسلمين ؛ وكانهم لايتلون قوله تعالى «ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليست منهم فى شيء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون كالازهار ؛تختلف الوانها وان كان الماء الذى تسقى به واحدا

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا ـ ان كلا من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطنا؛ تهالى مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عادته فى غالب التراجم التى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه من أولاده لامورشتى ؛ منهامايزعم من أن قبيلة ساموكن قبيلة منحطة فى أنظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لايستحيى جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فحواها انه سأل مرة انسانا عمن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فزعم ان الشيخ قال له أوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فأريحوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من أمثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاعهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بنى آدم كلهم كاسنان المشط لايتفاضلون الا بالتقوى بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل فى ذلك؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية المقوتة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون أن الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لايرعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان ٠

لهذا يتبرأ أهلنا من أن تكون بينهم وبين آل ساموكن أواصر؛ وينظرون الى كل من لمزهم بذلك نظرا شزرا ؛ حتى ان من اراد ان ينبزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا بأحدهم يثور بشعور أو بغير شعور •

لاازال اتذكر انني كنت مرة ـوانا فى طور البلوغـ فى دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الغشانى ؛ فضاحكني وداعبني فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فناورته فى ذلك ؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكى فاراني هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت ادافع ـاذنـ عن الساموكينة ؛ ولكن مضضا فى نفسي أحس به يخزنى وخزا ؛ وغرارة الشبيبة لاتزال تشب فى التعصب المقوت ؛ ثم انني بعد ذلك بكثير قرات فى تاليـــف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضى بسوس سيدى محمد بن احمد الرفاكى فسح الله فى أجله ؛ أنه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم الغشانى ؛ فكأن هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلى امامه شان مرابطينا السعيديين ويعرض فى أثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف ؛ فلم يصبر الاستاذ أن قال من هم مرابطوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجاذبه رب مثواه فى ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكى ؛ فاتى به فوجد الامر على ما قال •

هذا ماقراناه فى كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع فى ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادى اظلم •

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعوبية المقوتة ؛ التى ينبغى ان تنطوى بين المسلمين •

ومما يحول ايضا بين اهالينا وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثارة من علم ؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم أن الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكن ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهما ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بأيمورطوال حياته حتى اقبر فيه ؛ وليس هناك فى وادى ساموكن ما يدل على أنه كان نازلا فيه ولو حقبة من الزمان فلا دار له هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ماينسب اليه والعادة تقضى فى البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لابد ان يدع فيه اثرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لايوجد شيء من ذلك هناك ؛ فلاشك ان هذا غلط من قائله اياكان سواء قاله الحضيكى من عند نفسه اونقله عن غيره ؛ وهذا الذى يقال للحضيكى يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة:

ـ اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه •
ـ وأما أن ينتقل الى أملاك تأثلها فى مسكنه الجديد ؛ فيجب أن يجاورها؛ وأن يكون استغلالها تحت نظره •

ـ واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهى كلها منتفية ؛ فليس هناك فى ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك فى المكانة التى يغبطه عليها كثيرون؛ ولاكانت له فى ساموكن املاك تأثلها فأحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التى فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريحات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة فى امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت فى هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض أمكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افنقدر ان الشيخ باع ما تأثله هناك بعد أن ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لايحتاج الى بيع مثل العقارات التى تكون فى ذلك الوادى والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر مايباع من المتاع ؛ فبهذا كله يعرف انه لااصل له هناك ولاعقار يمكن ان يحفزه الى النقلة اليه ؛ وكذلك لايمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (تاهالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادى وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادى عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاة الاسد ؛ فلايتلقى اهاليه الشمس على اعالى ابنيتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ فى حين ان تهالا بلد متسع الارجاء منفسح المرعى ؛ لايمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه فى ذلك القبر العميق قالوا فبهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التى بها ـ غالبا ـ ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفى كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفى بانتفاء جميع اسبابها •

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف فى عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على مانعلمه فيما سياتى ففى أى وقت توطن فى واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة فى رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله ـ اذن على السكنى هنالك ـ والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التى ذكرناانها هى التى بها ينتقل الانسان ـ غالبا ـ عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفت افلا ينتفى كذلك المسبب ؟

قالوا عجبا ! ايعرف غيرنا عن جدنا مالانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرى بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمآت ابا عن اب ؛ الامكنة التى اسس فيها ماأسسه فى حياته حتى اننا لنعرف مابين المهامه الفيح والقفار المترامية ؛ آثاره أثرا أثرا ؛ ثم ننسى شيئا مما وراء ذلك ؟ أفليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين ؛وكان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا فى الواقع ؟ان ذلك مخدوش فيه بل ان بعض الاصوليين لايقبله البتة ؛ افيعرف واحد من تاغاتين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادى ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب ٠

قالوا لايسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به رعاعنا او نابى ان ننتظم نحن واياهم فى سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوى الشعوبية المقوتة ولا ممن يتنصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى مالم يكن ؛ فانآل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما فى الناس جميعا؛ ذهبوخزف ولوصح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوصح انجدنا سكن بين ظهرانيهم لتلقينا ذلك بكلتا اليدين ولابديناه للناس اجمعين ؛ فاننا فى شرف نفسى يكفينا عن كل شرفوراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء فى واد ونحن فى واد فان ثبت ذلك بعد بماتثبتبه المعلومات منالادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادى فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادى كما تشرفت برسول الله صلى اللهعليه وسلمعدنان ٠

قالوا اننا نرى الرسموكى وتابعه الحضيكى يقولان فى الشيخ التهالىمسكنا الساموكنى وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هلالمقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كانهذاهو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واينمسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على مايقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذى قدم من (تامدولت) ولايمكنان يقدم بنفسه ؛ مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث تواتر عند الناس انه كان فى اكادير نتبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عندشيخه يحيا بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة٩٨١هـ فى ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففى اى وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كماقاله الرسموكى ؛ فى حيناننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه فى اكادير نتبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد انتتتابع كما ترى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم نلقى من ذلك اعوام الصبا فما الذى يبقى بعدذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطانا يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون فى مقابلة سكناه فى تهالا الذى كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكى بتلك العبارة ؛ فليتشعرنا ماذا يقصدبها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل اناهالينا يأبون بكل مافى امكانهمان ينسب الشيخالىساموكنمطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما ترى فى رقم ١٥ ما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكى ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التى ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هى كل مايمكن ان يتمسك به من ينفى ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهالينا فنظمته كما ترى •

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لايريد ان يسير الا بمصباح ينير ماامامه ؛ فقد فتشت واكثرت التساءل عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علنى ان اعرف ما استند اليه فى هذا المبحث ولكننى لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفى حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلنى اجد فيما بينها ما يفتح لى هذا الباب •

كنا قرأنا فى الوثيقة الموضوعة تحت رقم ـ١ـ ان عليا عم الشيخ هوالذى كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا فى رقم ـ١٢ـ ان احمد بن عبد الرحمن توكل فى عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فأدركنا بذلك أن لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا أن الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يساكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا فى اكادير نتبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؟ لاندرى ؛ ولا طارق الحصى يدرى اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكى الذى يدفعه اهالينا بما رايت •

اكثرت التامل فخطر لى انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهالينا ومايقوله الرسموكى بتاويل كلامه •

ان اهالينا يقولون ان الشيخ كان فى اكادير نتبسيست قبل ايمور ولم يكن فى وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكى أن وطنه هو ساموكن ؛ أو ليس أنه يمكن أن ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم أكادير نتبسيست؟ وهو فى جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكى اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصارالى الترجيح كما هى القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقى الرسموكى الكلام جزافا فيما هو بصدده فى كتابه ؛ وقول المورخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ماعند اهالينا كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟فندرك ـاذنـ ان الشيخ ماانتقل الى ايمور الاقبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يضفه الا الى ايمور ؛ ولم يضفه الى مكانه الاصلى ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمثواه الان ؛ لابما درج منه على آن العقود لايستدل بها الا فيما

سبقت له لاغير واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها وذلك معلوم عند كل فقيه

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير نتبسيست كما يقوله اهالينا وتواتر عندهم ويدل عليه قول الرسموكى ان فهمناه ذلك الفهم الماضى ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله ٠

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان فى اكادير نتبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هناك ام كان فى تمدولت؛ كما يقوله اهالينا ؟ اننى ارجح فى هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه فى اكادير نتبسيست ؛ وان الذى انتقل من تمدلت احد اجداد الشيخ؛ والذى رجح هذا عندى أن وقت جلاء تامدولت الشهير كان فى أوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشانى هو الذى كان سبب هذا الجلاء فى حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا فى القرن التاسع ؛وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدادى المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعلى بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجد ادى فى النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفى سنة ٩٤٨ هـ فبهذا ندرك ان الجلاء التمدلتى كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هوبل ولاابوه من بين الجالين فربما كان الجالى هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ؛ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيا بن عبدالله اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ماعاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى نزيد فى ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهالينا ٠

هذا ما ترجح عندنا فى هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو فى ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف فى الاستدلال ؛ وكون المتواتر عند اهالينا هو ان اصله من اكادير نتبسيست ؛ يكفى فى رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر المتواتر بما قاله الرسموكى ، من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما أولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما أمكن لنا فى الموضوع ؛ والحمد لله ٠ وقد كان أكادير نتبسيست من قرى ساموكن قبل أن يستلحقه آيت على المريبضيون

رابعا ــ انك قرأت فى ترجمتى الرسموكى والحضيكى الموضوعتين تحت

رقمي -١٤-١٥- ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثاني سنة ١٠٤٠هـ ثم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالغي حفظه الله مستدلا بما في رقمي -٦- و -٧- من رسم التصيير المورخ باوائل ربيع النبوي سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصيير المورخ برجب سنة ١٠٥١هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا في ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثاني ان ذلك الابراء من اولاد الشيخ لابيهم كتب في حياته وان تاريخ الابراء هو رجب سنة ١٠٥١م وان كان الرسم لم يكتب الا في سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهود فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته في ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى ٠

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا في التي وضعناها تحت رقم -٩- في رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلها فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان في ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة في هذه السنة لايزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب في ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٥- بـ٣ اومثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكي وما في رقمي -٦-٧ فالمتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذي دل عليه ما في هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولايخالطه - كما كان ذلك من الرسموكي مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذي يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التي يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبت الرسموكي فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبأن غلط المتند الى مافوق احدى عشرة ؛ كثيرقلما يقع للمتصدي لمثل ذلك ؛ ويتأيد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبت ؛ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكي ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافي وثيقة التصيير وما في اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١ ولنبق على ذلك الى ان يظهر لنا ماينقلنا عنه ؛ واما الحضيكي فانما هو تبع للرسموكي فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تثبت الرسموكي من جهة اخرى فنتحير ؛ والله اعلم ٠

هذا ماامكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندركانه معمر حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله •

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ماتدل عليه تصريحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا الا كلمة اخيرة حول كلمة قرأناها في الوثيقة الموضوعة تحت رقم-٥- وهي قول احمد بن على بن ابراهيم التويبتى فيما خاطب به السلطان «فنرغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته ابى العباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم فى التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته فى اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما لم يدعه قطمرابطونا ؛ ولاسمعنا من ادعاه لهم اوانما هى كلمة ارسلها التويبتى على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تأنوتبصر حتى ندرك ما يرمي اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالما؛ ولكى نعرف ذلك ينبغى لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك •

قرأت معى فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقررابنا اخيرا على ترجيح مايقوله اهالينا من ان الاصل الاصيل منتامدولت ثملايعرفون ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ماكان الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرنى به منذ سنوات انه راى رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية يعنى الى جعفر بن ابى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال انهرآه فى بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ماسمعته لاغير ولكن هل لهذا من صحة ؟ فان أهالينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينهم قط ؛ الا ماكان من رسالة رأيت فيها هذه النسبة وهى مخطوطة بيد الاستاذ العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبها الى تلاميذه بابى مروان ؛ولا ادرى من اينتسرب اليه ذلك ؛بل ولاسمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلك هذا كل ماخطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولاعرف له مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطب بهذه النسبة شيخه الشيخ الالغى فى قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلكقصيدة نونية ستقرأها ان شاء الله فى ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر النفحات العنبرية فى المنافحة عن الطريقة الالغية بذكر بعض مالها من المآثر السنية فى كتاب الترياق المداوى)

وقد سالت شيخى سيدى سعيد ا التنانى عمن استقىمن عنده هذاالاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ذكر له أنه رأىذلك فيطرة كتاب؛ هذا هومستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالينا فأما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت بـه المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلايزالون فى ريب لان الانساب لاتثبت بمثل مافى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن ـومثل هذايكتفى فيه بالظن ـ ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ماهنالك ؛لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فىحقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لايذكرون ذلك ولايرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لابما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لاادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها •

هذا كل ماعرفه رائجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لمتبلغ عندى حتى درجة الوهم ؛ لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينساه الاباء ؛ولم يملاوا به مسامع الابناء مع أنكثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا علىهذهالنسبة بالنواجذ وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة أنسابهم الى الامـام جعفر ؛ وبتعهد ذلك بظهائر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايغشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هـــذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشرفيها اولئك العلماء ماعرفوه •

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هوالمصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمـة مـن الحسن او الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لايحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقولهذا لعمرى ايراد له حظ من النظر • ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثلهذه النسبة لوكانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولاعلنوا بها فى كلمناسبة ولرايـنا ظهائر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تـقـدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرها تصرح بذلك وتعلنه على عادةالظهائر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لايقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التوبيتى فى تلك الوثيقة •

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفـيـة التى

ذكرت في الوثيقة هذه بانها هى النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فكما انها ولدت الحسن والحسين ابنى على بن ابى طالب كذلك ولدت زينب بنت على بن ابى طالب التى اولادها جعفر بن ابى طالب سلالته الزينبية وهى مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق على هولاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك فى اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتامل •

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قولة تلك الوثيقة وهذا القول على الاقل نجد فيما يروج اخيرا من يلوكه بلسانه ؛ وان لم نعتمد عليه ؛ ولا كانت عليه لوائح البرهنة ؛ على ان ابناء المصطفى اختصوا -عرفا- بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نمد ايدينا الى تقبل ما يقوله هذا القائل برمته •

يطرق آذانى فينة ان هناك نحو وادى ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجنها ؛ ولم أدر؛ اهذا الذى يطرق آذانى صحيح او هو من بنيات الالسنة ؛ وطالما حثثت بعض الناس اليه لعلهم يجتهدون فى التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه مانخرج به مما يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكننى بكل اسف لااجد الا كسلا واعراضا؛ولاحول ولاقوة الا بالله •

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا على شك فى هذه النسبة وما دمنا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذى يذكره الاستاذ الامنوزى فاننا لانجد الابابا موصدا امام نتيجة يتطاول اليها بعض من لم يكفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبى الا أن يزج نفسه فى الطالبيين ؛ ولا ندرى ؛ فلعل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا فى هذا مثل ماوقع للاستاذ احمد بن خالد الناصرى الذى اعلن الشك فى نسبة الناصريين فى الجعفرية فى كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحداه الى ان يرجح هذه النسبة فى كتابه (طلعة المشترى) •

هذا آخر ماتيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدى عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا فى ذلك جهدنا؛ واسهبنا بعض الاسهاب؛ علنا نتعرف منه نواحى غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليلى بقدر الامكان ؛ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ونلقى ظهريا ما لاتدعمه حجة •

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فسترى ترجمته ؛ واما محمد فدفن فى (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن فى قرية (تيدلى) بقبيلة ايفشان واما موسى الذى مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبدالله انه راى رسما مورخا بنحو ١٠٩٨هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم : ثم ذكر انه راى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ م فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انـه متـزوج لانه عزب كما هو متوهم ٠

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افقير انه راى في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه مايدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددات ؛ فالتهالـية هـي ام محـمد ؛ والافرانية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكنية لاعـقـب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مات في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ماكتبه عنه
ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعـها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهير السلطان علي ابودميعة التازروالتي
حملته اولاد المرابط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهرين يبقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولايطالبون بسائـر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الامر بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتب برمضان سنة ١٠٦٣هـ

عبد الله سبحانه
عـلـي

(٥)

ظهير في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل
كتابنا هـذا اسماه الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعـالي شمسه المنيرة وبدره بيد حامليه المرابطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبدالله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبدالله بن

---

(١) احسبه علي بن الحس بن أحمد بن موسى ولعله كان قائدا عـلى جهة ايمور والغ فاستحق ان ينبه على ذلك

سعيد رحمه الله وقدس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنالهم على ماباايديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولايتعده والسلام في مهل رجب الفرد عام١١٥٢هـ وعليه طابع ليس بجميل؛ لم نهتد لقراءة مافيه وقد ذكر فيه كماترى ظهائر اسماعيلية ولعلها هى التى تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الاطابع كتب فيه:

(وصيف المقام العالى منصور بن الرامى وفقه الله) وفى دائرته ماياتى (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار فى الجند الاسماعيلى وقد كان ولاه على سوس حينا) •

(٦)

ظهير حسنى

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع فى سماء الاسعادشموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولايحيد عن كريم مذهبه والسلام صدربه امرنا المعتز بالله فى ٢٤ جمادى الثانى ١٣٠٠هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه •

(٧)

ظهير عزيزى •

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ واطلع فى سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددناللمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما نامر

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام

اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع في عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه •

تحرير للقائد سعيد الكلولى الحاحى الذى كان قائدا عاما على تزنيت وما اليها سنة ١٣١٥هـ •

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدى حامليه المرابطين الاخيار معادن جواهر الاسرار السيد الكامل والمربى الواصل يتيمة عقد الاولياء وخلاصة القوم الاصفياء سيدى عبد الله بن سعيد السوسى دفين زاويته بأيمور عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام وتنزيها لساحتهم المطهرة عمن سامها بقصد ذلك او رام وامتثالا لامر الله بتعظيم حرماته التى هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما بايديهم من ظهير سيدنا المقدس من انهم لايسأمون بادنى تكليف ولايضامون بأقل توظيف وغير ذلك مما هـو المعتاد من القيام بالخـدمة المخزنية ؛ وأداء الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوىما اوجبه الله عليهم من اداء الاعشار لزاويتهم التى للعلم والتى للفقراء قياما بواجب التعاون على البر والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافى الانخراط فى سلكهم ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم ـظاهرا وباطنا ـ جزيل حقوق القائمين بامر الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للمجد الاكبر فى طريقته ارباب الزاويتين العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدى الحاج عبلا بن صالح بزاوية تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء الفقيه سيدى على بن عبدالله وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربىالمريدين الشيخ سيدى على بن احمد الدرقاوى وحاشيته كذلك ؛ فانهؤلاء ممن وجب عليهم القيام على ساق الجد فى خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لماخصوا به من حلية العلم وزينة الوقار ونشرهم فى الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار ؛ فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى فى خدمتهم والاجتهاد فى قضاء اوطارهم وان لايواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من مصالحهم المخزنية اوغيرها رعيا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه واعلمبهذا من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ فى ٢٤ ذى الحجة عام ١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلولى الذى هو خليفة القائد سعيد ؛وعفده

الايمن اذ ذاك والذى حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن التامرى الشهير بالدرقاوى ؛ وقد توفى سنة ١٣٤٠هـ

(٩)

ظهير محمدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم فى دار السلام ؛ من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام وحاشيناهم وعائلتهممن خدمة الطرق التى يكلف بهاالعوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ٦صفر الخير عام ١٣٥٣هـ وقد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦ مايو سنة ١٩٣٤م محمد المقرى وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن يوسف الله وليه •

هذه هى الظهائر والتحريرات التى وجدناها فى الموضوع ؛ وهناك رسائل ايضا فى تاييد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد بن محمد تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهتدمنها الا الى كلمات لاتسمن ولاتغنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد

لله رحلتنا الى ايمور ... كيما نزور هناك خير مزور
عقدت يد الاسعاد منها رحلة ... جمعت شتيت مسرة وحبور
طويت جبال ثم اوداء بها ... طى ابتهاج فى الذ مسير
يحدو بنا الشوق المبرح للذى ... فيه الجدود ثووا طوال دهور
حيث استفاض الدين منهم مشرقا ... كالشمس تشرق فى طفاوة نور
حيث المنابع صافيات للهدى ... والرشد صين من الهوى بالسور
حيث استتب اساس اصلاح لكل ... المكرمات مشهر ماثور
عمل له الاخلاص مصفاة وما ... اسماه من عمل لهم مشكور
شهدت لهم طرق اشادوا حولها ... ماكان خير مشيد مذكور

كانت معاطش لبس تسلم عيرهــا ‏ فاذا بها ضمنت صدور العير
لله منك الهمة القعساء يـــــا ‏ من كان مثل التاج فى ايمور
علما لعصرك كنت ثمت خلفت ‏ ايديك ما يبقى طوال عصور
فكذا يكون الصالحون وهكذا ‏ تشذى مناقبهم مـن المسطور
زدت الكرامـة والتشرف والرضا ‏ ممن يديـر دوالـب المقدور
وتقفت الابناء ما رسمت لهـم ‏ ايديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر مايتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيدرحمه الله ورضى عنه



سيدى احمد بن عبد الله الالغى

نحو ١٠٠٠هـ نحو ١٠٨٠هـ

نسبه

احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

هذا ولد من اولاد جدنا الاكبر الذى قرأت ترجمته ؛ وقد رايت ان له اربعة بنين هذا منهم ؛ وهذا هو جدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح كثير وعلم غزير ؛ ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض نتف تلقفنا بعضها من السنة المحدثين والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوثائق التى قراتها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطيل بسوقها .

رايت فيما تقدم ان والدته هى زينب الكرسيفية وان والده زوجه نحو سنة ١٠٢٣هـ بمريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلى التى ساقت اليه ذلك الجهاز الذى ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهى ام ولده عبد الله بن احمد الذى ستقرأ ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تزوج ايضا بامرأة اخرى من آل (اغرابو) كما رايناه بخط الفقيه سيدى ابراهيم بن سليمان؛ وهذه الاخيرة هى ام اولاده كلهم ماعدا عبدالله الذى ولدته الاولى .

وكان صاحب الترجمة ساكنا فى مسكن والده بايمور حتى انتقل الى الغ بسبب لانعرفه كما لاندرى ايضا كيف اختار هذه القرية التى هى الى الصحراء المقفرة اقرب منها الى العمران ولم يقع الينا فى ذلك الا هذه الحكاية التى اخذناها جزافا كما نلقيها اليك جزافا

يقولون ان سيدى احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن ايمور فنزل فى سفح الجبل الشاهق فى شمالى الغ ؛ فاجتمع عليه هناك الوفقاويون والايغشانيون والتاكانزيون والحربيليون الالغيون ؛ فصارت كل قبيلة تقترح عليه ان يشرفها بالنزول بين ظهرانيها وانها قائمة به احسن قيام فانتبذ الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائل يتجاذبون الحديث حول ذلك ؛ وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجاذبة الكلام ؛ شاور بعضهم بعضا؛ وكادوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهم ذلك السيد المنتبذ عنهم فهدأهم ؛ وربط على قلوبهم بهيبته ؛ فامر باقامة صلاة العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ماهم فيه ؛ فماكادت

الصلاة تنقضى حتى علت فى جنوبى مصلاهم ذاك ؛ طلقتان من البارود تترى مثنى فالتفت اليهم -وقد سلم من الصلاة- فقال لهم ماذاك ؟ فقيل له ان هناك فى قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا . ولعله توفى الآن - والعادة ان الطلقتين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاولى بنا الان ان نغتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الغفير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى احمد الفقير -وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفضت الايدى من القبر وتمت سنة التعزية التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انسنى نازل فى هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كانني نازل بين ظهرانى كل قبيل منكم ؛ فرضى من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ثم ان ذلك المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لايزال يسمى الى الان (اكن تناكزين) ويقولون انــه سمى بذلك اضافــة لتلك الصلاة العصريــة التى صلت فيــه اذ ذاك (شعب العصر)

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية الحربيليون الذين آووه للتبرك به وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا له وهو محتضر وهم حوله يبكون لمن تتركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح بعدك فى مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدى فى السبل ؛ فقال لهم لاهالله لاتضيعون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحمد آخر .

هذه هى الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنــى صاحب الترجمة فى هذه القرية ؛ ونحن لانرى فى كل هذه الحكاية مايعد مستغربا بل كلها فى دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى فى بعض حواشيها ذيولا ممانعهد مثله فى الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهــداب المذهــبة اللــمــاعــة

هكذا استقبلت قرية دوكدير هذا الرجل المبارك الذى يقود اليها بحمارته من الصلاح والعلم والدين والعمران مالايقوده كثيرون ممن يقبلون الـــى مكان بجياد جرد عتاق .

تلقى الحربيليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين واستهلوا فرحا باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له فى مزارعهم وحقولهم .فعينوا له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده فى القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه بابتعاده عن ذوى رحمه بايمور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن أن يجدهما بين ذوى رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابى موسى قل لذوى القربى يتزاورون ولايتجاورون

ثم ان هناك حكاية اخرى توثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بـــداره

الجديدة وبعد ان راى من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايراهما لوكان لايزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا لهحقولا ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا ـ كما يحكي الحاكون ـ يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتفلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى انتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلهم يقعون على دواء فقال ذو راى منهم ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتفلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تفلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا لله ماشية كما لكم ماشية فلابد ان تقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتتساوى الكفتان فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية راى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا مابينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشي الى عادتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايهاالقارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر مني ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك •

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدي احمد بن عبدالله ؛ كان في عمره كله لايهتم بتاثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نرله رسما واحدا في ذلك ؛ بل ماكان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يتأثل كل هذه الاملاك التي بايدي احفاده ؛ ولا اقام الزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده علي بن احمد ؛ واما والده احمدفقد تبلغ بما تيسر مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ماقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من أهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن انيكون اكبر من هذا؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ماحزرناه لانه اصغر من اخويه محمد وبلقاسم كما قيل وقد عرفنا انه أمي لا يشتغل بالقراءة التي يتأخر بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدي الى وقتها ؛ ولم نجد على ذلك الا مايفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب سنة ١٠٦٣هـ ينادي فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم تضمنا ثم لم يذكر في ذلك الرقم مايشعر بان والده توفي اذذاك؛ وكذلك راينالاخيه

"محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه اقبض اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة -بعض ما كان لزوجه مريم في ايام والده ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بل الذي يتوهمه منه القارىء انه لايزال حيا اذ ذاك وان هذا الرسم كتب في مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط؛وايا كان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا اوظنا الا ماكان من العم ابراهيم ؛ فانه ذكر انوفاته في آخر العشرة الثامنة؛ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠م وهي ان بعض المسنين ممن يجولون في الاخبار حكىلى ان السلطان مولانا الرشيد من بالغ بعد ماقوض دولة ايليغ وشتت شملها ؛ فطافبجانب صاحب الترجمة بنىء - ولم يستحضر ذلك كما هو- فآنسمنه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه •

هذا ماحكاه لي هذا المسن فانصح هذا فان وفاته وراءرجب من سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايليغ في ربيع النبوى -كماوجدته مقيدا فربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر ؛ ولاسقفا قائما ؛ ولابابا في محله ؛ فيكون رحيله في شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكونمروره بالغ في طريقهالى تارودانت في اثناء هذا الشهر • هذا ماامكن لنا قوله في حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم في وهم ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل مادخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها فيطريقنا الى هذا الحزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا أنني لم اسمعها الا من واحد من غيرأهلنا

ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣)على (٤)ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى • فاماموسى ومسعود فلاعقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله في ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لايذكرون في اولاد الشيخ ؛ ولايتناولونمن نذور مشهده حتى نسى انهم من اعقاب صاحب الترجمة •

ومن العجب ان العم الذى هو ماهو في انسابنا ؛ ومن املائه كتبت في غيرهذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عنهؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم •

واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا •

---

١) (من أفواه الرجال)

سيدى محمـــد بن عبد الله

نحو ٩٨٠هـ نحو ١٠٦٠هـ

هو اكبر اولاد الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ؛ ويذكرايضا بـالصلاح وقد استقر فى جهة (كاور) وله دار فى كاور وفى (تالات غزيفن) وفى اكادير (ازرى) ولايزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده فى (كاور) مايدل على ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الىاليوم وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم فى (اكادير ازرى) وفى (تركا اخضير) وفى ايت (بوصحيب) بـ (ادبنران) وبعض اهل (اكرض افقير) وفى (تاكانزا) وفى (انويدير) وفى (تاحواوات) وفى (دوتمنروت) بـ (أيتوففا) وفى (ايمـور) وهم انمى من أبناء عميهم احمد وبلقاسم



سيدى على بن احمد الالغى

نحو ١٠٥٠هـ بعد ١١٣٠هـ

نسبـــــه

على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ٠

كنت رايت فى ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الغ ؛ ولم يتأثل فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية ولايزال حقل كبير حول هضبة (اوساياك) ينسب له الى الان ويسمى اودرى ولعله هو الذى تصدق عليه به من الحربيليين ؛ كما لاتزال داره التى اسسها له من تلقوا نزوله بينهم بكلتا اليدين ؛ مشهورة الى الان

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذيلا ممدودا من الاحترام من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فـزاده شرفا الى شرف ؛ وقـد كـان آل (تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه عند الحربيليين مقاما كبيرا: وسترى فى بطاقة كتبهااليه عبدالرحمن الساموكنى فى شان آل سيدى احمد الفقير ـوقد نشرناها فى ترجمة هذا الاتيةـ ذلـك الخطاب العظيم الذى يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامـه العصر الاسماعيلى الممتد مابين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩هـ فقد مربنا فى ترجمة الجد مايدل على ان هناك ظهائر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولانشك فى ان عليا هذا هو الذى تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التى كان لها فى زمنه مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة؛ من الحربيليين الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا لوالده ؛ ليتأتى لاخوانه أجمعين أن يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو نفس ، وعلو همة ، وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١) التى تقام على مشهد سيدى احمد بن عبد الله من آل (اداى) و (تاجارمونت) وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كما طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون بـه سنويا الزاوية الالغية ؛ قال: وهو الذى حمى أكادير نيت على لآل مريبض؛ وعين

---

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين والمفرد معروف ٠

لهم صنجة يزنون بها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ؛ ثم لم يزل ذلك معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيتان منذ عام ١٣٥٤ هـ وهو الذى حمى بسببه زاوية والده سيدى أحمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسما مصححا من تصحيف فى عبارته :

اتفقت جماعة اهل الجرفة الحربليون - وهم آل (تاكانزا) وجماعة بني وفقا وجماعة آل ايغشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الولى الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرابط بتظاهرين اصلا ووجارا ؛ وفى دار ابنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لايليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا فى حرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى لضمان قبيلته اثنى عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن سرق شيئا ايضا فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضا مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلايلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ابى القاسم بن عبد الله من النسب اهـ بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فياويح من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شىء منها ؛ ثم لايزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لاتزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دفن سيدى احمد فى دار البرج كما كان اذ ذاك يسمى ؛ وبنى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولايضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ماجعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

اكنت لاتزال تتذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد التى وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت فى ايام صاحب الترجمة ؛ ويغلب على الظن أنه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة؛ وبذلك نستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيا حثيثا متواصلا حتى يصح له الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابن سعيد فى تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمر بك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله •

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠هـ والذي حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ـ٥ـ من الظهائر الملحقة بترجمة الجد ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بني عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لايقدر على السفر ؛ والله اعلم •

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلـك العـقـد الخامس والسادس من القرن الحادي ؛ توهمنا ذلك لمارايناه من تصدره على اخوته ؛ وتوليه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لايكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدي احمد بن عبد الله في السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء مايمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبر من علي هذا ؛ ثم علي ؛ ثم باقي اخوته وكيفما كان ؛ فالذي يظهر لنا ان ولادته في نحو ١٠٥٠هـ انلم تكن قبل ذلك بكثير •

هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدي علي بن احمد رحمه الله ورضي عنه •



سيدى عبد الله بن احمد الاغى

نحو ١٠٤٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبة

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكى ؛ فوجدت فيها فى ترجمة سيدى محمد ابن محمد الحضيكى صنو جد المولف ما ياتى .

واخبرنى الفاضل الولى الصالح عمنا الشيخ السيد محمد الغشانى انه بات عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولى سيدى عبد الله بن سعيد التظهرينى ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (أسا) من ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما اما أنا فما معى شيء ولكن تركت المزود فى دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا به منكما فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكى ؛ فقال باسم الله فاخذه براس عكازه وهو لايبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

اذن كان سيدى عبد الله بن احمد ممن اشتهر فى عصره بما يشتهر به العباد والصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف عنه بين اهالينا ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر فى عصره ؛ ولم يوثر عنه الاهتبال بتاثيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه وباستغلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت اننى وقفت على رسوم تبريحات متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها من آله ؛ وللاختصار لم نجلبها الى القارىء وقد وقفت ايضا بين الرسوم على بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدى عبد المومن بن محمد الايغشانى ؛ وهى هذه كتبت فيها شهادة لبعضهم

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت على بن الحسن الحربيلية ؛ واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدى عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد التهالى من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ وانهالم

تضع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك فى تاريخ ١١٠٢ م
عبد المومن بن محمد بن على بن محمد وفقه الله بمنه •

نتامل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع وان امانته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا فى هذا التاريخ ؛ لان الغالب ان هذا الابراء لوكتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هى العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو ١٠٤٠ ه لان هناك فى رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ م والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتم رشده فى العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ ه لاننا رايناه قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحظها بين اخوتها •

ويظهر من حاله انه وان كان فى سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة اسباب معاشه ؛ ذائدا عن حظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هو بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافى هذا وهذه الحكاية بنفسها هى حالة حياة مرابطينا ؛ دين وصلاح فى ضمنه الكد وراء الحلال؛ لئلا تمتد يدهم فى فاقة الى استجداء

واستف ترب الارض كيلايرى له على من الطول امرؤ متطول

حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به فى قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛ فطلب منهم فى آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛ فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدى اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة سليمان وصالح ؛ وحسين؛ وكلهم اعقبوا غير حسين الذى مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد



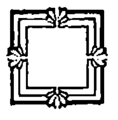
سيدي حسين بن عبد الله الالغى

من أهـل القرن الثانى عشر

نسبــه

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بنسعيد بن حسين بن يبورك.

هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدى الحاج عبلا بنصالح يرفع من شانه ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه بالزيارات والنذور ؛ خصوصا من كان ذا ارب فى النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكـر العم انـه مات عزبا عن غير عقب ؛ ولذلك يستاثر عصبته بنو صالح بما ذبح على قبره وهو من اهل القرن الثانى عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .



سيدي احمد بن على الالغي

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبـــه :

احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده علي بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاها احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا ال يجول في مسلاخهم ؛ ولم يوثر عنه اي شيء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاب التي تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوى الى الآن ؛ واظنه كان ككثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقـادا ؛ فـاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خموله انني لم أسمع به يذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم ـ٥ـ في ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛وذلك ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها من على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذللا يمتطونهم كيـف يشاءون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استثيرت منه النخوة ؛ وجرح منه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغـوهو صاحب الترجمةـ فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لى ؛ فانني انوى مغامرة؛ فاما القبروااما العلا فدله سيدى احمد على ان ياتي الامر من بابه ؛ فامره ان لايستبد بذلك عن رئيس ايليغ ـ ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليغي اوولده سيدى يحيى وهو آنذاك كما استرد شان ايليغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مثواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء مـتـى ارادوا ان يتراءوا فـي امـورهم ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذيول الحكومة منذ تـوفي مـولاي اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدى محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغي ؛ وقال له انـنا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات باى وجه ؛ واننا لمناجزون بعقيلة حتى نردهم عـنا وعن حرماتنا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا ياسعد تورد الابل ؟ وماهكذا تساس الامور ؟

ان الحيلة في مثل هذا ـ وقد استشرتني ووضعت في ثقتك ـ افضل لما ترمى اليه والتدرج أسهل وأقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى أصحابكم واطلبوا منهم أن يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة في هذه السنة ؛ وتطلبوا عذراتلفقونه ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين في واحدة ؛فسيطلبون اذ ذاك مشاورتي ؛ فسأرمي بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننظر في ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيـما بينهم ليس عندنا مانبرم حتى نراجع الايليغي فالقوا اليه الحديـث ؛ فقال لاباس بالنظرة ان استعسر اصحابكم فهى اولى من مغالبة لاتدرون فيهالمن الانتصار ؛ فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخيرهذه الاتاوة في هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ؛ وعزمـة جديـدة ليزيلوا بها هاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاط في ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليغي ؛ وببركة مشاورة سيدى احمد بن على اوسيدى يحيا ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغ وبين بعقيلة ثم امتد آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تنمرا ؛ ورفع الجباه مما يدل على ان رفع الاتاوة في تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تفتل لمجاط في الذروة والغارب ؛ وتتربص بها يومايمكن ان تصبحها فيه بغارة ملحاح لاتبقي ولاتذر ·

كان في (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصاريختلف الى (ازغار) كانه يخطب هناك امراة ؛ وهو في السر يهيء سرية كبرى يجتاح بها (تيزلى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فامـــر بطحن زرع كثير وخبزه ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون آل ازغار؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بغال موقرة خبزا في ثنية هناك ؛ فتناول من الاخباز التي فيها ماآت من المغاوير الاشداء خبزة خـبـزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم؛ ويخوض فـــي بحبوحـة (تيزلى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتـى تجاوزت الطلائع تازامورت ومجاط في دهش المبـغـوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط في (كراما) فتواقفـت هناك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فواقفوهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الآخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض م (كراما) الى بسيط وانكيضا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلا ؛ ثم انضافت وانكيضا كلها الى مجاط وصارت تخوم بلادها فى اكادير نتزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر مـ المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيضا هذه هى الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لى ـ وهو ممن يعرفون مايقولون انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيضا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت انه في هذا العهد هذا الذكر؛ فذلك يدل على ان طال عمره بعد اوائل القرن الثانى عشر ؛ لان هذه الحكاية ـ ان صح انـها وقعت فى ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع فى زمن سيدى يحيى ولده او فى زمن سيدى على حفيده ـ يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢هـ والله اعلم

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من اخوته لتوليه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هى العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا في امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .

وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد (١) الحسن (٢) محمد (٣) بلقاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد •

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزرى ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛فوافاه هناك اجله وقبره هناك مزارة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة •

كنت رايت فى الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدى احمد بن على ؛ ومع سيدى صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من كبار الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لايقف فى امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون فى الاسر •

سالت عنه العم ؛ فقال لى انه من افذاذ رجالاتنا ؛ وممن عضوا بالنواجذعلى التراث السعيدى ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفانى فى مصالحهم ؛ مع اقبال فى نفسه على ربه ؛ مجتنبا للاسفاف الذى يبتلى به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت فى عصره ؛واعتقاد من الناس يسوقهم الى انتياب حضرته ويوثر عنه من الاحوال ماتشنف به المسامع فبهذه الحلىحلاه العم حفظه الله •

ثم ان له دارا اتخذها فى قرية تاركا اوخضير التى نسبناه اليها ؛ فحبب له سكناها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفى ؛ وقبره مزارة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام فى راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدى احمد بن على المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له فى الولادة والوفاة بما رقمنا به لذاك •

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله •

سيدى

ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى

قبل ١٠٩٠ هـ - ٣ - ١١٥٨ هـ

نسبـــه

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد وله هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد اللـه ؛ وهـو جد المرابطين السعيديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن بلقاسم ؛ جد مرابطى قرية انويدير (٤) الحسن جد مرابطى قرية تاحواوات (٥) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير .

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لـم تصل شهرة ابناء اعمامه الاخرين ؛ كان متوطنا اولا فى قرية انويدير فبقى هناك ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهلـه فثاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرابط استاسد على ذلك المعتدى فكان الله فى عونه ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرته عن تـلـك القرية التى بنيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الـذيـن لا يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولايعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بـد ان يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحـلـه بـيـن ظهرانيهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال ينتاب الغ ؛ ولايحسب حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض افقير فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الغ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة بنتا من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيلى الذى ستقرا ترجمته ان شاء الله فيما ياتى

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهرانى التاكانزيين الكرام مبجلا محترما موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ وتوتر عنه احوال سنـيـة مـما نعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور •

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن •

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلـقاسم فمنهما انتشر ماانتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالح الافقيرى الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا واوقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا •

ثم انه دفن فى تاكانزا فى مقبرة (تافراوت اوكادير) ؛ وتقام له حفـلتـان طعاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله •



سيدى بلقاسم بن علي التيبيوتي الالغي

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

...ooo...

نسبــــــه

بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان لسيدى علي بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبدءا ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء الى التصوف ؛ والذى يظهر لى من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهالينا ؛ وقد اختار ان ينتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل في(تيبيوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولا من اهل اكجكال الذين لهم اوساط بسيط الغ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولمن بعدهم ؛ ثم تحقق عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها فى امثال صاحب الترجمة ؛ وفى سبب نقلته تقول

انه طاف به امر امر وكرب شديد من قرية اهلــه ؛ فصار ينادى الاولياء لينظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فـاكـثـر من الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايغشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء فيما يقال ـ ثم صار ينادى بأعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فانني في ضيق وكرب شديدين ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لى ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من كان محزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاراه موضع قرية تيبيوت ؛ كانه نقطة متلالئة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان ذلك هو اول ماتنبه الى سكناها ؛ فبنى داره ومسجده فى بقعــة وهبها له الاكجكاليون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة فى قلبه وداره ؛ ماكان ليجد

مثلها فى قرية دوكدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ماخلفه ابوهم سيدى على؛ وهناك حجر معلوم فى جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذى اعطاه له ليجعله فى داره ؛ وهو ظاهر فى وجه الجدار المقابل لمسجده الذى اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا فى هذه الدار التى بالقرية السليمانية وهى دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدى احمد بن عبد الله ؛ وهى بنفسها مسكن سيدى محمد بن ابراهيم السلامى ـ وستاتى ترجمته ـ ولاتزال فى ملك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها فى الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آبائه السالفين.

اقول يجول فى ظنى ان صاحب الترجمة ؛ ماما ل الى الانزواء فى ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه راى من ابناء ابيه مشيا آخر غير مايعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانتباذ والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته؛ وانما يعرف انه ممن عاش فى اواسط القرن الثانى عشر ؛ وانه توفى فى اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع.

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور توفى يوم الجمعة ١١ـ١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة الاثنين ١١ـ٦ـ١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر فى يوم الثلاثاء ١٨ـ١١ـ١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم فى السبت ١٣ـ١٢ـ عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم فى الاربعاء ٢ـ١ عام ١٢٠٤هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم فى الثلاثاء ١٨ـ٢ـ١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات فى طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيييوتي

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبـــــه

احمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك

هذا ولد سيدى بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الغ فى اوائـل القـرن الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابل من مرابطينـا فى ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هـو مجدا طارفا اشتهرت به قرية تيييوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار مايحبه هو من الخمول ؛ ويتطاير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين له باحسان فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادى للدين الذى يجول فيه مايستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله مع ذلك غرائب صدرت منه فى عصره ؛ ورأى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولماكنا فى هذا الكتاب نتنكب الاكثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفى ضمن كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها

كان لصاحب الترجمة غنم فى مرتبع ازاء (تاركانتزلماط) وكان لاهل ذلك الموطن تعال وقوة ؛ لاينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كـمـا ينظر المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه فى الطريق ؛ فعمد بعض رعاتهم الى غنم هذا السيد ؛ وقد أقبلت للمورد فذادها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فـبلـغ ذلك صاحب الترجمة فثار منه مايثور من كل مظلوم ففزع الى الباب الذى لا يغلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين اولائك الطاغين غائضة ؛ لاتبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود فى حفرها بعد ؛ فأصبح الماء واقفا لايجرى ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ولاتزال العين ماثلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصد ابواب السماء دونها

ثم انتشر لسيدي احمدبن بلقاسم مالواولاد شبوافي ظلذلك المجدالوريف فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بني سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير) فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد لآل سليمان فارداه ؛ وكأن ذلك نشأ بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى - والاقارب دائما كالعقارب ولاينبئك مثل خبير - وقد وقفت على وثيقة فيهافصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدي محمد بن احمد الحضيكي ؛ وهي هذه

(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخوالنا سيدي احمد بن بلقاسم من ذرية الولي سيدي عبد الله بن سعيد التيظاهاريني من تيبيوت ؛ وبين ابناء سيدي سليمان المرابطين من (تحت الحصن)؛ منهم سيدي ابراهيم بن سليمان واخوانه وخالي احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شان المقتول من ابناء سيدي سليمان فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدي احمد بن بلقاسم ؛ الذي قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور؛ وانجبر رأيهم ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولاغيره الا تهمتهم لاولاد سيدي احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفي دعواهم ؛ استحلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛وتفاصلوا في ذلك القتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ماكتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدي احمد بن موسى فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلالي ؛ كان الله له)

اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشأت من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي

امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندري كيف تلقاها ؛ وكيف تجلدازاءها وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ التقم الشيطان عقولهم فقادهم الى ماأيس من ءالهم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخؤولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص وفي القصاص حياة عند اولي الالباب

ثم انك رايته لايزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ وقد قال العم انه توفي حوالي ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعش بعد ١٢٦٠هـ

رحمه الله من رجل صالح لايزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعقبين علي ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغي

نحو ١١٣٠ هـ - ٤-٩-١١٩٩ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يولي وجهته مع قرينه الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبته ازدحاما يأخذ فيه البعض بعنق البعض - فى لجة امسك فلانا عن فل -

كانت القبائل السملالية والايسية والتملية بل والايغشانية ؛يتلالامنها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مابناه بالسبحة البنان واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاو ماظهر به للسعيديين الذين لايعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شىء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكدنا نجهل ايضا استاذه فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا)وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لذى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلابد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية -آل صاحب الترجمة- حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لايعرفون عن اهاليهم الا المسرح لسوائيمهم والمحرب لعباداتهم .فلنفتش ــاذنــ عن المرأة ــكمايقول نابليونــ لعلنا نجدمن‌ام‌سيدى سليمان مايدعم لنا هذه السنة الكونية التي يذكر عنها انهالاتنخرم‌فيما يزعم

راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بــن محمد المرزكونى السملالى فوجدنا اثناءه ان ام صاحب الترجمة ــوهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوييتىــ وهبت لابنيــها سليمان هــذا وصنوه سعيد كل ماكان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثى الدار ؛ما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ابيها ؛ وهبــت لهما ذلك هبة تامة

اذن ام سليمان هى عائشة التوييتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييتى ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه فى تلك الوثيقة اول من عقد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولائك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مــثــل هــذه الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليــمان هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خالــه احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون‌مدعمة بهذه النتيجة فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولــعــل الطالــب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفناذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لايسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؟ وما هى المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التى رايتها فــــى الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلــــك العصر سيدى احمد بن بلقاسم انكرسيفى المفتى المتوفى ١١٨٠هـ فانها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التى يتعثر فــيــها اليراع عثرة بعد عثرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة؛ لانه‌لايدلى بينهم لابالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحضيكــى معاصره واقرانه الافذاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلايجاريهم الاكل بازل‌قنعاس(١)

وابــن اللبــون اذا ما لزفــى قــرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايغشان ومجاط وكل القبائــل التى تحاذى الغ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه اللــه ؛

١) البازل الذى له تسع سنين والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى قرينه سيدى احمد بن صالح الاتى ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما وقد مرت بين يدى مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا دينا مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين فى مختلف البلدان بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحربيليين ؛ وبوادى تامانارت ؛ وقد صارفى زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود فى آخر القرن الثانى عشر ؛ بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدى على بن احمد ماكان لابيهم ولجدهم ؛ فاقبلوا على الدنيا وحدها وكانت له زوجتان احداهما عائشة بنت عبد الرحمن بن محمد البعقيلية التى عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة بنت سليمان المولودة فى رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط ربيع النبوى ١١٦٠هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣هـ والزوجة الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمى ؛ تزوج بها قبل ١١٦٧هـ وكأن الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة فى رجب ١١٦٧ هـ ومحمد بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١هـ واحمد ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ هـ وكأن احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمى الثانى باسمه ؛ والله اعلم

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لندرك منها ان اعتناقه للمبدأ العلمى قد أماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفى رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠ سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة ١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر فى تلقى القرآن ؛ والتقلب فى المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهى عليه العادة المالوفة التى استمرت الى عصرنا فى تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدى ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من أدخل الى داره اليراع ؛وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة التى ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون •

ومن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدى محمد بن يحيا الازاريفى المشهور هذا وباسم المترجم سميت القرية ايتسليمان؛ وان كان فيهاغير اولاده كابناء سعيد اخيه •

---

١) القبصة بالفتح ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦ـ٨ـ١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبــه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد ٠

لم نعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامــــي ؛ فانني رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛ ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفا بذلك الوصف في عصره ؛والوصف بالفقيه في بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقــه حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءهاحين يتدفــق هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) ٠

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء تجويده كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ وكذلك عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمــه ان تقل عثراته قلة ما ؛ ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندري من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدي مــحمد بن الحسن التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المرزكوني بسملالة فــــي التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى مابعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلامــيذ الحضيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سحر الغ ونحره في هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمي التملي الذي مافارق المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته في التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم مــن رفعوا راية التدريس في ذلك العصر ؛ فلاندري بمن منهــم اتصل صاحـــب الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله ومع جاره السلامي الذي ستعرفه ايضا ٠

١) الجار المكاسر الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانبها
٢)المنسف بكسر الميم وفتح السين الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته اقصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محررات يده التي راى منها مآت ؛ واما انا فلم يمكن لي ان ارى الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والـده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملياء ـوماقلهم ـ اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهـو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغها في القدور دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فرآته امراة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلـك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي ـ الاتي ـ فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التيبيوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاءها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غربيها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرا حتـى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه مـا تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل انتخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ماتندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولاسند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبارات كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لايقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لايستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احذق الناس ؛ ولكن لماكان الكذب والتقول فـي ذلـك

كثيرا ينبغى ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (ثم بعد كتبى هذا وقفت على مايؤيد تلك الحكاية من اقوال اناس آخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والــده سنة ١١٩٩ ﻫ كما رايت ذلك فى رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دأب على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضى ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفى نحو ١٢٦٣ ﻫ لان والدته (تكدا) بنت عدى (التى ستاتى ترجمتها) ادركته حيا حين تزوجت الى الغ سنة ١٢٦٠ ﻫ ثم عاش بعد ذلك؛ ولذلك رقمنا له بما ترى ٠

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم ٠

هذا فالمترجم هو الحافر للبير فى (تاغيا) سنة ١٢١٤ ﻫ وهى مــلــك المرابطين لاالحربيليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حــوالى ١٣٦٢ ﻫ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هــو سيدى ابراهيم فى سنة ١٢١٤ ﻫ وذكروا القدر الذى انفقه فى الحفر ؛ وقد حكم فى القضية شيخنا سيدى الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل فى القضية وهو يقول بلسان الحال : ربى وصلاتى



سيدي احمد بن صالح الالغى

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدى سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتهما واحدة؛ ومجالاتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هى ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان فى قسم التركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدى سليمان هو الذى له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين

ذكرنا فى ترجمة سيدى سليمان ان شيخه فى العلوم التى عنده ؛ هو سيدى مسعود بن محمد المرزكونى ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على مانستدل به فى هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشىء من كتبه لعلنى اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التى وقفنا عليها لسيدى سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ماذكره لى العم من انه رديف سيدى سليمان فى كل مايزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدى عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدنى فما زاد على ان قال انه راى فى مخلفاته مايدل على انه له يدا فى الفرائض والحساب والهيأة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفض الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لى ان ارى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدورى ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدى سليمان الذى كان حيا من نحو ١١٣٠هـ الى ١١٩٩هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا فى زمن الولادة والوفاة

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع .

سيدى صالح بن عبد الله الزاوى

قبل ١٢١٠ هـ - نحو ١٢٦٠ هـ

نسبه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

سيدى صالح كاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح فى جده صالح بن عبد الله وفى ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا ان نفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف فى الحقيقة كثير من اتصف به من اهالينا الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف للرجل مايستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه تلفت الانظار فاننا نعتنى به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يراعى المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكى ؛ واستبصر شيئا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضى الى وسطه وقد جرى ذكره فى كلامنا على سيدى ابراهيم بن سليمان وقد حكى عن سيدى صالح اخبات كثير وديانة ومسكنة ودعوة مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلايملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التى تيسرت فيزكيها فتنزل البركة ؛ فتكفيه ماتكفى مآت المكثرين ؛ حكى لى مجاطي عن مجاط ثقة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لاتكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم تدخل انت من محصولك؟ فقال ادخل المائة فاكثرفقال‌له: ومايدريك ان‌يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث احتاج المجاطى الى البذر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا فى متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بغرق كثير في وادى تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقي تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امراة من تاكضيشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره ـ فقالوا ان كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعنك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب الينا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدى مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف فاذا هم لاعين ولااثر فأعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك .

كان سيدى صالح مقصودا في عصره بالرقي والتمائم والدعوات ؛ معروفا بذلك فلايخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راى من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذىعندى؛ وان اردت مائدةممدودة وفراشا مبسوطا فعليك بسيدى ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا غني كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .

سيدي

محمد بن احمد السعيدي

نحـــو ١٢١٥ هـ - ١٣١٦ هـ

نسبه

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا جد والدى ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنـه لا يذكر الا بهذه الوجاهة وهى مالانعتبره فى اهالينا بالترجمة الخاصة؛ مالم يكن معها صلاح مشهور اوعلم لان امثال هذه الوجاهات فى قبيلتنا وجاهات شخصية لاتعدو نفع الاسرة ؛ ولاتجد القبيلة منها ظلا وريفا ولاتسمع منها كلمة نافـذة ولذلك اسقطنا شرطها فى اهالينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكـر ؛ وكان الناس ينتابونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا فى المرض الـذى يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيراحتى استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والـدنـا آل الشيخ ؛ واعمامنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحـاج عبد الله المتوفى فى الحجاز فى ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذى افادنا جل مافى هذا الكتاب وسترى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فهؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى

نحو ١٢٥٠ هـ ـ نحو ١٢٨٩ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشا بالغ من اهالينا بعد الفقيه سيدى سليمان المتقدم فرفع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستحواذ فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى ٠

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح بعلالة يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية ولا اخبار توثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛ ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛ وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران؛ ثم بينماهو يتاهب فلكه للارساء ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط اوفر ماكان نشاطا واعلى ماكان شهرة فذهب مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلمة واسعة فى الغ اذ ابكت قلوب الاصدقاء واشمتت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن ان ذهب سيدى محمد ابن بلقاسم ؛ فان الغ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود الثغور كلها به بواسم؛ وايام الغ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل وارباحها فقط ؛ فسياتى من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

فج عميق .
بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه في حين اخذه للقرآن؛
ومن هم اساتذته فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندرى عـــن
شيخيه الاستاذين محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمدبووازيالساموكني
وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ عنهما ؛ والاستاذ المافامانـــي
كان في المدرسة الايغشانية حوالى ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة ؛والاخر
كان أيضا في مسجد (ايشوكاك) في أكادير ايزرى ؛ فهل أخذ عنهما في هذين
المحلين او في غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه
الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتيم الحاج عبد اللهبن
عبد الرحمن واخواه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عـن والدهـم شيخ
الإسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذى لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسةقبل
١٢٦٨هـ فهولاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انهانتسب بالتلميذية للاستاذ
ابن المافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم .
ثم اننا راجعنا كتبه التي خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
الى الان ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطي
واتمها بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨هـ والتاودى على الزقاقية
في الاثنين الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
مرضية ؛ في المبيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الـزواوى والفقهيـات
للجشتيمي والتاودى على التحفة ومتن الزواوى؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
للصنهاجي وبعض شرح السلم ؛ والدردير عـلى المختصر والازهرى عـلى
الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالـة ؛
هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قالانه
لميتتبع كتبهكل التتبع حتىيعرف ابقىوراء هذهمن مخطوطاته شيءاملا قالانه
لم يورخ من منسوخاته الا التى ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر
عليـه تدرك همـة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فحين كانت
كتب الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد في الاسواق للبيع ؛ ولاهناك
خزائن يستعار منها اقبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا في الافـذاذ
الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل .
كثيرا ما اسمع بعد رجوعى هذه المرة الى الغ بصاحب الترجمة واناخلو
من علمه ومعرفة شانه قبل ؛ فصرت ابحث عنه علنى اصادف من ادركه ؛ او
من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لى بعض مايتعلق بـه؛ والامـا
كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لى استحضر وانا صغير
أرعىبهم(١) أسرتنا فيسفح ربوة مشرفة علىقريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

١) البهم بفتح فسكون صغار الغنم

اتشحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صغار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩م ثم حكى لى ايضا - وقد سالته عما يسمعه من عند اهله عنه - قيل لهذاالفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛فاذا جلسوا اليك لايلبثون انيرجعوا فى هدوء وسكون ؟ ماذا تصنع بهم حتى تفثا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلطه واما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحيى منى ؛ فاننى أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فقيل له وأما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لايستحيى منك ولايهتبل بمقامك؛ فقال اذا كانا كذلك فاني اعالجهما بالتى هى احسن حتى اصرفهما عنى وكل ما أتطلبه منهما أن يهدءا حتى يبتعدا عن مجلسى ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيها هى لاريب التى رفعت من شانه ؛ واعلت من مقامه ؛وأسالت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك من العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لايتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعةالمسالة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ واولى من يعطيها من صحت لـه القضيـة ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلكالطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى وقد اخبرنى المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوفقاويين كان حكمه وصاحبا له في قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوفقاوى راجع الفقيه فقال لهانا غلطنا فى الحساب حين ادفعلك اجرتك ؛ فقال الفقيه اننى تحققت ماتوصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ماتراضينا عليه ؛ فكان الوفقاوى تناوله بكلمة مست شعوده فثار عليه فقال لتؤاخذنى بين يدى الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة ان قدرت حتى تصدنى بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوفقاوى البساط ؛ وقد جد الجد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرابط الضعيف

---

(١) لعبد الرحمن الجشتمى

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين – بعد ما اعلى العلم شانه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

أخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥هـ قبل السنة التى سافر فيها استاذه سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذان لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده فى ذلك ببلاد الوفقاويين والمجاطيين والحربيليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح؛وقد اخبرت انه هوالذى قسم املاك ايت اورعى ببعلاش؛ اخبرنى بعض البعلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبى صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بآرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازى الساموكنى ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكنى ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبى ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونتى المجاطى التمكيدشتى ؛ والاستاذ أحمد بن محمد الايغرى التامانارتى والاستاذ سعيد الاساكى الافرانى وأشياخه الجشتيميين وربما كتب سوالا واحدافى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لايتكبرون من ظهور جهلهم ولايتعالون على معاصريهم حتى لايتنازلوا الى مساءلتهم فى مسالة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمى التازروالتى؛ والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ

« وبعد فقد أذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى سلالة سيدى عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المنكبى -الايغرى- على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالغى بعد أن ألقى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له وليا ونصيرا.»

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رايت فى مخاطبات بعضهم اليه اجلالا واحتراما ؛ ثم مازال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغى فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيفا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه المندلى وراءه كتاب ففهى صاحبه معه هكذا تحكى حياته تعجبا لان المعتاد من العلماء تحسين الهيأة ؛ فثوى بايليغ فبعد أن رحب

به رب المثوى ساله عن مسالة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجراريين امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليغ وهـم كثيرون اذ ذاك افتوا بأن الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف أن يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التى توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالى باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهر لك في مسائلة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنالك ؛ وفي اليوم الثانى قال له الرئيس الـق مسألتك عـلى هـؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد أن يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسالة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب •

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق في المسالة ؛ وان الملك انما هـو للجرارى ؛ وليس له ؛ فالقى سيدى الحسين على اذنابه من اولئك العلـماء نظرة طويلة من النظرات التى يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذياع اذاع شهرته ثانيا الى عنـان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه في الرمضانات لدرس الحديـث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة •

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين فكانت لنا كالمجهـر الـذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارىء اليها في كتابنا -آثار فقهية للمتاخرين بالغ وغيـره- فـقـد حشرنا فيها كل آثاره التى لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب- لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التى يعدونها - فيما يزعمون- من المستثقلات)

كان الاستاذ التيبيوتى اتصل بالجشتيميين كما رايت في تواريخ نسخه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتيمية ؛ أخذ عنهمـا المبادىء والله اعلم• ثم قبل ١٢٨٠هـ رجع موفورا مودعا من اساتذته الجشتيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهو بينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقى الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقد رايت في ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولـكن

الاخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروالها عبيدا ومدخرات ومواشى كثيرة ؛ حتى ليقال اتفق ان ولدت -١٠٠- شاة فى يوم واحد ؛ ولايخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروةخطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التى يعدفيهامن يملك اذذاكمائة ريال كرتشارد الاسرائيلى المشهور فى بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال فى كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هى العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واثل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به فى قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر

وبعضنا قائـل ما اغتاله احد   وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته فى نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لاننى رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احـمد وعبد اللـه ومحمد -فتحا- بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها فى ترجمته - فلميذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرنى به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح انوفاته فى نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ولكن عمت البلوىمنه ومن غيرهمن فقهاء هذه البلاد بعدمالاعتناء بالتاريخ الا فى الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتتبع الرسوم المحـررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكناين من يعتنى بـذلـك ؟ فياضيعة الاعتناء ومدفنه فى قرية تيبيوت فى المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايته حين اتصل بالجشتيمية سنة ١٢٦٨هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادىء حتى امكن له ان يعتنى وينسخ ويكتب مايكتب فى آخـــر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو -١٩- سنة او اكثر ؛ وقلما يكون أقل فى نظر من اعتبرما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركـوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى الذى ابتهجت به الغ حينا قصيرا ؛ ثم رزئته سريعا ولم يخلف لـهـا الا تلك الآثار الفقهية لاغير ؛رحمه الله ؛ وجعله فى اعلى عليين

الحاج على التيبيوتى

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥-٤-١٢٩٨

نسبـــه

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا فقيه آخر من قرية تيبيوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه في المعلومات ولمفارقتـه المدرسة ؛ ولتصدره في ميدان الشهرة ؛ ولاشك فيان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الغ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨هـ فمرض فلحق بربـه فى وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه •

حكى لى ذلك المسن التيبيوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كث اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم؛ وقد حكى كيف احتضر؛وان الغرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدأ حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا فى بيت ؛ قال وبه استعان ورثته فى المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالى بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيبيوت فعزى اهله •

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله فى مثل هذا المقام ؛ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهومه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولا اننا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لايذكر من لم يفد لافى حياته ولا فى مماته شيئا فقد حيى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن لم يحي في التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له

ولبعض الالغيين :

الفجر بالنور وزهر الربا بنفحاته الذكيات

لولا فرند ذي الفقار وما يوثر عنه في المجالات

لما رايت اليوم من ذاكر له فقط في المشرفيات



الحاج عبد الله بن صالح الالغي

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبـــــه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد ٠

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون ٠ حتى لكانها لاتزال بعد فى مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صغار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التى حولها ؛ ثم لايمضى الا حقبة حتى تراها تعلــو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضى ؛ والليالى تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهى تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيقة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانــت السمـاء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعثاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلها كل حين باذن ربها ٠

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ممعنة فى الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياشهم الى زاوية لايزاحمهم فـيها احـد من المثرين من ابنـاء أعمامهم الذين يتهالكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا عـلى الارض واطراقا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنـــــا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيـهـا فلما علمـوا	انها ليست لحى وطنـا
تخذوها لـجـة واتخذوا	صالح الاعمال فيهـا سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التى قال والده فيها انها هى المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيراكثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الغ لــواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان ٠

ورث الحاج عبد الله من والده ذلك الصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنانه ؛ فمامست يده مريضا ولاتميمة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا ؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقد ساله والدى مرة من اين يستقى تلك الادوية التى يصفها للناس ؛ فقال له انما ذلك شيء ينقدح في ذهني عند سؤال سائل ويصحح ماقاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لداء واحد للسائلين ؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطبب عن والده سيدى صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذى ازجي به حياته ؛ بل تملص هومن الخمول الذى صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدى عبد الله بن احمد ؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلح وكسب واثل وتاجر ؛ فلم تتوسط العشرة الثامنة ـ٧٥ـ من القرن الماضى حتى كانت له ماشية كثيرة في ايسافن مرتبع اهالينا الالغيين ؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدى محمد الذى ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد ؛ فمازال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما سترى ذلك في ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدى محمد بن بلقاسم على الغ بروعة العلم التى اظلته انحاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما رايته في ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاد الجهد في تثقيف ولده ؛ ومن هنالك جاءته هذه الفكرة التى طلعت على الغ بحظوة لم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى .

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطى ؛ لما لهذا فيه من حسن نية ؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران ؛ كما اخبرت ايضاان له بآل(أساكاأو بلاغ) اتصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي ؛ قال لمولاى الحسن حين زارسوس ١٣٠٣هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة : ان والد هذا سيدى الحاج عبد الله شيخنا .

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولكل حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدى محمد بن احمد التيمولاءى في دراهم اشترى بها زرعا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاى فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاربح فيه ؛ فقال يكفينا فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذى لابد منه والطائر لايطير بغير الجناحين ؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدى

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٦هـ وابراهيم ١٢٨٢هـ وكلهم اعقبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة

ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي ولذلك افضل الله عليه ·

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راى ان يخصص لهم استاذا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقرت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خيرمعين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده الآفاق ثم توج شرفه بالمثول بين يدى مولاى الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الباقي خلفا · فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شفوفه على الاقران شفوفا كبيرا ؛ وامتعه الله بطول العمر حتى راى من جميع اولاده تفوقا في العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايحب الا معالى الامور ؛ حتى في البناء فلايحب الا العالى المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راى من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبنى بعد ؛ وليس ببناء وماصدقه في ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضي فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزىءايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزئه بوالده قبله ·

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ في العتاب ولا يستقصى في التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه في اى شيء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريده والده ؛ ومبلغ تاثره في ذلك الامر ·

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فأشهر من نار على علم لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشي والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطبيه عن ذلك اى شيء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالغيين ·

ومن عرف الدنيا كمعرفتى بها   فليس بمغتر بقل ولا كثر

ومن عرف الرب الذى خلق الغنى   نظيرى فانى يطبى عنه بالوفر[1]

---

١) اطباه بتشديد الطاء استماله

واما نظراته في مختلف الامور فهي صائبة ؛ ويوثر عـنه كشف كثير ؛ وآراء سديدة ؛ وحكم ماثورة ؛ حكى لى استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه القى يومامن صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لى دهش كثير ؛ فذهبت بها اليه ؛ فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك

وقد توفيترقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرنى به العـم ثم اقترن ايضا بعائشة البعقيلية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ؛ وكفاها شرفا انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما

وفى اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كانمرض يعترى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فشاع مرة انه توفى مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين المتعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان مبل من ذلك المرض ولاباس عنده ؛ فاستحيا الوفقاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك فقال اوتقول الناس ذلك ؟ انى اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سقط ؛ فالتحق بربه فى ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ على بن عبد الله والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى فى القبة ازاء ولده الاستاذ محمد ابنعبدالله ؛ وفى بقية من كفنه كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد ابن القاضى الايديكلى الذى توفى بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر فى القطر السوسى ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله : يعزى ولده الاستاذ على بن عبد الله

على مثل هذا الحادث القادح الوقع ... تذال نفوس لامصون من الدمع
ابعد مصاب المسلمين بفقد من ... يقوم مقام العين للمجد والسمع
وبعد مصاب الدين بالواحد الذى ... ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
وبعد ابى الاشياخ افضل والد ... يساء بضر او يسر بما نفع
لقد زلزلت ارض السيادة بعده ... ودكت جبال المجد من نفخة الروع
وغيب منه اللحد بدرا تكشفت ... عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
وفلل منه الموت لادر دره ... شبا صارم ان سل فل شبا النبع
واوحش ربع الدين منه وطالما ... نأى جنبه جنح الظلام عن الضجع
فاى امرئ يفرى العويص فريه ... ويكشف وجه الراى فىالجلب والدفع
لقد كان للمجد المؤثل ساعدا ... فمات فكف المجد منى بالقطع
فو الله ما قام النعى بموته ... فأخرس الا والكمال هو المنعى
فصبرا امام الدين فالصبر صارم ... يسل فيرمى مارن الرزء بالجدع
ففيك لتشييد الكمال كفاية ... اذامالمنه الركن تجذب بالضبع
فلا تخضع الصم الصلاب لزعزع ... يهب وانت فى العلا علم الرفع
فلا رزء الا دون رزئك فليكن ... تلقيك امر الله بالسمع والطوع
فدونكها مولاى من فكرة ذوت ... نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
تسر وفاء لو تمد بمنجد ... منالقول لاستقصت مدىالواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبـــــه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد •

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهـرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحـدائـق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفياضة والمراتع التى تفيض حينا بالعشب النضر ؛ وحينا بالغثاء الاحوى ؛ كل ذلك منعته منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به؛فما هناك الاعاصير شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع تتدافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كانهاصفوف نخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير الجنة فى اوديتها •

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من أمضوا اعمارهم فى وسط تلك المهامه القفار ؛ انهم امضوه تحـت قبة السماء - كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لايزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عـوضت الغ بعد ماحرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلموالادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيرا فى الغ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعونته اسس الشيخ الوالد زاويتهبالغ بعدماعزم ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ماجعله نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابـن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وربيب الغشيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

فى الاشادة بمعارف الغ الماجدة :

تاهت بواحدها الــغ فقلــت لها ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض ثراها عبير والنسيم شــذا والماء راح وكــالـيــاقوت حصباء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالينا ذوق مــن ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ومغناطيس جميع المقامات العليا التى تشرئب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا غريبا حتى لايحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذىانتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التيبيوتى المتقدم الذى استراح فــى الدرجة الاولى واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التى اشتهرت بها الغ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضى بين البلدان السوسية ؛ حتــى صارت مثلا مضروبا فى الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالغيين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذى وضع بفكرته البذرة الاولى لــعــلم الادب بين ما يلقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغاء اصحابه ونبغاء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالغ خاصة ؛ ولسوس عامــة بل والجنوب المغربى اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلألأ فوق هامات هذاالعلم العالى الذى لايتعالى اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس بما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار فى طريقه ؛ حازوا به خصل السبق وتلك سنة النمو والتدرج والترقى ؛ ولايمكن فى العادة ان تنخرم سنةاللهفى كل شىء ؛ ولن تجد لسنةالله تبديلا

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره فى الخالدين ؛ ولــيــبق ذكره معسولا فى افواه ذاكريه فى ندوات التاريخ التى لاتزداد بتقادم الازمنة الا جدة وطلاوة .

فليحى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحى ذكره امد الدهر ؛ وليحــى كل من بذل جهده فى اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحــى هــذا الادب الاندلسى النضير الذى ما ازهر فى الغ بل فى الجنوب المغربى الا بسببه

مبتــــدأ لا

كان بكر والديه وكانا يطمعان منه مايطمعه كل والدين من مرابــطــينا

اصحاب المواشي من ابنهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعينا على مشاق الحياة وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا من يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملالن التمليين احفاد الشيخ سيدى يحيا بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهالينا يتيمنون بهم فتداولوا هذاالمسجد ؛ وكان في تعليمهم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عنداحدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راى والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان ـوقد افردنا له ترجمة فبه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افعوعم اناؤه ؛ وعتقت رحيقه فرجع يختال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل مناه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضي فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الابعلم ؛ ولاعلم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة ايابه من تانكرت ١٢٩١ هـ

في مسجد قريته

قف بنا الان قليلا لنلقي نظرةعجلى على هذا الطالب النحيف الذى لايحرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة منتهى سمو اهلها في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حبائل لفصل الدعاوى وفض الخصومات لينتثر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي هاجر ماهاجر وكد وتعب حتى حصل؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العد ؛ ثم ماجال في ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلده ان يبث ماحصله في صدور النشء ولا حاك في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبنى له بمثل هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى عمله وهجيراه ان يظل يدور من ايت وفقا الى امتضى الى مجاط الى ايليغ ؛ ليحتقب مستجدا يزيده الى ماعنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في ذلك نحو عشر سنين انه لمامات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحي من الوجود لو لم تتصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هـذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التى لاترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ماجعل مع ان دار والده انقيست بدار آل الاستاذ التيبيوتى قفراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسعيه الحثيث الجديد ؛ ثم ليس هناك شيء آخر يعتمد عليه في أداء مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونت الاسس اولا ؛ ثم رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ماطال بالاستاذ التيبيوتى منذ فارق المدرسة ؛ وانتشب في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العملين ؛ ندرك مابين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملاوا هذه الارجاء علما ؛ فاين من ابقاهم الاستاذ التيبيوتى من عمله ؟ واين مايذكر به اليوم بعد ان صار من المرموسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قد انتصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وهاهوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض ابنية يتسع بها المكان ؛ وهولاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وهاهوذا يمونهم من عنده وهاهي ذى دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذى اسسه هناك وهاهي ذى سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لايزداد الا نشاطا ؛ والطلبة المنقطعون اليه قد بدأت هالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فماهذه الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمته النادرة ان قيس باهله وبعلمائهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بانسان خيرا هيأله من حيث لايحتسب اعانات ؛ واركانا يتكىء عليها بنيانه ؛ حتى لاتزعزعه العواصف ؛ ولاتنسفه القواصف فهذا بعينه ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب المسغبة العظيمة التى المت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ وافنت الاموال ؛ واتت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتثت اصولها ؛ ولا يدرى الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقدتطوق بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛فقد
حدته العناية الربانيةالتي لايعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية
فشارط فيها ؛ والمدارس لاتخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساغب
وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد
له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية
من سنة ـ٩٤ـ٩٥ـ فكان زرعا كثيرا فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة
والاملاك من ارخص مايكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل
الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكا كثيرة في قريته
وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ ﻫ وهو لايزال مشارطا فيالمدرسة تلك ؛ عزم على
تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد
شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذى باعه ؛ ومن الاملاك المغلة
فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتى الا بخير؛ فاعمل رحلة
الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدى الحسن بناحمد بنمحمد التمكدشتي
فاستشاره فأذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد
البونعماني بتاسيس مدرسة كماحدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدى عبدالرحمن
العوفي عن ابى الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالغية صانهاالله
وكان سيدى الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛
ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدريه   وفي اثـوابـه اسد هـصور

وكان سيدى الحسن اسر الى بعض جلسائه مايدل على ذلك فيصورة
مباسطة يسائله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب
سيدى الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ ﻫ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان
مظنونا صار محققا

المدرسة الالغية تؤسس

كان الاستاذ لايزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالى الدروس لتلاميذه
بهمته المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته مااستطاع الى ذلك
سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ
الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطا في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالاة
الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ
فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة
السنوية التى شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة
الالغية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من
له منهم طاقة يبنى من جديد لنفسه •

قوام المدرسة

المعهود في كل المدارس السوسية المنبثة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم للطلبة الغرباء المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتاسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ماكان من صاحبنا الاستاذ محمد ابن عبد الله العصامي الذى اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا: فانه اشاد مدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايغشاني ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم بأود من ينقطع اليها ـبلغوا مابلغواـ وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الغ باعانات من اعشارهم التاكانزيون والتاجلارمونتيون والاغوديديون اخوال الاستاذ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يمدوها بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير معينين لابن اخيهم الذى قاد اليهم المجد الموثل بأرسانه ؛ فجعله في متناول ايديهم ؛ وفتح لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لايوصد أمام قاصديه ثم أهاب بهم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال لهم ولا لابائهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكتعون ابتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فأما من شرح الله صدورهم للتقوى وانار الله بصائرهم بأنوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحسد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم أولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تتأكل قلوبهم مما ينفسونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فأوحى اليهم حسدهم ما اوحى فأقبلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجد سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار ـكما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه اللهـ ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ في ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت في قعر بير ؛ لان المدارس باساتذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو ابن معد يكرب لابنصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛الاحين شارط فيها الاساتذة سيدى احمد بن صالح الافراني ؛ ويليه سيدى

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى اليزيدى وهؤلاءومن تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالغيين الاخرين وما هم الانفحة من نفحات المدرسة الالغية ؛لان هولاء خريجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالغية على الجد والاجتهاد ؛ فانهال اليها الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذكان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة البومروانية كالاستاذ العربى الساموكنى واقرانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هولاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة؛فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم التاجارمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيتقبل الاستاذ كل من وردعليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛وكان طلبتها فى ذلك العهد لايتجاوزون خمسين ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزيـــة والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالغية الحديثة العهد هذه القديمـــات المكتظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابكثرة المجتمعين

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقــر مقــلات نــزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع أسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم مراسية لئلا تتزعزع اركانه
تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانه
واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبنى على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة مايدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم مايتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسلات لسانه ؛ فذلك

ادعى الرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لاينساها ولاتاتبس له مع غيرها ان امعن بعد فى طرق العلم الشتىء التى يدفع اليها متى شدا فعلى هذه الطريقة سار الاستاذ فى تعليمه ؛ فبثها لكل من درج بين يديه فعادت محجة لكل من يعلم من الالغيين بعد؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك بعض صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدوتلميذه وقد اتقن الاجرومية التى يقرأها لابد مرتين فىاللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود حتى ان لم يدرك معناها كله الان فانه يعدها فى حافظته لماسيأتى ؛ وقد قرأ ايضا المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات وهذه هى متون المبتدىء فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها ولو باعادتها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ بحفظ كل الشواهد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى لا يكون أيضا الا بها ؛ وهو وطبقته يطالع النجباءلهم الدروسالتىسيقرأونها ثم يعيدونها هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين العشاءين للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لايمضى للتلميذ سنتان فثلاث حتى يتمكن وقد اتم الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقاقية والعمل والمنهج والالفية بالاشمونى ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على البهجة والمكودى ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفعبه الى خوض كل شىء منحديث وتفسير وفرائض وحساب بعد ما الم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى هذا وهو فى عشية الاربعاء وفى يوم الخميس يتلو فىكتب الادب التى كان يتلقح جراثيمه من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى العواشر تدرس قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات السبع؛ والدريدية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب بذلك كله شاوا كبيرا ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يترامىعلى صوغالرسائل والقصائد ؛ ثمانظهرتفيه اهلية وظهر بقريحةجيدة فانه يعتنى به فى الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من القضة ؛ والتمرة منالجمرة ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة الدراسة الالغية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولايتخطون هذا النظام والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لايمكن ان يهتدى اليها الا من سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والندرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى شىء الا سار هوبنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد ٠

هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالت عليه بعد ان كاد ينبطح فى بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال ٠

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيازه الى المدرسة البومروانية التى كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على مااقتصده فى مسجد الزاوية قبلها وامدته بشرط آخر تأتى له به وبما فى يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هى معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريح الى خزانته حبة واحدة؛ ثم طلعت السنة التى بعدها فاذا الناس يتضورون سغبا؛ ويسقطون بالجوع فى الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية ممحلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم فى التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ وراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشرى

زار الشيخ سيدى المدنى الناصرى تلك السنة الغ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذى مرؤة يواسى اويسلى او يتوجع ؛ نفض الاستاذ شكواه الى ضيفه فقال له وعيناه مغرورقتان بالدموع ـ كما حكى من حضر ـ اننى ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم وألفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكأن السعد الذى كان ازاءنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكأن الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى بأعيننا كيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهدأه الشيخ بكلمات مسح بها بعض ماألم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هرى المدرسة؛ فمد الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لاتخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهرى من الشعير ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد ماباركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لايخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا ـ فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام وألقى الخصب بجرانه فى الغ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بالغ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافعوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

عن الناس ؛ فأقال الله عثرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان لله كان الله له

العثرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة في ميدان الافتاء ؛ فصار أرباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهولاء يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى مراكش فى اواسط سنة ١٣٠٠ ه فحين اطلت سنة ١٣٠١ ه راى ان يستعين بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى فشارطه فى مدرسته ليمكن للدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة او أصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ اليزيدى مما وقى به صاحب الترجمة من العثرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا أثقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولاينبئك مثل خبير

الاستاذ وطلبته فى وادي إفران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من فى مدرسته وادى افران ؛ فقصدوا الشيخ سيدى المدنى ومعهم الاستاذ اليزيدى ؛ والدراسة سائرة فى طريقها ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدنى هذا ؛ واظن ذلك فى سفرته هذه

ياابن القطب احيا الدين جهرا	وجدد ما وهى وازاح جهلا
اتينا كى نزوركم وكنتم	لذلك فى اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومد للضراعة نحو ربى	ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
وثم عليك من ربى سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتتبعوا قراهم بياتا فأسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا فى تلك السنة ؛ حتى كاد يكون بلاثمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة ـ نحو كيلو ـ من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى ان حلوا بتيمولاى اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على المومنين ان يبتغوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١هـ والاستاذ مشغول بأرباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فقضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢هـ

الاستاذ مع رؤساء إيليغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقيله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سياتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفتل قبل ان يألفك الرئيس واما الان فلا ثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالغى فى كل الرمضانات حتى لحق بالملا الاعلى

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البنيرانى الى الحمراء فأدوا التحية هناك فى ٢٤ ـ جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه ـ كما سمعت ـ ان يفيد ذلك فنفذ له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ـ٦ـ فى الملحقات بترجمة الجد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدته الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

روح الاستاذ تلتحق بالرفيق الاعلى في مراكش

ماشينا الاستاذ منذ وثبته الاولى فصاحبناه فى كل تقلباته المختلفة وفى جميع مقاماته التى يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه الهمة الفذة التى هى كلها تطلع الى المرتبة العليا التى لا يعلى عليها ؛ وبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين أقبل على تشييد المدرسة كل اقبال: ما نصنع نحن بمدرسة جديدة والمدارس المبنية فى القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا أمثالنا ؛ ولا توصد أبوابها دوننا ؟ فبأى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم أو بعد اليوم ؟ مع أن المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ مابنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون املا ؛ ولكى يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ اوانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هى همة الاستاذ ؛ وهذه مقدرته التى برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التى اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التى تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هى التى شحذت همته ؛ وارته انه لايفوز فى الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شبيبته وكهولته هى التى اوحت اليه الفكرة العليا التى ينفذها فى شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجبه ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذى لايلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالى ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا النووى ؛ والفاتح الشهير اسكندر المقدونى ؛ قاما بما قامابه ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التى يتأتى لمن كان فى وسطه ان يقوم بها مايزاحمهما به فى شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن فى كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب السملالى فى همته وفى علمه وفى قصر عمره .

كنا غادرنا الاستاذ بين تلاميذه فى مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢هـ ثم فى – ١٣ – من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والدى فى موالاة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمى فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لايبالى بجسده ؛ فى قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالمثول بين يدى صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع لمة من اصحابه ؛ وداؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احواز تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير •

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاؤه ؛ فمالوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولايدرون باى وجه يردون على اهاليهم ؛ وباى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بدره الوضاء بتامصلوحت ؛ وحفروا همله بايديهم هناك ؛ ثم افردوه فى رمس تسفى عليه الريح والمور •

دهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حواليها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم فى صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غبرة ترهقه قترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ فى امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزىء بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادةبغير ذلك وكأنه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر •

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموتا
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننا	جميعا لفى حزن عظيم كما انتا
والسننا تتلو العزاء واننا	على جزع كنا عليه كما كنتا
أسلوى وقد فات الذى كان عدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفوتا ؟
وكيف التسلى والذى منه نشأة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى؟
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا؟
فاى لبيب ليس يعذران راى	صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الذى	له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليد الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهمالدتان سنا وهمة وتطلعا الى المعالى ؛ فالتحم مابينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ في المدرسة البومروانية ؛ ثم ناب عنه في المدرسة الالغية في رحلته هذه التى التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فمرا بمرمس الاستاذ فوضعا تجاليده في التابوت فأقبلا يغذان السير ؛ فدفناه عند اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تاسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكأن القدر يملى في ذلك موعظتين

اولاهما ان ماأسسه الاستاذ بيده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التى لاتمسها الاعاصير الالغية ؛ وقواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد المؤثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لابد ان ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والاخرى مانهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ولايمكن ان ترد بأعمال المتأخرين الادنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيها فان ارواح الموتى تجأر الى الله في علييها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت الاعاصير الالغية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا؛وما لااسس لهفلابد ان ينهار • والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا في كل ماتمسه يده ؛ وقد جعل الله البركة في عمره ؛ وأنزل اليمن على عمله فبنى واثل وولد وعلم ؛ وكل ذلك في اثنتى عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في المحظوظين الذين أخذ الله بأيديهم ؛ ووفقهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبدالله خليفته في المدرسة

متبعا شقيقه محمدا	من كان في الهمة فردا اوحدا
من يفعل الخير الذى قد فعله ؟	يعمل في العمر القصير عمله

قد خلف الذى عليه يجرى — فى حال موته بخير ذخر
لانه اكرم من كريم — بأى عزم مقعد مقيم
قد فاق بالجد والاجتهاد — اقرانه من زمن المهاد
ففاتهم وسلموا فى السبق — منمثله فى الغرب اوفى الشرق؟
وهو الذى قد شاد فى بلدتنا — مدرسة شادت له كل ثنا
وغرس العلم له تلامذة — عديدة لهم فهوم نافذة
وحبس الاحباس ثم خلفا — اولاده ينتجعون الشرفا
فهذه الثلاثة التى ذكر — لفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممن ينصف الرجال ولايغبطهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح ماتفرعوا فيه الى الان ؛ وهمالان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكل مافى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا يكون أيضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دوكدير ؛ فأدلى بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل مافى امكانه ان يقبله الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلك يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لايتأثر بأى شىء ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية •

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملالى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين كل الاشتهار ؛ فأظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لاتتمشى عليه الحيل؛ وذلك انه داين سملاليا فى بعض المساغب بحبوب بثمن اكثر مما فى السوق ثم أجله وللاجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملالى ؛ فقال انما ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيهاانه باع بالغلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتى هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عليها ؛ فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملاليون وهم يعرفون للاستاذمكانته فألزموا ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين فأرسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهى صحيحة ام لا ؛ فأرسلها اليه الاستاذ ؛ فأعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملالى من الرسوم فأحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرته القبائل

أواخر ١٣٠٢ هـ او أواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد المجاطي ؛ فكان أول ما اشترطه عليه امغار محمد بين شروطان ينصف الاستاذ ابن عبدالله في قضيته ؛ فأرسل اليه في الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطني رسومي اولا ؛ فقال له سيدي الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكني سأقف معك بغيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفني فانني ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هي نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول من الرسوم فهاهي ذي عندي • فعلت ذلكاحتياطا فجعل سيدي الحسين دعوا هما في يد الاستاذ سيدي أحمد بنابراهيم السملالي العلامة الشهير ؛ قال سيدي الحاج احمد اليزيدي فمربي الاستاذ بن عبد الله وأنا اذ ذاك بالاخصاص ؛ فتصاحبنا فبتنا عند الاستاذ السملالي ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملالي بالغرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدي الحاجاحمد اليزيدي الذي كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالي كم اجرته فيالقضية فقال له الاخر ؛ مثلي لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هو التعاون على النوازل ؛ والتناصر ء لىاحقاق الحق فيها وابطال الباطل •

هذه الحكاية ترينا نواحي شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايغلب ولايحني هامته ولو لرئيس ايليغ الذي كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطه في الرسوم فأدركنا انه ممن لايخدع ولايقعقع له بالشنان فهذه نواح اخرى نعرفها زيادة على ماتقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راى من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ماحمله على ان قال ان ابني هذا لجريء ؛ فكان كذلك ؛ فكانما كشف له ستر الغيب ومن اوتي العقل فقداوتي الفراسة التامة ؛ والتوسم في كل مايعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله في الدروس جهوري الصوت فصيحا ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ علىفصاحة كذلك تضرب بها الامثال •

آثاره

لادري اي آثار اخرى ينتظرها القاريء عن الاستاذ ؛ بعد ان راى في كل ماتقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذي افرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبغي ان تتطلب آثاره في صدور اصحابه ؛ فما بعدهم له من أثر ؛ وأما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثل ماطوق به ؛ فقد اخبرني ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتح

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على أن له معذلك ابياتا كثيرة فى القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبثة فى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ماتوصلت اليه ايدينا فى كتابنا الذى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الغ وغيرهم من المتأخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها ولكننا نسوق هنا ماحلا فى الذوق وحلى فى العين ؛ فمن ذلك ماكتبه الى تلاميذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عن الدراسة ذلك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها

بدت لى احبتنا عبرة وخير الخلائق من يعتبر
رايت السماء بتلك السنين من الارض ضاحكة تكتشر

الى ان قال :

فكل الحوادث اوعية لدر الفوائد ان تختبر
ولكن قليل من الناس من بآيات خالقه معتبر

الى آخرها .

ثم كتب بعدها حفظ الله الاخوان المذاكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمه من الشاكرين ؛ ووقى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليهم

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامر الله لابنوء المشترى ولا زحل ؛ وحبسنا بالغيوث فى البيوت ؛ وانشأنا والحالة تلك ماتقرأون من البيوت ؛ فتأملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضطرين واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده فى الحب والله بمكان مكين ؛ وقد قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلامنكم خير خدين بالصدق زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعده وهنده وصلى الله وسلم على الاتى بها وصحبه ؛ وعلى آله وكل من قضى على ملته البيضاء محمود نحبه ؛ ومتعنا بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر فى ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك فى سفرته الاخيرة

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطناوعنى
وبعد فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف
وجعل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتما عواوعد على الالحاد
فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدده الله فيما كان لـه ولـيـا ؛ فاتخذوه ابا ؛ وتوقيره ديدنا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جافيهم ويشكر سعى وافيهم ؛ وينصح جهده ويوطىء لجميعهم مهده ؛ وان لايميز بينهم الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم مايحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصى الجميع الامير والمامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى في جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم الصدقة في عصرنا هو الصبر والكظم ؛ وأحق به الاقارب بالدم والعظم ثم المجاورين والمحاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى في ذلك كله؛ واعلموا قطعا ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مـذمـوم ملـوم وأنا استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه ؛ وأبضع تعليمكم في سفر الارجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر والحافر ؛ انشأت لكم مودعا في بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى آخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى نصها :

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛ سيدى الطاهر ؛ وامتعنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامـة الظاهر وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب والسنة من اجلى المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتـى يـكـون بكمال الفضل من جملة المشاهر .

وبعد ؛ فاعلم ياولدى أرشدك الله وسددك ؛ واعانـك عـلى الاستقامة وبالصفاء أيدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامتثال امره واجتناب نهيه ؛ ومعرسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر أمته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشفاءه من هذا الاب الدينى صلى الله الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفـع المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحققهم آكد وآكد ؛ وقد كنت احببت القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك في كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتي لوالدك ادرجه الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لي اني قصرت في حقك ؛ ويستقل لي ماادخرت من طيب العلوم في حقك ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرأيت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعي ؛ مايمد اليه يده ويدعي ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك؛ واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق سائر المسلمين بالصدق الذى وقر في صدره ؛ من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضله العميم الظواهر والسرائر وهو حسبي ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف تربيته ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرته الى جميع المسلمين ؛ وكيف يحب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى مابينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجاني المشرب على يد الشيخ سيدى الحاج الحسين الافراني ؛ لايعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت في ورقات افتتح فيها والدى كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن همو؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تاليفه ؛ وسماه له (المبدى المعيد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لاخيه فضله ولايعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثيرمنها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى الطاهر الافراني فلنسق منها ماتأتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء ٠

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقيه سيدى الحسن التياسينتي يخاطب بهااستاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران (وفيها بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

اذا ماهب من افران ريح	هفا بالقلب من صدرى جنوح
يشم بها اريجا من حماهم	فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيق فيرتمي بي	تفكرهم فأزفر او اصيح
ابيت على التململ في فراشي	كأن الجسم عمته جروح
وذلك كله من أجل شوقي	الى من وجهه الاسنى صبيح
ابى الثاني وشيخي من حباني	فأغدو في جداه كما اروح
محمد نجل ابراهيم مجد	عظيم من ابى بكر صريح

تأزر بالسيادة وارتداهـا كما يغدو المربى والنصيح
غذانا بالعلوم وليس يغدو برسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزى عليما له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛ بعد ماكتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على بربع رطل من السكر فحبذا فقد جاءنى سيدى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندى

على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه؛سلام الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد : فماهذا الجفاء مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آلـه بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظاظة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم ذلك الصنع من عدم المداهنة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛ والنبى صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الآدمى وامامه ؛ (لقد كان لك فى رسول الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبـــة

فتــارة ذو سرقـة وتارة ذو درقـــة
وحيث ضيف طرقـه بعث نحوى ورقـــة
وقصده بكـل ذ الذ ان يصون ورقـــه

وكتب اليه ايضا

سلام عليك ياعلى الشقيق والنـ ـسبنى وزهرالروض منمفرقالغصن
فديتك ان العـلم حصن وساوس وانت بتحت الحصن فاصعدالىالحصن
ومفتاح هذا الحصن فيما علمتـه وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا

اذا الله اودع الانامل حكمـــة بوضع السطور فالعطية جلـت
بعد حروف من قصور جزاؤهـا بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة عـلى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره :

ياسبعة من سعد سبعة جـمعهـم ظفروا بامر نعم ما الامـر
فتحو الندى بذكر من لو جال فى صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبى فيالها من لذة لم تحكها الخمـر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر

اذا رمتم نظما مقفى محبرا ... فزوروا مقامات الحريرى على الوسع
فان الذى قد فاز من فهم ما بها ... سينزع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب

أنشئوا يا خير قوم ... ملحا اذ ما حضرتم
أدب المجلس شعر ... طبق معنى ما نشرتم
عجبا كيف حصرتم ... ولشرب الكاس صرتم
ان كاسا دون شعر ... حنظل لو قد سبرتم
ولكم ارجو من الله ... مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها

أتعبت فى تملك التصريح ... نفسى وما اجمعه وروحى
بالله فاحفظه أمن تملكه ... من بعد ربه ولازم مسلكه
واجعل الاهى من الاولاد ... مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا

تكلف الاسفار للاوطار ... فى شدة الحر وفى الامطار
من عادة الاكياس فى الرجال ... بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛ فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه

سلام كما المسك والعنبر ... على من بأدران وصم برى
على من له فى ابتدا سيره ... مهابة عال على المنبر
أبى حسن من بغربته انـ ... ـكسار بقلبى لم يجبر
اراني الزمان بشاشته ... بوصلكم الابرك الاكبر
وألبسنى حلة طرزها ... سلاما سلاما على المخبر

الى آخرها

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ على فى بدايته

الآخذون عنه

١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
٣) الاستاذ العربى الساموكنى
٤) الاستاذ ابو القاسم التنا جار مونتى
٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
٦) صنوه الحسن ابن الحاج
٧) الاستاذ الحسين التاطاروستى
٨) الاستاذ المكى اليزيدى
٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
١٠) سيدى الطيب الركيبى
١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السملالى
١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
١٥) سيدى على الامرخسينى
١٦) سيدى الحسين بن ابى بكر الاغوديدى
١٧) الفقيه سيدى الحسن التياسنتى
١٨) سيدى مبارك التاكضيشتى
١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السملالى
٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
٢٢) اخوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
٢٣) سيدى سعيد الاعضيائى
٢٤) العم ابراهيم بن احمد
٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المومن
٢٦) سيدى ابوبكر الاكيوازى
٢٧) الاستاذ المدنى الماسى
٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهولاء من استحضرهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هولاء اخذوا عنه فى متقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالغية التى تولاها بعد هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم هما اللذان لم يأخذا عنه الا فى المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد السملالى وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهولاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين فى درجات التحصيل وسترى ان شاء الله فى ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي آثاره ان وجدناها كيف نزعه ؛ والله ييسر ولايعسر

ثم اننا لم نسرد هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له والنقابة المختارة ؛ الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدي عبدالله باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقابة ؛ وانما ذكرناهم لانهم الغيون واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذى لاتخلو منه اية مدرسة؛ فلانتعرض لهم بذكر ؛ ولانشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لانمن فتح له باب المجد على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او اتيحت له اجنحة يحلق بها في مناط النجوم ثم قصربنفسه فأحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق يوم العرض الاكبر ؟

اذا مـا أهـان امـرء نفسه   فلااكـرم الله من يكرمه

ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله .

مراثيه

لم اقف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذى انقلها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد ، فهذا رثاء لعلامة زمانه ، ورافع راية الدراية في اوانه ، الفقيه النبيه ، الاغر النزيه الابر ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح بزاوية (تحت الحصن) بالغ ، قد قلته حين اصبنا برزية فقده وذهب ربنابعبده

فمن للعلا وللمحاسن والوفـا   وللحسن والاحسان والسر والصفا
وللرفد والارشاد والقصد والندى   وللحلم والسخاء والصبر للجفـا
وللخوض في بحر العلوم بفلكـها   وتجرى ويجنى من فرائد ماصطفا
وللسقى في النادى الندامى بديهة   كؤوس نظام الشعر تنسيكقرقفا
يمل الندامى ما هداه وانـه   بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
فنفس عصام سودته وعلمـت   له الكر والاقدام لبس الذىقفا (٢)
لتبك عيوننا الفقيـه محمـدا   بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمحياه للورى   شريعة احـمـد وراثـة مصطـفى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة   تراكمت الامواج منها على شفـا
فلولا على صنوه وشقيقـــه   تسلت به الاحلام حين له اقتفى

---

(١) مأخوذ من قول الشاعر

تمل الندامى ماعدانى فانني   بكل الذى يهوى نديمى مولع

(٢) نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والاقدامـــا

ﻣﺎﻟﺖ بنا الاحزان من كل وجهة ... ايارب نوره ضياء بلا خفـــا
وابرزه للانــام شمسا وقدوة ... وسرا وترياقا غليلا لهم شفى (١)
فيشفى صدور المومنين بنوره ... لما فيه من اسرار ربه والشفا
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر ... فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى امام عارف معترف له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصاية وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادبا ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك فى فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع به خلق كثير فى وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعمرهـا بأنواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى فى المشكلات تصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومـن يساجل صوب العارض الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب لغة فى الانام كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ٢٨-١٢-١٣٢٨ هـ

نسبـــــــه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله على -كوالد- واجبات تحتم على ان أؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابيه كل مايعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه هومن شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حبب اليهم انتقاد كل شيء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون - بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك من يسلك هذه الطريقة عقبة كأداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى افتضحت فيه طرق التصوف بكثرة الكذابين الافاكين الذين اطالوا الاكمام وأرسلوا العذبات وأدعوا مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثلى ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقية من التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم ويتانى حتى يدرك معى ما ادركته ؛ قبل ان يخزنى بحمة عذله ؛ او يصل الى والى من ارسل فى ترجمته يراعى بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لايتهمون أنفسهم فى أحكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك بألف دليل وبرهان

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير فانمشى رويدا رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان ووري فى اللحد وسأؤيد ما

أسوقه باستقصائه واستقائه من أصفى موارده ؛ وساجعل نفسى حرا فيما اقول ؛ واجهر بالحقيقة التى اعرفها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمجة ولاتورية •

انني الآن كمؤرخ يجب على ان اصدع بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فأوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ وأجعل في ذلك رائدى ضميرا ابيا حرا لايغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولايقبل كل مايحشره من يهرف بما لايعرف الا بتثبت وتبصر وتان ؛ ووزن بميزان العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقلي ؛ واعترفت فيما بيني وبين نفسى ان يدى تقصر دونه ؛ فاني اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين يدى القارىء فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لاتدرك •

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لايهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيئين اثنين ثم لايزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لاينبغى اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم •

هاانذا اقدم اقدام من يقول مايعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التى هى أبلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول على حين ان الواحى لايتجاوز آنه ؛ وأنا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومتوكل عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتحرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال ماعلم فما عليه من ملام •

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يومنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ وأومن بان الكرامات والكشف المشهورات أمس عند صوفيتنا اخوات ما يثبته العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتاتى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف ومن لايومن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبته العلم الحديث اليوم ؛ فليول عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسلاخنا ولسنا فى مسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبى كى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا متحجرا سامحهم الله •

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلتة من الفلتات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عــن انسان غريب وأن حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاولى بادىء ذى بدء كشىء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فانصاحبها لايلبـــث ان يجيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل مايتصل به قبل ؛ حتى تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ بآثــار صاحبها فينالها حظها من العجب ٠

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل عظيم لايقوم به الاخر؛فاحدهما الاستاذ على بن عبدالله الذى ستقرأ في ترجمته ما تقرأ ؛ فتوقن انه من اعاظم الرجال ؛ قلما تسمح البوادى بمثله وثانيهما صاحب هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ماستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه فيمهمه قفر في جنوبى الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمخضن ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ على بن عبد الله نفست به والدته فــي محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخـر يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واحدة من (رقية) والـــدة الاستاذ ؛ وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قـــد يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهاد ؛ ومن ذايعرف الا اللــه اذ ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بـحور العلم والادب ماتزخر به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عــن عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف مؤلفة من الناس ؛ ويندفق به الى الغ من المريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ مابين وادى نون الى درعة الى الحمراء الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛فيجتمع عليها الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفيأها في الهواجر اللوافح كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتــاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذى تخرج به قبل ذلـــك الاستاذ محمد بن عبد لله في دارهم يكرر له سوره وقلما يذره كما يذكر العم ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس في المصر

الصغير الذى هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضاحك عليهم ونقول لهم أعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدى علي بن احمد يوما ادعوا لي انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ ولم كنا ندرك مدلولا لما اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كر الغداة ومر العشى ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا وأحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار •

في مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى يمت الى آلنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرءان رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحية بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين -كما يطلقه عوامنا على العلم- في المدرسة ؛ فلترسل هذه كذلك ابنها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التى فيها ذلك الاستاذ الذى يعلمون منه انه سيقوم بابنهم أحسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس أهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون •

في مدرسة المولود

كانت السنة التى التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هى ١٢٨٢هـ وفي السنة التى بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه أنه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدى الحاج يعزى الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه؛ فغلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفني؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدى؟ فقال له تعرفني بان الظل لا يتراءى لجسدى ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

في مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذا بأعوان الرئيس الايليغي سيدى الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاءه الى المشارطة في مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذاشوكة وهيبة لايمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيبي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فأنام أنا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدثني سيدى عمر الاكضيبي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك في المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك في ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبة (اى الدروس) لسيدى علي ابن احمد ؛ يعني صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك في تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضي عنه الحلقة الاولى في التعلم .

في مدرسة تانكرت

لامرما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيبي بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راى أهله ان يلتحق بابني عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التاياسينتي في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة في بيت مع شرفاء من أولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهير ؛ وسيذكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فثوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما ياخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل في نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاادرى من هو وانما ذكر ذلك في بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

في يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؟ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطي وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فأما صاحب الترجمة فذكر لهم مايدل على مقام عال في معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التي تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى؛ وأما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ وأما سعيد بن امغار محمد المجاطى فقال انني اتطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق فى القدر ان نفذ السهم فاستجيبت الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم مافى ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان •

ملاقاته بالشيخ سيدي سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاى العربى الدرقاوى الشهير المتوفى عام ١٢٣٩ه ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائرة كالحراق والبوزيدى والمدنى والدباغ والبدوى ؛ وممن لاشهرة لهم مع انهم من كبار أصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاوية الشهيرة بأزبزض بمراكش ؛ وقد توفى فى نحو عام ١٢٧٠ ه فبهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفى مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى الامى الذى تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته؛ كسيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ وسيدى الحسن التيملى دفين قرية ارازان براس الوادى وسيدى خالد من افلاوكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى الحاج صالح الاكمارى وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفى ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفى والعلامة ابى فارس الادوزى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزمامى وسيدى محمد بن ابراهيم الافرانى مدرس مدرسة تانكرت التى فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سنذكرهم انشاء الله فى تراجمهم او نستطردهم فى تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وينبه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التى يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالمها الافرانى من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته •

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لى بالشيخ سيدى سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نعرج اليه ؛ وهو جالس فى مكان منتبذ عن الطريق فرأيناه يحد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم فى العشى ساقنا اليه سائق السعد فأخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لى بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هى التى فيها مافيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفى بعض رسائل المترجم مانصه :

(وقد كنت حين لقننى شيخى مستغرقا فيه ـ اى الذكر ـ من ذلك الوقت قبل قيامى من بين يديه وبعده ؛ وليس لى شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبى حتى اننى لاأقدر ان اقطعه حتى فى حال الاكل الى ان صار خادما من غير ارادتى

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه)   انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قرى تانكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تيارة فيغان على عقله فلازمه ذلك اياما وقد فقدشعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من معه شيئا من الحليب ؛ لايلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة على بدنه حتى انهم يغطسونه في نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم بعد لاى افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله ـ كما قال ـ امام عينيه هباء في هباء وقد ألم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما الم به ايضا في رحلته الحجازية اذ قال فيها

قد كنت فـي غياهـب الغباوة   على شفا يورثني الشقاوة
وكنت صديان الى دليـل   يهدى الى معرفة الجليل
يجلو لى القلب لكى انالا   فى نيل معرفتـه الكمالا
فيستوى الجلال والجمال   لـدى والنقصان والكمال
وتصبح الاقوال والافعـال   بالله والاوصاف والاحـوال
بينا فؤادى نحوه صديان   والقلب منى والـه حيران
اذ قيض الله لنا سعيدا   هذا وكان المبدئ المعيدا
فكان آخـذا بنا للـه   يرقى بنا لحضرة الالـه
فكان لى القبلة فـى الامور   وردنى عن سائر النفور
بنظرة اولى لديه شهدا   بـذر لكل ما لديه قصداً
اخبرنى بعيد الاستحواذ   عنها فقال ليس غير هـذى
فهكذا نسمع نظرة الولـى   ترقى الى حضرة ربنا العلـى
تركت ماسوى الاله جهـرا   فلهجت نفسى بربى ذكـرا
وقبحت عندى ملاح الدنيـا   فيما يرى برؤية والرؤيـا
وليس لى فى غير ذات الله   مأوى ولا عن حسنه ملاهـى
فصلت عنى سائـر العلائق   لكونها عن مقصدى عوائقـى

الى ان قال :

ولم يزل بنا على الارشاد   الـى وصول خالـق العباد
فزال ما بنا مـن الآلام   ومن غيون النفس والاسقام
ورجعت ارواحـنـا للاصل   من التأنس برب الكـل
ولذة الحضرة ليست تـحـكى   بشبه ولا بفهم منكـا

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

(لما من الله علينا بملاقاة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين وتاج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السملالى طينا ؛ والمعدرى وطنا بازاء ماسة قدس الله روحه فى اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية فنيت قلوبنا فلم تر مايملأ اعيننا فى الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛وسرى سر الله فى ذاتى وروحى قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ دهشت دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان فى قربنا ؛ فوصلته فعرفنى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على مابى حتى انى لااطيق ان اسمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشىء يلهينى عن ذكر حبيبى واجتمع عندى فى ثلاثة ايام والحمد لله ما لايجتمع بعبادة اعوام عديدة ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا بملاقاته فى اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقى والكيمياء من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن يضرب فى الحديد البارد ؛ يعيى ولايقضى حاجته ؛ ولايصل اليهم الا من اراد الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

فى مصاحبة شيخه المعدري

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط بينهم جميعا فى ذلك ولايفرق بين الصادق والكاذب؛ ولكن من خالطهم واستطاع ان يميز افعال الصادقين من الكاذبين منهم؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة الافيما غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ مايتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من رجالات هذه الامة فلارجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد الغازى المكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا فى بعض ابناء اليوم الذين يخبطون خبط عشواء فى الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا مايردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغلال بلااله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا لانتجاوز ان نقول فيما بيننا : من جهل شيئا عاداه ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب مانراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لايغتسل من الجنابة؛ وانه .... وانه .... مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولايوجد الا فى ايديهم ثم لايكاد منصف من ذوى المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قداعرض

عن كل شيء ونفض يده من فخفخة منصبه ؛ ثم لايطيب له العيش الا بانقطاع اليهم ؟

ماهذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثم يتهافت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لاتبالى ان كانت فى بطن الخابية من المغرقين ؟

ماهذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقين ثم لايلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه ماذاق قط حلاوة يثلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ماهذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لايكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألأ نورا ويتشعشع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لاأكذبك ايها القارىء ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدى غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين الحنيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لايجد قلبى عندهم مايجده عند الاخرين فهذا كل ماأدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدى شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه ـ كماقال فى رسالته المتقدمة ـ من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلقت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فأتى مانسخ حبه الجديد ماكان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبها حب الالى كن قبلها   وحلت محلا لم يكن حل من قبل

وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئك الذين لايلبسون الا المرقعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لايكون شأنهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو   ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئك المجانين البله ـ كما يحسبهم الناس اذ ذاك ـ ولابد ان خبر ذلك الجذب الذى حصل له يصلهم فلا يكذبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى مثل هذه الاحوال ؛ لابد ان يقدر ذلك الموقف قدره : (ان المحب بسوء ظن مولع)

تأنى والده حتى عرف اين مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب بغلته ولحق بالشيخ المعدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد لاباس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لااريده الا للعلم وان كانت درجة افضل من العلم فليتطلبها ؛ فقضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد مترادفين على البغلة .

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه ولكنه لايعدو امامه اطراق الرأس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك مايسمى فى اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من أول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقلال من الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدأ فى ذكر اسم الله وهو لايزال بين يدى شيخه فى المجلس الاول ـ كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له ـ لهذا لم يجد منه والده ماكان يألفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مترادفان فكأنه اضجره فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد : بالله عليك ياولدى ماذارايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثة العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدها فى بلادنا هذه ؛ وماكنا نعهد الاالطريقة الناصرية فهى التى نألفها ويالفها آباؤنا واجدادنا؛ اوليس بعجيب ان يخرج الانسان عن المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهر لك انت ياوالدى فى البيع والشراء فى القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتسافر به الى قبيلة آيت صواب حتى تبيعه ؟ وهل كان المعتاد فى اهالينا الاتجار بالقطران؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ماليس معتادا عند اهله مزاولته ؟ فقال له الوالد : اننى ياولدى اخترت هذه التجارة لقلة راس مالها ولكثرة ربحها ؛ فاننى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزبيبا مما استبدله به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا ياولدى ماحملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل ومايجده القلب من ورائها كثير ولاينبئك مثل خبير .

هكذا استدارت المحاورة ؛ ورأى الوالد ان لايحرج ولده ؛ فهو الى ايناسه احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم الناس .

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتمام معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى ؛ اما فى اواخر ١٢٨٩هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزانة الحضيكية بعضها ؛ فأقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طرره بفوائد نفيسة وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة الادوزية لاستاذه ابن العربى ؛ واضاءة الادموس للهلالى وكراسة فيها ابيات متفرقة فى النحومما يحفظه عادةمن يقرأون الالفيةوغيرذلك مماتشتت بين الاوراق لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فضاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ماكان حصله فى السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتفانا للفنون واكبابا على التضلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ الادوزى فأتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذذاك ـ كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود ـ ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد ـ كماسترى ذلك ـ وبلغ ايضا فى الفقه شأوابعيدا يدل عليه مؤلفه الشملحى الذى ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذه هذه المكانة السامية التى ترقى اليهابملازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة أقبل اليهم الاستاذ فقال ان سيدى على اكرام ـ وبذلك يدعى هناك اذ ذاك ـ يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام ـ نجيا بينهم فقالوا

والله لانقبلن ان يقوم هذا المرابط فى مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس وأراد ان يتصدر ؛ ليرين منا ما لاينساه ابد الابدين ؛ قال فاسترقت سمع ذلك فتحينت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى اننى مع اناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه فى غير المجلس العام دالية اليوسى وذلك غالب ظنى الان .

قلت وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين نصها (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة .

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمآل ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراكش وجعلنى خليفة على الطلبة لنتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرأ لم نمكث ؛ فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرأ ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شيء من درهم ولادقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان أمكن ؛ فان للتاخير آفات؛ واقرأ منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نحبه)

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدفة من بين رسوم انسان أجنبى عن أسرتنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان يعيد له الانصبة ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا فى البيت لسيدى عمر الاكضيبى ؛ كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند معاودتهما الانصبة ؛ قال ويجلسان معا فى براح ؛ وربما يكون الجو باردا فينالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار ممن تلمذوا لصاحب الترجمة ويقول واحياءاه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لايستفيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حيناهتك ستر صمته ؛ وفارق انزواءه المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة أكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفى يوم جاء انسان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما منعنى الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينبس ذلك النهار ببنت شفة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواءه ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة .

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التى تعترى من يترقى في المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالا دائما لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها •

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت في حين ونحن بالمدرسة الادوزية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما ألقاه بغتة ؛ فأجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليه وأنا أقول في نفسي انه بلاشك راى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق قدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتي عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجي منا يأخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجيبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته مني ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو في أدوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيبي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احوائه في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى •

* * *

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربى الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكنه والده دارهم يشترى بها مايريده من الكتب ؛ ولكنه لم يشترى الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازه باجازة كانت محفوظة عندى بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفار على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشباب سادرون ؛ لم ندرك بعد قيمة المخطوطات؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوالقة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلابد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عما وراء اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف أمامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها احباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاساتذة: سيدى الحاج ياسين وسيدى على المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالغى وسيدى الحاج محمد اليزيدى تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاى واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل عقدتها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من أباه فعالج القضية ؛ وسهل الله أمرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم أمرها وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لايابهون بالتاريخ ؛ ولكن المعهود انهم لايفرطون فيه فى رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجبا من فقيه جديد من الغ لايزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرنى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فأراهم فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ا نتجول خيله فيما يجول فيه علماء عصره فى هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجيراهم ويتسابقون اليه ثم لم نعرف له انه جال فى مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى اتى فطم على القرى ؛ كما سترى ذلك ان شاء الله فيما ياتى

فى التجارة

اطلت سنة ١٢٩٥هـ فأتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا مدخر ولارخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس فى هذه البلاد الامن مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كرأس الاقرع الاما كان من ممر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفأ اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب الترجمة فى المدرسة النانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذااموال يقارض بهاالناس فاتصل به صاحبه هذا ؛ فقارضه ستين ريالا او مائة ـ الشك مـن العم المخبر ـ فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالى حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة فى غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهالينا افضل مايتحلى به الرجل ؛ وينبه به شأنه ؛ ولايستحيى رجل اياكان فى النزول الى مزاولته ؛ فبذلك اتيح لفقيه الغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شىء عنه ثم يكلل فيه عمله بالنجاح

فى مدرسة فوكرض مشارطا ومعلما

كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجع من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشان لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مادرس فى مسجد قريته فعلا له بذلك ماتغبط به اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آلنا قد رجع ؛ وهاهو ذاقد جرب فى تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم فى الاسواق ويقايض فى البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لاينقص به فى عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيهها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايضوا وليزاحموا فى الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاولى به فى نظر الاسرة أن يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذى تصدرفى المدرسة البومروانية ؛ فأحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليلتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيهها شأن كشأن الاسرة الصالحية من فقيهها وليس هذا الذى اقوله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة ـ تمليها على فى نحو سنة ١٣٣٥ ه وانا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيهها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبىء له هذا الخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذى جاءه بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التى كنت لااريد ان يتخطاها ؛ تعنى بذلك كونه شيخا مربيا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماساقه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الغ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادىء ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايغشانى ؛ وسيدى مولود الصوابى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان فى اواخر سنة ١٢٩٥ه لان الاستاذ الطاهر بن على اخبرنى انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهوهناك مورخا بسنة ١٢٩٥ ه وانعم صمم على انه ما التحق بها الا فى مفتتح سنة ١٢٩٦ هوالامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابى ـ وكان يحضره اذ ذاك ـ ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

اتم سنة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعة شهود ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ماياتى

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ماحمله على ان استناب صاحب الترجمة في البومروانية ليتمم له السنة ؛ فأدار الدروس وتابعها ؛ كما كانت بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة فكان من بين من ياخذعنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الاستاذ على بن عبدالله الذى رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمت همته الى التجارة . والاستاذ احمد الزمامى وسيدى سعيد بن على الاعضيائى وسيدى الحسين التاطاروستى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركيبى وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالى ؛ فكان يدرس مع هؤلاء الشادين زيادة على متون المبتدئين الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل والمقامات الحريرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك في كل مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق التلاميذ بالمدرسة الالغية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديدة وكانت السنة ١٢٩٧ ه .

العزم على المشارطة في المدرسة الوفقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبدالله صاحبه هذا على ماقام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوفقاويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم (وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمى

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفض يده من الدرقاوية ؛ وانه نسى شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى من الاخذ بادوز ثم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذى تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدرية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى فحين ولوا أرسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول الحراق

والفتى مـن سلبته جملة | لا الذى تسلبه شيئا فشىء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حيـن تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقطع بين يدى شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا •

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه | وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستـقبـل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالى يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال لـه وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ وبيده عكازة ياامام اليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لماطلع بدر السعادة فى فلـك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل	وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بى الاشواق مهلا فهذه	منازل من تهوى رويدك فانـزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد	لغزلى نساجـا فكسرت مغـزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر

قد تيممت بالصعيد زمـانا	وأنا الآن قد وجدت الماء
من سرى مطبق الجفون واضحى	فاتحا لايـردهـن الـعـمـاء

وقفة قصيرة بالقارىء

أحب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوينا صفحات غيرقليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها ـقليلاـ فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ أفليس أنه محظوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيحا واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى الـمـدارس كان نزعه فيها لايقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لايرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولايتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده الا فى يد من يراه كنفسه فى الالقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهو صاحب الترجمة ؛ ولااستمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملا مابين جوانحه ؛ غير تلـك

الارواح التى تجول فى كثير من فقهاء عصره الذين لايكاد احدهم يشيم ومضة من حظ ؛ويجد مضغة هنيئة مريئة من مدرسة واقبالة صغيرة من بضعة تلاميذ حتى يقول اننى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريف من العلم الشريف؟

حقيقة ان مايفنى فيه الفقهاء اعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيف والانتصاب فى المدارس وهى من المساجد التى لايعمرها الامن آمن بالله واليوم الاخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى التسابق اليه يحمد المتغابطون ؛ ولكن أمثال صاحب الترجمة الذى خلق لغير هذه المجالات وراينا همته تحفزه الى مقامات اخرى غير هذه لابدان يكون هناك شيء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجدمثله بين الفقهاء ولالمحه فى مجالس المدارس

فليت شعرى ما الذىوجده هناك ؛ ولميجده فى المدرسة ولافى علومها المختلفة ؟ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين ألقوا مناصبهم وراءهم؛ فأقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا فى هذه الحكاية الاتية:

دخل سيدى سعيد بن همو الشيخ المعدرى الى داره يوما فقال لمريدته الفقيرة عائشة الهشتوكية ؛ اخرجى واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين دخلا فى طريقتنا حديثا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ماسلمت ؛ - وهى حيزبون درد بيس - ففاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لايحسبون ان لله علما الا مافى تلك النقطة الضئيلة التى تظلون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لميلم بنقطتكم هذه ؛ واردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون عندنا لاتخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التى يخوضونها ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ماأتتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لايدركون منهم ما أدركوه من أنفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ وانشراح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن وكيف معرفة الله ايتها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لاانا العامية الامية التى قل حياؤها فثرت بهذيانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن لابد ان تتكلمى ؛ فقالت لاادرى ماأقول ؟ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي ياماه : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا؛ فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي ياامي هنا مثلي تذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه ٠

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف ٠

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف)٠

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معي النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مباديئه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ويظلون ويبيتون في تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كماهم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافي ايديهم وعن كل ماهم فيه؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتغض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول فى مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من كان معروفا فى قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة؛ ان يطلق كل ذلك من المداومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك فى الاوساط التى كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نرقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع من يربى الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لابالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى أمام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لمماتجب المحافظة عليه مثل ماتجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وبأى نص يستدل من يأمر بهتك المروءة التى هى كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيهات ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربى انسان انسانا فى الدين الاسلامى بهتك المروءة والتوقح للناس فى الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به فى حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يأمره شيخه أن يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لاتستدير دورة الزمان حتى يتراءى فى عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود في يوم صحو فتشرق فى عليائها على الكون ؛ حتى تعشى انوارها اللماعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المنصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر

لوكنت تعرف ما اقول عذرتني ... اوكنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجاذبكم ادلةو حججا انتم ادرى الناس

كيف تلقى وانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لايسلم من مرضه المزمن الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقئت عينه فحينئذ يبرأ ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ أكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجوزون له ان يداويه بما ذكر وبماتبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ امتقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول لهفقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؛ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هوموقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبرالذى هو اخو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منهابالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناهاالعلما بأن الغاية تبرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال ببتر اليد ولابفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على انالمروءة التى يأمر الدين بالمحافظة عليها ليسمنا من يقول بهتكها وانما هى بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛كما شرعتقليب اللباس يوم تصلى صلاةالاستسقاء على انه لميتخذ اشياخناذلك ضربة لازب لكل مريدمريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لايداويه الاذلك ؛ وطرق التربية شتى لاتنحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهمفى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بينهيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ماجربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كلشيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لناانتكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كتربية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنهمانريده وراءه عرفتم منجهنا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا ٠

والسؤال الثانى   اننا رايناكم تكثرونعلينا فى اتخاذنا هيأة مخصوصة للمريدين مادامو يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولابشارة يتميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائن ؛ لايفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ؛ اوليسان لكم أيضا أيها الفقهاء هيأة أخرى خاصة بين المسلمين؟ فمايكاد احدكم يتأهل للتصدر وينساقا لى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحيةفيخرج الينا بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فماكان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فىذلك   ابويوسف ؛ ونعم القدوة ابويوسف ؛ ولكن

لماذالاتقبلون مناان‌قلنا لكم ان قدرتنا الجنيد والغزالى وامثالهما ؛ فتقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجنيد والغزالى ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقى نحن وأنتم في‌الوسط لتدركوا ماعندنا ؛ مثل ماادركنا ماعندكم ؛ فنتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك أقرب واسهل لاتمام مانريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتمييز لكل‌طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى‌الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندى ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف ٠

هكذا يتحاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى‌شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لايخفى على ذى عينين

* * *

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ ﻫ ان ابنها الذى‌كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحية الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان‌تدرك مثل ماادركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد شامخ ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقى فيه كل ماامتدت‌به اليه‌الايدى ولكنه سرعان مايسقط وراءه ؛ فيتتبعه الصبيان زرافات ؛ والهمج الرعاع الذين‌من دأبهم ان‌يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرةحتى صدقت بها ؛ من‌بعد ان كان‌ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فثار ثائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كأنها فى غيابات الجب؛ وقد علمت ان مايقال محقق ؛ فلاسبيل الى تكذيبه :

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر　　فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا　　شرقت بالدمع حتى‌كاد يشرق‌بى

واهلنا السعيديون ابعد الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن‌ذلك هِمما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا :

واستف ترب الارض كى لايرى له　　على من الطول امرء متطول

ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذى يعلمون منه مايعلمون‌يسف الى

ذلك او تتدلى به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اذهانهم ان ابنهم بلاشك ممن اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او المت به مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور فى انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولـه مسكة من عقل اولمحة من تمييز

أذن الشيخ سيدى سعيد المعدرى لتلميذه هذا ان يجول فـى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفي وكان ممن له المام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الغ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسملالة وهى اذ ذاك كما ابتدات ثم فى قبيلة ايت وقفا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للصمت لايسمع منه الاعبارات التكفف لاغير وقد قصده فى أيت وقفا سيدى محمد المدونة الايغشانى تلميذه الذى كان اخذعنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومروانيـة فطلب منه الدعاء والح عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحمق اوطلب دنيا اوجاه وان ذلك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فأجابه هذا حين الح عليه فـى الدعاء لااربحك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبى يقول يـارب لا لا

نفد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لايحير الجواب لابيه ولا لامه ؛ ولايتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتى عليه .

حكت لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كـبـدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه؛ قالت فلا ادع كل ماتصله يدى ؛وأمكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ماعندنا ؛ ثم لايعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينفتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفثأ جوعتى الملتهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فاننى ياعباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ايوائه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

---

(١) الطبى بضم فسكون الحلمة الزائدة فى آخر الضرع وذلك مثل مشهور فى اشتداد الشيء

(٢) كرج الخبز اذا يبس وفسد

بذبيحة الى ضريح ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ماصابه ربما جاءه من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد

في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فأقبلت كل الامهات الى ابنائها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ وبهجة نفس الا تلك الام المرزوءة في عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ؛ قالت لي فما دخلت حتى ناداني -وهو اول كلام سمعته منه- ياماه ماهذا الذي في رجلي ؟ فقلت انه كبل ياولدي ؛ فقال اوهبلتم فلماذا وضعتم علي الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدي انك ياولدي جننت فلم نجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجبا اوكنت كذلك ؟ ولكنني الان استرددت شعوري قالت فثاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى تحققت ماقال فاقبلت مسرعة الى مطبخ الدار وفيه نساؤنا مشتغلات بالغداء فاعلنت بشراي فارتجت الدار كلها فرحا فأقبلنا جميعا مستديرين بولدي علي وقد حضر فقين القرية فأماط الكبل فأزال كذلك ولدي ماعليه من اللباس الخلق فاتيته بكسوته البيضاء من صندوقي فلبسها وارتدى بردائه ووضع العمامة على راسه فأرسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدي محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فأقيمت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فأقبل المهنئون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده سيدي احمد ؛ لم يزل ملازما للفراش من مرض كان الم به ثم ازداد بماوقع لولدنا؛ ففي صباح يوم لعله اليوم الثاني ذهب ليزور الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امرأة من القرية فصارت تناديني وصوتها متهدج انني الان رايت ولدك قد استدار بثنية (تالات نيت عيس) ويذكر الهيللة جهرا ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتي ولم اتحمل الصبر فأهويت ببغلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدي من ذلك الرجل المعدري الذي افسده علي قالت فراح على الليل في (تيغمي) فبت هناك عند اسرة من معاريفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادي قد خرجت روحه اثر خروجي من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكأهن مصيبة فهذا ولدي العالم الذي هو كل منيتي وآمالي في حياتي قد عانه العائنون وتم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتنكب اهله فصار يجول في البلدان والها حيران ابله كأنه هداوي من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي واب مهجتي قد مات عني فوقفت في حيرتي لا ادري االتقدم الى الامام لافتش عن ولدي ؛ ام انكص على عقبي لاشهد ماتم زوجي ؟

هذا ماحكته لي رحمة الله عليها فاها لاذني ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذذاك قد بدأت افتش عن اخبار والدي هذه ؛ فيسر الله لي من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ماوقع اذ ذاك في رحلته الحجازية عندذكره لشيخه المعدري ؛ فقال بعد ان ذكر ماحصل عليه بملاقاته معه :

تركت ماسوى الاله هجرا — فلهجت نفسي بربي ذكرا
وقبحت عندي ملاح الدنيا — مما يرى برؤية والرؤيا
وليس لي في غير ذات الله — مأوى ولا عن حسنه ملاهي
فصلت عني سائر العلائق — لكونها عن مقصدي عوائقي
بدلت احوالي بخرق العادة — لطلب الاخلاص في العبادة
وكان في تخريقي العوائد — افضل ما يجني من الفوائد
ولست تعرف الذي ثم سوى — بفعله ان كنت تارك السوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا — مااقرب الاخلاص ممن نبذا
فاختلف الناس فذا يقول — جن فاين القيد والحبول ؟
والبعض قال انه مسحور — اين رقى المسحور والبخور؟
وعند جل الناس كنت احمقا — فلم يكن فعلي لديهم منتقى
فكل من جهل شيئا عاداه — وكل من عرف شيئا ناداه
من بين فرث ودم يسقينا — لبن معرفته يقينا
ذاك بفضل الله لابغيره — يوتيه من اراده لخيره

قضى صاحب الترجمة ماندبه اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدى شيخه وقد انخرط في سلك المتجردين بين يديه ؛ لايتنفس الا باذنه ؛ ولايلتفت يمنة ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلي لاستاذه مولاى عبد السلام : انني اغتسلت من علمي وعملي الا ماياتيني على يديك ؛ وقال الجيلاني البغدادى في عينيته المشهورة ؛ يوصي المريد بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل — يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشي في رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه — فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم لم لايفلح ابدا ؛ ومن اجال نظره يعلم ان هذا الشرط ينخذ اساسا في كثير من الجمعيات والتنظيمات كالجندية وشبهها ؛ فلايختص به الصوفية المربون لاصحابهم فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلك لتلاميذه حين رجع شيخا مربيا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امى ثم وفقنا الله فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما في هاجرة تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعا للزاوية في بسيط المعدر ؛وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايالفون مزاولة المهن دما

صاحب الترجمة والتاموديزتي وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذى تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابينا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان في صدري قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حمارة قيظ ؛ فراى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومماو قع له في هذا الصدد انه كان سائحا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) برأس الوادي ؛ فاقترح عليه أهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب اليأس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك في هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقضي هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولابد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله مايكون ثمن جميعه ست ريالات حسنية ؛ وهي اذذاك خصوصا في هذه البلاد المقلة ــ مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هناك ؛ فوقف ينادى

الامن يمد لي لله ست ريالات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشا فيردها فيقول انما اريد الست ريالات دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب منه في السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مادر زمانه ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت كرامة اكبر من اختها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء مناهم وكانت تلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسره من ربه كرؤيا حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل مافعل كعب بن مالك يوم اكرمه الله بالتوبة مايستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

وأخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين في بسيط المعدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة؛ فقال المترجم مقترحي انا ان لاافقد طوال عمري من يعينني على ذكر الله وطاعته الى ان أموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كأنه راع يرعى سائمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم ــ وسمعت انه سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ــ ان رؤياكم يابني عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعي والمراعي التي اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعاينه للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالري الذى لايغادر عطشا؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التانكرتى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة لاولى بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نسواحى الغ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الغ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة؛ فى كل طائفة عشرات او ماءات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له الاتـذكـر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجـزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة •

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراياها ويهـذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبينما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاءالتوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المومنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآيةان المفسرين فسروالسائحين بالصائمين استنادالحديث وذلك اليق بسياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المومنين ينبغى ان لايفرط فيـه المومنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرءاة يتراءى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولامقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحى فـى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسافى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرخ الشباب •

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس عـلى ندبوهوش سنذكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ايرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقده فدله على صاحب الترجمة فى حكاية سنتعرض لها ان ذكرنا هذاالفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقى صاحب الترجمة يتعهده دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الـى ان

توفي هذا عام ١٣٠٨هـ وقد اخبر احد الزكريين انه ماراى من شغلته نفسه واعرض عن كل العوالم جمعاء ؛ وثارت فيه محبة الله فانسته اهلهواولادهونفسه حتى لايبالي بمطعم ولابمشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقني وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتني نوبة السقي بين الجماعة ؛ فبثقت منبعه فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انحدر على من ثنية تصاقب قريتنا فما أن سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعري ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيتالماء الذي يندفق من الصهريج فوقفت في مكاني حتى مربى الرجل وهو في مرقعته والهيفورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لايلتفت وعلى محياه انوار تتلألأ كأنها انوار الشمس في الجو الصاحي ؛ فتبعته لعلى اسأله من اينهو ؟ وهليحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا اناشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل سرحة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسائله ؛ وهو لايجيبني ولو بكلمة واحدة ؛ ثم اجترات فمددت يدى فزحزحت غطاء وجهه فنهرني بهذه الجملة « ماكان ينبغي لك ا نتسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه انوقفت بين يدىربك» هذا كل ماقال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فاتيت بطعامفاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت في قلبي نكتة منه ثم لم تمضيالاسنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه فكنت اول من التحق به في القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت معي صاحب الترجمة في هذا الحال ورأيت كيف كان حاله في طور التجريد وكيف كان اذا ساح وحده فقد رايناه كأنه احدرجال كتاب (روض الرياحين) أوأحد المذكورين في (الرسالة القشيرية)

في جبالة

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بثال زاوية جبالة الدرقاويين ابناء شيخ شيخه ؛ وقدكان الشيخ مولاى الطيب بن العربي زار سوس عام ١٢٧٣ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدآل جبالة فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فأرسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اخبرني الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسي انهم مروا به في اداوتانان ذهابا وايابا كما حدثني سيدى بلعيدالتيزكيني انهؤلاء مروا اذذاك بدكالة فباتوا في مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا في الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جبالة وهم يسيرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرني الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين يأخذ بعض المختصر عمن نزل بزاويتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظي ان اخذت ايضا دروسا عن سيدي الحاج علي السوسي ؛ ثم قال رحم الله سيدي الحاج علي فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا .

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدراى صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتنالهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لايجيبهم - وقد دخل ايضا في الشروط التي من بينها الصمت كما بيناها فيما تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ماكان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاي العربي اومولاي الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب مافعله وسمعت ايضا ان مولاي العربي او مولاي الطيب على اختلاف الروايات التي نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحي الدائم ؛ وسنجري في قلبك كذلك ماء حيادائما؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذي صح عندي من جهة السند فهو مااخبر به سيدي محمد بن سعيد المعدري ابن شيخ صاحب الترجمة قال : بينما والدي ووالدتي في تلك الايام التي كان فيها سيدي الحاج علي في جبالة جالسان في مشرقة دارنا يوما وبين يدي والدتي شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا بأبي تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امي لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذاك ؟ وما الذي اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدي علي اكرام -وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء- ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدي علي الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدي علي الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا ياعليان» او كما يقول له

هذا ماكنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو فى جبالة واما فقراء جبالة انفسهم فيوردون حكاية اخرى يقولون ان اهل سوس هؤلاء اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جبالة ؛ بل يقول بعضهم انسيدى الحاج على حمله فوق راسه من سوس الى جبالة ؛ حتى حص شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلع وهذه الحكاية لم اسمعها الا منجهة اصحاب هؤلاء الشرفاء ويمكن ان يشترى هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او مـن مـكان آخر قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا بهمن سوس فبعيد واماكـون صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحص شعره بذلك فعاد اصلع ؛ فخرافة من النوعالذى يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمـن يمعن فى الخدمة سرا ظاهرا وربما عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحص شعر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلع ؛ الااذا حدث فيه قليل مما يعتاد فـى بعض الناس زمن شيخوخته (نعم؛ انه ثبت عندى انهم اتوا حقيقة بذلك السطلالكبير من سوس الى جبالة)

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخه

حكينا لك ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا اذا اردنا التثبت فلنصخ لما يقوله هو لشيخه فى هذه الرسالة فانه يحكى لنا بنفسه ماشاهده كما قال بعض الالغيين

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه	فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
لدى زمن تسقى الرحيق بكاسها	فعدت صريعالكاس والاعينالنجل

الرسالة

من على بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدى الحـاج سعيد وسيدى ابراهيم وسيدى محمد بن الحسن وسيدى مبارك وسيدىابـن محمد الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربى ومولاى الطيب واولادهم ؛ الـى شيخنا وقدوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقرة عيننا وانسنا وعـزنا وحياتنا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد شروق شمسه ؛ وتبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء المعالى والمعانى فى يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع ويسجد فى رمسه وكيف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل فى معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذى يتبعه الوبال وكل مـن يشتكى عليه بعلته يشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاخفـاق فهذا السيد الجليل هو الذى أنقذنا من الظلام الذى اسبل علينا البراقع وداوى

بترياقه فينا السم الناقع ؛ وقلنا اتسع الخرق على الراقع ومذانا فى شبكتهوواقع وأنا فى ذلكالوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لايغادر صغيرة ولاكبيرة الاتى عليها باللامع فجازاه الله الجزاء الذى هو لانواعالجزاء جامع وانالنا على يده ماخلقناله من الاخلاص الساطع ؛ منأشارت اليه الايدى بالبنان بانه حامل راية العرفان على رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاى سعيد بن محمد احمد الله عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من المسك والريحان تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية مادام وجود واجب الوجود ؛ الذى هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا الى دار أولاد الشيخ بسلامة وعافية فى الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يومالثلاثاء الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من لقينامنهم بعدالدخول ؛ الذى تقول لناهو وارثسرمولاى الطيب وهو ذو الحاجة منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكى التقى السخى النقى الوفى الحفى الذكى الوذعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاى عبد الرحمان ابن مولاى الطيب؛ فرحب بنا اىترحيب وسالناعن احوالكم واستقصى الاخبار استقصاء الطبيب فأخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما فىرؤوسنا حتى شفى الغليل وبرىء العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد وحتى فرحـــت بنا الاشجار والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد الاعيان ؛ وزرنا مولاى الطيب فى بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمى وعظمى يتمزقان ؛ حتى اشرفت علىالغيبة وكيف لاوحال مماته كحال حياته (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم الزيارة التى اتينا بها ؛ وهى ثلاثون ربعا ؛ عشرون بوجهها وعشرة فى ريالتين والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم اللهخيرا عناووقاهم ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع فى بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولابمن اتى بها ؛ بلكان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا من الفقراء جاءوا على وجه الله ماتوا بشىء بلربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه فى عين التعظيم ؛ والحاصل اناحوالهم

---

١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

احوال الكمال فمن اتى بشيء فلنفسه واماهم فمستغنون فى القلوب عن ذلـك والحمد لله بقى الخير فى مكانه كما قلت لنا فى الوقت الذى مات (١) مولاى الطيب ؛ رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاى عبد الرحمان مقامه ؛ وقـد صح ذلك المقال يقظة ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخـواتنا فـان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى البلد ونسيح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل فى الزمان الذى اراد الله ولو فى مارس ؛ وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابداورايتمونا فى السفر كما رايتمونا فى الحضر ؛ جزاك الله بكل امـر ظاهر أو باطن حسى او معنوى ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلبنا فيـــه الارادة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين فى السفر كالحضر والحمد لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرتنا به وارسلتنا اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام •

هذه هى الرسالة والقارىء لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من نواح عديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هـــؤلاء الفقراء الى مولاى عبد الرحمان الذى نعلم عنهفى آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامى الذى استولى بهمته النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلككيف مكانته ؛ وكما يفهم ايضا منها نظريات أخرى لاتخفى عمن يالف ان يستنتـــج وان يستكنه البواطن من الظواهر ؛ مما لافراغ معنا الآ نحتى نتعرض له فانه يكفينا الآن ان نفهم هذه الغمرة الروحية التى ماجت على المترجم فانسته كلشىء كان فيه قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء الـعلـماء السوسيين الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنـا فمن اين يدرى الناس انى توجهنا

في فـاس

فى الالسنة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائـه حين حلوا بفاس مرجعهم من جبالة ؛ ويورد بعض ذلك علىصورة الكرامات ولكن لم نكن فى ذلك الآن حتى على ظن؛ الا ماكان من خلوة اختلوها هناك فى محـل نعوت لى خلته مدرسة الوادى ـ انامكن ان يجد فيها غريب ماوى ـ فخرج احد الفقراء فاوصاه صاحب الترجمة ان يتطلب فى السوق بالجهر وهو واقف عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك فى فاس ؛ والا ما اخبرنى بـه

١) توفى مولاى الطيب ١٢٨٨ هـ
٢) ايام ثورة الريف

بعضهم واظنه صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم في مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب ـ كما تسمى في اصطلاح الصوفية هـؤلاء ـ فأعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا اليها ؟ فاقترح عليهم انيكونوا اضيافه فأضافهم مرات في داره وهـذا الفاسي احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي.

ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلي

وراءهم شيخ بزاوية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فرأى من أهبة جدهم ماراقه	فأتوه للتسليم واللـقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انااعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت مـن	احوالكم صحبالرضا الصمداني
اعني الامام الدرقوي العربي كـ	ـنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	ـحب العارف المذكور قطبالآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الىهذه القضية التي وقعت لهم بفاس

واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح عام ١٣٤٣ هـ بماعلمت به انلصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك وذكر انتحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحلمعاصحابه عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني مـن ان اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذيـن بزاوية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطيبي ومن معه من حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلاباس ولله الحمد عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الىجهة فم تاتلت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناني معهم في السياحة ونحن في البلد بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهاانا ارسلت هؤلاء السادة ياتوننا بأخباركم وياتوكم باخبارنا لاغير ؛ واما الامور فكل شئ في رؤوسكم ولانحتاج انذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل في الخير مالاتوصيه عليه ؛ وغير العاقل لايفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير الزاوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولى بذلك ؛ فقد وصيت سادتنا اهل مراكش في براءتهم على ذلك ؛ فأنتم اولى بذلك ؛ وكذلك انتحرفوا

الناس على ذكر الله والورد وتلقنوه لعباد الله ؛ فأنتم اولى ان تفتشوا عن الناس وتجذبوهم الى الورد بكل ماامكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛ وسيدى الحسن الركائبى يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت فقد عرفتم اساسها وبناءها ومايضرها وماينفعها ومايصلحها ومايهدمها واياكم والخلل فى الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال وللحال ولاتتركوا واحدا منهما وكونوا ترابا للفقراء وأكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون فى الحين والزموا الصدق فى القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما فى ايديهم فلايرون فيكم الطمع الذى يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندكم من الفلوس فلابد ان يروا الشيء الذى صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لابد ان تظن الظنون ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالفقير اذا ذكر الله تعالى يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدينة موضعها لافى اللباس ولا فى الفراش ولافى الماكول؛ فالطريقة ابتداؤها الجلال وانتهاؤها الجمال وعظموا كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدى مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولاتغيروها هكذا قلنا فالفقير العاقل لايتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من كثرة الذكر ؛وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم بهمته العلية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته فى مقاله وحاله ؛ فكل من رءاه اوجلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقدكنا فى حياة شيخنا سيدى سعيد بن محمد المعدرى السملالى حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربى فى جبالة كل من رءانا اوسمع بناواحرى انجلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشتاقون الينا من بعيد لافى الذكر ولا فى المذاكرة وقلوبنا فى الملكوت كما قال سيدى على الجمل ؛ على فى الحانوت وعلى فى الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدى الخضر فى فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثةعشر يوما اذ قلنا له نمشى « والله ماتى بكم ربى الالى لاغير وكنا نغيب فى كل ليلة ونهار فى الذكر والمذاكرة ووقعت لنا فى فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لاينشأالاعن خرق العادة ؛ كما قال فى الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن منكل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلى ؛ فهو قريب من ربه غاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة مابنيت له فى كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هوكونها موضعا لله تعالى لان الزاوية فى الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذاكر ان يجلس فى ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سمي بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التى صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولاتهملوها ؛ فالله يقويكم واياناً جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين فى تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠ــ١٣٢٧ هـ

في محاورة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التى كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدى احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استاذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ماكان يلابسه من احوال الصوفية وجراءة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التى فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقي ولاتذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقته التى تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتمى رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقرر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التى يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويحلق بها في سماوات مجلسه بين سوارى القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزى يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع مانقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكأن الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التى لايتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ مابين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزى فهو زى المساكين الذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا ؛ واما حكمك

بانه لايتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن لـــه الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه انله هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهميتظاهرون بانهم على قدم الجنيـــد واتباعه ؛ فقد اثنى على القوم منحيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لماشهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد مابين السماء والارض ؛ فان ذلك لايضيرهم لان عليهم انيسيروا فـي الطريـق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل منسار على الدرب وصل ؛ وانيبذلوا جهودهم وأما أن ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويتالصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلاشك انرايه قائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بأن فضل الله قد انقطع وان أمثال الجنيد والتسترى ومالك بن دينار وابى على الدقاق وعبد الرحمان السلمى والقشيرى ومولاى عبد السلام بن مشيش والشاذلى قد انقطعوا ؛ وان ماكانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فـى هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم ان هذه العلوم الفقهية والدينية التيتخوضون فـيـها ان بينكم وبين المكانة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بنالحكم وعبد الله بنوهب وابن حبيب بعد مابين السماء والارض ؛ وقد كان بين مـا تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قدانقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقـع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جـواب علماء اليـوم كـان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل ـصاحب الترجمةـ فى هذه المحاورة كما حكى ذلك احد رفقائه المتثبتين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحـز المفصل والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحـكمة وفصل الخطاب فى المحاورات ؛حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلايقال له كلام الا أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المتثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التى بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهرى بحديـث الافك الـذى مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر الـحـق محاورة عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبـــه كلاما طويلا ابى الاان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسيه طويلا ـ وقـد جلسا حين المحاورةـ فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم في امثال هذه المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله رأف بذلك الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج في القروبين ؛ فلو ان الشيخ كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .

تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذى يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آداباجمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكرا طيبا خالدا .

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مخبرون - عجبا من فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذاكرات قوية ؛ فجسمه اضأل من الديك واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لوكانت تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذاكراته في تلك الايام التى قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهرا واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا

ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذى يتبعه السلويون الابرار كل من الم بهم وكل اناء بالذى فيه ينضح ؛ ولاينبئك مثل خبير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه

استاثر الله بالشيخ سيدى سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفرة فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تحت رئاسة سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعدر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فأرسلوا الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم أيضا ذلك النهار الى تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لى كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدى سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعدر حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم وسط ساحة زاويته .

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

غادر سيدى سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجماء الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين رأوا ان يعينوا فيمابينهم من يقتدون به ؛ ويجتمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعله فى القرى ؛ اجالوا القداح فى ذلك حين اجتمعوا كلهم فى مجلسعام فاشار سيدى الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لاوالله مااناً لهاباهل ؛ فكما انه لايحق لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله فكذلك لايحق لى ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم اقبل على الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدى الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولايعدونههذا الامر ؛ ولامعنى فى كثر القال والقيل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتى رئيسا وصاحب الترجمة من بين من يأتمرون باوامره فجالوا فى سياحات فى نواح متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرنى من رءاه فى تلك السياحةوالطائفة تسير فى طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متحادثين فى العاديات ؛ وهو منتبذ عن الكل يمشى مطرق الرأس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج فى هذا الدور ايضاعما كان عليه فى زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات اخرى غيرها .

يزور أهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذى خرج فيه صباحا الى المعدر وخرجت جنازة والده العشية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد عرفوا انه توجه الى الغرب ـوذلك مايطلق على ماوراء مراكش فى تلك البلادـ فايسوا منه ؛ ففى يوم كان احد اخوته يحرث عند (تيزراايفـولـوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمةمع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلقاخوه زوج الحرث واقبل ركضا يثب وثبات المستعجل النشيط المرح الذى ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الـدار البشارة البشارة اخى على جاء ؛ فطارت امه ؛ فأول ماقالت لابنها اجر الى الغنم ائتنا بكبش

تملت الوالدة من ولدها على تقبيلا وعناقاوضما وطالما امعنتالنظر فى وجهه ولوكان لايزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شبعمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح .

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعدها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ واللذين بعده الى انكان ماسنذكره

لطمة تردّه إلى أهله بالكلية

قرأت معي ايها القارىء حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقي فيه بين الفقراء بعدموت شيخه ؛ كمارايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل مارايته انه ممن يوثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لايبتغون به بديلا ؛ ولكنه نفض اليد من ذلك وقنع با نيكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انه يحكي عن نفسه انه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشادالعباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذي لايومن مكره وقدحكى عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ ﻫ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له (زد هان اردن ران ادتزايادن) (اى زد امامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رءاه كماقال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ ﻫ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويابى الظهور كل الاباء ؛ وقال انذلك كان على اذاك كثقل الجبل ؛ فيقنع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عبادالله تحت يدى سيدى الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ماكان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيأ أسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كايتلينغ افولوسن افـياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعني فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التي تضم في صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لايلبث رأيه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ماوقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعةمن يشذ عنهاوعن مبادئها وان تزيا بزيها

جلس اصحاب سيدى الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في اخرى فتجاذبوا المسالة بأدب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعداني المجاطي حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدر تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ماكان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث في ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له في كل مرة يامدعي

تلج فى المذاكرة وتابى ان تطاطىء الراس لسادتك ؛ ويابى لك ادعاؤك الا ان تجاذبهم الحبال كأنك لاتعرف مقامك ولامنتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس اللاطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا؛ وماقاله الفقير ابراهيم بن الحسن الايعدانى من ان صاحبه لايسلم فى المذاكرات اخذه مقلوبا مما يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدى الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدى الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الايعدانى فكأن هذا وأمثاله يريدون ان لايروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كأن ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد فى نطاق الاجماع الذى وقع على اتخاذ سيدى الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ وحول العقول امثال الايعدانى موجودون فى كل طائفة

اثر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالديناميت الذى يتفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط ما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى من الايعدانى الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يكون لذلك تاثير جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباج اديب الرباط اذ قال

ويح الرجال من الرجال اذا تنافرت القلوب

ان كان هذا فى مطلق الجماعات التى تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التى لايضمها غير العاطفة والشعور

يؤسس مركزا ببلدته

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن فى ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدى الحاج الحسن التاموديزتى وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على نزلوا بقرية ايت سليمان ؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى ؛ وفى اليوم الثانى اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا فى ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففى وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج فى المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على مالابد منه من الاشغال فثارت الوالدة فى وجهه ؛ وقالت له والله ماانت بمغادرنا ؛ ولابتارك لقرية اهلك وموطن آبائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزوج ابنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فاستعانت به فى محاولة استئصال تلك الجذورمن صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت أأكون امه ارى منه قرة عينى وفلذة كبدى وابنى على مستقبله من الامانى ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجنت منه الثمار ينقلب عنى منتبذا الى مبتعد لااراه ولايرانى ؛ لا والله لايكونن الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا على فالح عليه انلايفارق الغ ؛ وقال له فيما قال فاذاذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ أأبقى هنا فى غربة وحدى ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا مالم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا على بانه خاوى الوفاض ليس عنده مايعتمد عليه فى هذه البلدة الشديدة الوطأة فى الحياة؛ قال واما فى المعدر فهناك من سانزوج من عنده ؛ فاجعله بادىءبدء معتمدى ثم هى بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لايحتاج فيها الى مايحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ماتتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتاخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقضى الله امرا كان مفعولا ٠

قال ؛ فلم يكن لاخينا على بد من ان يسلس لماطلب منه وقد راى الامـور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية

فى بعض الرسائل للمترجم انه راى النبى صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولابد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزالت تلك الصعوبة عن قلبى ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحى وكان ذلك فى وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفى نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الان فى اخر العام ١٣٠١هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى انجاء فى رمضان ١٣٠٢هـ كماترى

قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنـــى لاتكون الا فى الغ ؛ فلنبدا منذ الآن فى تاسيس الزاوية ؛ فـفـى اول شوال اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لايليق بهم الا مكان مبتعد عـن الناس وكان مكان الزاوية لامراة تسمى تابوريشت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ثم ابتدأ البناء فى اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول مابنى اذاك بناء ساذجا على الكيفية التى تمشى عليها المترجم فـى جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويـم ولا تصحيح واذ ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالغى

بيت اتيح الخير من وجهاته فاتيح ما ينكا الحسود القالى
مثوى السعادة والسيادة والتقى ومزار كل مهذب مفضال
سلم اله العرش اركانا لـــه بنيت على تقوى وعـن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بدا من ديننا وانضح به ربنا بثوب الحال

والمترجم فى اول رسالة له المام بما وقع له فى هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذى يتكرم على عباده ويتفضل ويوتى من يشاء من عباده بفضله ولايسال عما يفعل ؛ الذى معرفته هو اقرب لعباده من حبل وريدهم فلذلك تجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لانى موجود معك وانما المفقود انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا فى غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى فى الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلى وجدناه كماقال جاء الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله فى الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما فى الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبل فجر اليوم الثانى لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا فى ذكر الله فقال لى اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتى لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد فى عشية ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسى ؛ ولااقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اربيه ؛ وقدكان شيخنا سيدى سعيد المعدرى ارسلنى الى فقراء السويرة مع فقير ؛ فقال لى اعطيناك الاذن فى الطريقة عام ١٢٩٩هـ فقلت له ياسيدى نفسى لاتريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لى بهم فقال لى هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسى ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لى بالعجمية (زدهان اردن ران ادتزايادن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لانى مستغرق فى حضرته ولكن قلبى لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوى ؛ فاجتمعت همتى لذلك من غير ارادة منى لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون الماذون فيه رغما على انف الماذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاى العربى ببركة الاذن جاءنا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالى والشاذلى ومولاى عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ماذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء فقيه نفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

---

١) اى زد امامك فان القمح سيزداد

قرأت الاسباب التى دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك مانقول ؛ الا انالفقهاء يقولون ان من رأى من نفسه اهلية للقضاء اوالامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وانيقبل وظيفته ولابد ان عرضت عليه وانيطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجبعليه انينال ذلك ولوبدارهم ؛ هذا مانعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التى يبذلها فى تعليم التوحيد ؛ومكارم الاخلاق للناس حين يتتبع القرى يستقريها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية فى التعليم الدينى العام ؛ ثم انهامضى فى ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ ه وهو لايعرف مللا ولا سئامة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لابد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هووراء ذلك كله قد ايدبالتوفيق وعاين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم بهمن معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلكونحن لابد عارفوهمما سياتى من باقى مانتتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسهل مليبرد تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا اننجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لايمكن انيحملوا على اقرانهم هؤلاء ماوجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العامللعامة جعله الغزالى فرض عين على كل ذىعلم ؛ وذاك نفسه هو غالب مايشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادى عشر من ذى الحجةعام ١٣٠١ ه وان الفقير سعيدا كا ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافى والقوادم ثم تتابع آخرون فىالسنة نفسها فكانكل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفى الذين دخلوا اذ ذاك فى بابه الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجاطى ممن

(تالاتغزيفن) كان عابدا كبير المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عنتا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصري فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم فشكوت ذلك لسيدي المدني فقال انني لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانـمـا ألقن للناس مابايدينا تبركا ؛ ثم قال شارطت في مسجد من مساجد دوكادير فاذا بالشيخ فلقنني ؛ ففي الحين وجدتني منقطعا الى الله ؛ وقلبي قد جلببته الطمانينة فاستجاب الله دعاءي في الحين ؛ هكذا يلتقي الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماصار يتعاظم بتوالي الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه •

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢هـ ثم اتمها بتاسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقيرته بالمناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تمزق به ماكانوا الفوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشي وئيدا في مرقعته لايشتغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهو ذا رجع اليهم بوجه آخر واول مافعله تاسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد بهمة طائرة ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه فان كان صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذي يجهل العلوم ومدارسها من المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة في الغ وقد كانت انباؤها احدثت ماحدثت حين اعتنقها وحده منذ سنوات ؛ ثم القى عنه هيأته الجميلة • فجال في مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعكازة مملسة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين نزل بين ظهرانهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؟ ويعلن انه شيخ يـتـصـدر لتربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالتربية ؟ كل ذلك عجب عند اهل القرية كمايعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجـل ينتفض من خموله المتراكم فجأة ؛ ومن اطراقه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الرأس وهانحن اولاء نتنازل فنشارك هذا البعض من القراء في عجبهم ونظهر بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق في دعواه هذه فيمـا سياتي من سيرته التي سنتتبعها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم في هـــذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم في بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا مانسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ماقاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ماقاموا الا لنفع العباد ؛ وتهذيب النفوس ولكنهم لايلبثون بعدان يتجبجوا الشهرة والاقبال ان ينسوا العباد ويغرقوا في شهواتهم الى الآذان ؛ فلسان كل انسان لاعظم فيه يديره كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال العظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند الميدان تظهر التركات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل والعود اعوج ؛ ولبعض الالغيين

خيل السباق تتساوى فيابتدا ولايرى السابق الا فـي المدى
كذلك الرجال كـل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجته الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر ايضا انتنظرله سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انهلايعقل الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولا بنت للحاج ابراهيم الايغشاني فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد ثم ذكرت بنت(حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها ممن عادته انيتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقعة ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداويين يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف انيطلق حتى نفسه وامه واهله ؛فالاقرب منه ان يجر ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذاتقول حوكا وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفـقير مسـعـود ببليوش التيبيوتي بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تفلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل بالمراة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بناحمد من اعمام المترجم شاهدى عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ماجهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (منافواه الرجال) وكان الزفاف الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث منشوال ليس فيهالا بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوافي هذه السنة عندالمترجم وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتذاكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العمان الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له اوكنتمفي ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج بهمن الزيت لقنديل فارسل في الحين الى الفقراء اناء منزيت يسرجون به

سايرنا حياة المترجم من عهده في الكتاب فالمدارس فمنقطعه الى المعدر فسياحته ؛ فجلنا معه وهو في مرقعته متجردا عن كل شاغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه في هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذى كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا انراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدرلتزهيد الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لابد له منحالة تعلن بلسان حالها ؛ انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولامتشوف الى مافي جيوبهم والا كان ذلك كحبالة من حبالات القنص تنفر الناس بادىءبدء اكثر مما تهدئهم وتقود ازمتهم ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هيأة مستحسنة في قومه ؛ لاتتقحمه معها العيون ؛ ولاتشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يرشحنفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؟ واية هياة سيبرزبها ؟ فقدكنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وماكانت بلاريب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له في حادثة قبل ان يلتبس بحالهالجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب في عليائه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزى والد امغار بلقاسم الازربيبي اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدى على بن احمد وهوفي مرقعته وسبحته وعكازته يملا الجواء بهيللته لايفتر عنهاطوال الطريق ذهابا وايابا فهذه هيأة ان كانت تلائم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذاالطور الجديد ؛ الذى يقتضي تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لاتنفيرهم بمجرد الرؤية ولاتستمد قلوب وعقول كثير من الناس الا مماتتأثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذى يعرض عن كل احد لايقبل الا على خويصة نفسه ؛ فانه لايبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ تلائمهمرقعته التي تخف بها مئونةالاهتمام باللباس في كل وقت ؛ من تجديد وغسل ومالى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكون مثله مثل الناس في العادات المالوفة التي لاباس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليمكن التاثير المطلوب .

حقا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع المعهود من لباسقومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلايترك مجتمعا في القرية ولافي

جيرانها الا الم به مؤانسا اولا ثمواعظا مرشدا ثانيا ؛ وكان مع ذلك قلمايفارق الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده لكل من آنس منه قبولا ؛ وما تلقين الورد الا انخراطالمرء في جماعته ليمكنان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخا ؛ حتى تسرب ذلك الىالعوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية متى اطلق فلايسمى الابه عنداصحابه وعند غيرهم؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زجء فيها الا انضواؤه تحت لواء شيخه المربي والصوفية لايشترطون تلك الحالة الا لبعض من لايزالون تحتنظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلاباس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرائية الشريشية وامثالها من الكتب التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لايحصلالا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديدا وسموه به فلاينادى ولايذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننعتهمنذ الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريبا في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسيح إلى آقا

كان الشيخ سيدي سعيد المعدري قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فأقا من مسارحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ومن اليه ؛ وصاحبالترجمة ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيرا للعهود واستنهاضا للهمم ؛ فلهذا ذهب راجلا في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة اقا ؛ فبقي هناك الى انامضى عندهم عيد المولد ؛ وكاني باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لميستهوه ما يستهوى من يكونون حديثي عهد بعرس ؛ ولكن يجبان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجالات لاتطمئن نفوسهم كثيرا لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجةوسرورا مما يستهوى كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراشقة والمغازلة في مخادع الغواني ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء فهيهات ان تبقى منه لفتة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يؤدى من الحقوق ماينال به الخيرية التي اومأ اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حين قال خيركمخيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ؛ ولاباس ا نلقى في اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعييد هكذا اثر عرس حديث فى منتاى عن الاهل ليس مما يستكره فى عادات اهالينا والبر بالاهل انما يطلب من الرجـل بحسب بيئته التى يقطن فيها وماكان مقبولا متسامحا فيه فلاتبعة على من اعتنق فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعييد الشيخ اول عيد نائيا عن امراته الجديدة لاباس به عندنا فى البيئة الالغية التى لم تتعود شهور العسل

يراجع التدريس

كثيرا مانرى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المخبتين المنيبين ما لـم يذوقوه مابين الطلبة المماريح المفاريح المفاكيه ؛ ووجدوا مابين ايديهم واثناء مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون فى متون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مماعبر عنه بعضهم اذ قال «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لايجدون بعدذلك من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التى يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كمايقتحم المرغم الخائـف ارضا شائكة ؛ والحق يقول من يقول «ان التصوف اذا سبق تمكنه فى فكرالانسان يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفـة «كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجيء منه شيء» ويرحم الله ابا اسحاق البلفيقى دفين الرحبة القديمة بالحمراء ـذكر اللـه الحمراء بكل خيرـ اذ قال «من اراد الله بهخيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها ثم بعد ذلك يذيقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا مايقال فـى الصوفية والعلماء ؛ لايزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كانالتصوف لم يشب بعد بكل هذه الشوائب التى اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الـى غمده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لمايسف اربابها هذا الاسفاف المخزى حتى كانالعلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجـهل والغفـلة والعنجهيـة والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادى فطم على القرى واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصال حتىالقرعى (١) فذهب رواء التصوف والعلم معا ؛ فاختلفت النيات فضرب بين الطائفتين بسور مـن حديد حتى لااتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوموأهلها؟ اولاتكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ماهم فيه ؟ فيكفـر بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا فى صوفية المتاخرين وفقهائهم فقد يشذ بعض افراد من الفريقين فيعلم كل واحد مالالاخر من مكانة لاتنكر ؛ والشيخ منهذه الثلة القليلة من الصوفية التى وان تبجبجت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة لم تنفض يدها كل النفض من العلم واهله فقد رايته تصدر فى مدرستـى فوكورض وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذه شعارا وجعل مبدأهدثارا

(١)طم على الشيء غمره والقرى كغنى جدول الماءواستنت: جرت والفصال جمع فصيل صغار الابلوالقرعى التى اصابها القرع والجمل الثلاث امثال عربية

وسترى معنا ايها القارىء اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة فى الباقى من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من اقارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقيه الحسين التاطاروستى والفقيه احمد التازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهبذ الشهير بلقاسم التاجارمونتى والفهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالغية والفطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فبين يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الغ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعزعليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحى تامصلوخت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراءى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجبا لكم نبيت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول انا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احياؤنا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافذاذ فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨هـ فاذا هو هو لم يزده تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخذم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعة الى ربها وألقى المقاليد الى العلامة أبى الحسن ابن عبد الله (ان الله

---

١) بطمتين القوى

بامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فودعه الاستاذ شاكرا عمله فى تلك السنة
ثم نقل كاجرة المشارطة الى الزاوية خمسا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت
اول مادخل الزاوية من الحبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان

بنهض بهمة علية إلى ما هو بصدده

ان الثانية من السياحات التى قام بها الشيخ بعد تلك التى ذكرناها الى
اقا ؛ هى سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدى الحسين
ابن مبارك المجاطى وسيدى بوهوش الدوكاديرى وامثالهما من قدماء مريديه
الذين ارتشفوا منه الرشفة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن
ينتسبون الى سيدى سعيد المعدرى فجال هنالك فى املن بالارشاد الخاص والعام
مما كان يفيض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك
القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛
فتسهب فى تتبع ماشاهده الناس من قلوبهم اولاحين تاثرت بكلامه تأثرا عجيبا
وفيما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه فى سياحته ماكان
معروفا عن المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضون عن
اهل قرية الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد
على عكس ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض
به اويصرح به بين الملا كما هى عادة المرابطين السائحين؛ وكل شغله الشاغل
فى تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عن مدها الى اى
انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبث ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور
ويفتح الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجاب تلك الهيأة التى
يذكر بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون
بها فضلا عن ان يروها؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب
من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ
فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى مايذوقونه بعد ان
التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتذوقونه قبل اليوم
مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه
قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا فى مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه
اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيفى والرجل الصالح سيدى الحاج
الحسن من أيت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال
ثم كان ذلك هو السبب الذى حدابى حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته
وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) وقد ذكرت كل
ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الغ ثم

(١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لايبقى فى زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب للهومايجوز ومايستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التى افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى انكفنه كافنه ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثمينادى مناديه ان يجتمع الناس فى المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا مايكون الرجال داخل المسجد والنساء فى فنائه ؛ ثم يطلع ـاذاكان الوقت ليلاـ الى مافوق السطح انوافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛وكثيرا ماىامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم مااراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب فى قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ماكانوا لايسمعونه قط منعالم ؛ ولايقوم به بين الناس قائم ؛ والعلماء فى غفلة عن هذا الواجب كانهم لايحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان فى اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والتى تجاورها فراى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذى كانوا يسمعونه به ابله ذامرقعة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتبلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ماكان كل الناس جاهليه ثم لايجدونمن ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير انيطمع فيما بأيديهم ثمكان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامةفينتفعون بمايعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لايحدث الناس الا بما يفهمون عملابماورد : «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم فى حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهمانيتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به فى المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الىالله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذى يبذله فى نصحهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوانهجه فسرعان ماتكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئافشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لاينشرحون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله فى كل منيتصدى لامركان ماكان ؛ حين لابد انينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لاتخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا	وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى فى الحب غيركم	وصادق ليس يدرى انه صدقا

سياحات اخرى كبيرة

فى منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينيفون على الاربعين مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية فيقلبه ماشاء وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمه ؟ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ فى ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد كان ساح اليهاقبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه المسمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما هيأه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راى فى منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة فلم يكد يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ فى ذهنه انهذا تعبير رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ فى ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فرأى الراءون انه من طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه فغرق فى الحين الى اذنيه فى اكبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هذه الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونوا للزاوية خداما ؛ ينذرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاوية الشيخ سيدى محمد بن يعقوب التاتلتى ؛ فعزف عن ذلك على عادته فى مثل ذلك مماخلبهم به فسلب البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على مابين جنبيه •

فلا ترج الود ممن يرى	انك محتاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانهاهى التى كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحن جالسون فى قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر شيخا كبيرا ؛ فقام فى الناس بالارشاد والتعليم والنهى والامر ؛ والتبشير والانذار وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه؛ اوسمع من مواعظه وانه مادخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟ كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لايمل ولايضجر والاعجب من وراء ذلك كله انه لايقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد باسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لابد منه ؛ كزيارة تقدمها كل قرية الى السيد الناصرى ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ماهم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريبي فمن دونه ؛ والناس اتباع رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبني نور وجهه وملكت مشاعرى انوار تتالق من اسرته -على حسب تعبيره- فنفضت يدى من تلك الساعة من كل ماعندى فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالى ودارى وكنت بعد عزبا فأنساني ما رايت كل ماكنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى الدار ؛ بل بقيت فى سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد على بعض الناس مالاقدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه ان شاء الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالني الذى كان له شأن عظيم بعد هذا الحين فى قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادى حتى حللنا بزاوية سيدى الحسن التيملي بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعدر قال ومما سمعته من الشيخ فى تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه ممن كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض ذهبا ؛ ولاقصد عندنا فى كل هذه الجولات الان نصادف من يتعالى الى معرفة ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هى مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا وفيها نمضى حياتنا (وقد ذكرت ماحدثنى به هذا الحاكى فى جزء خاص من كتاب (من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى ايفران فاداى فايمى اوكادير وقد صادف قبولا عظيما فى فايمى اوكادير كان هو السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى الآن ؛ وقد وقعت له فى هذه السياحة امورمع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها لانها مكتوبة بتفاصيلها فى كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا فى اول عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فاداوتانان وقد مرعلى مشهدابى السحاب فأخذ عنه اذ ذاك سيدى على التنانى المقرىء المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه سيدى سعيد التنانى الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل ذلك فى ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه فى القبائل التى كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالغيين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطئهم عقبه وهم كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحور ببرته غيرملتفت لما فى صرته •

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لاالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السويرية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥هـ ورجوعه فى اوائل رجب او فى اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الغ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفى كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالغيين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقى والتمائم ؛ وانه من صنف اخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل •

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدى فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك فى سياحته السويرية التى رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه فى ذلك مراء نبوية ولكن كيف يحج ؟ وليس فى يده مال ؛ وهل يطير البازى بغير جناح ؟ اوتخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حب الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكأنه سمع بأن الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشيء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلااحب انا الا ان تسلفني مااتوقف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ وراى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيىء من يومه ؛ وقد نهضت همم اخرين فقاموا لوجهته ؛ وقداراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوفق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت فى مبيضتها واخذت منها نسخة وهى على ماهى عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها وتخيرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا اوبيتين او

اكثر لاتمام معنى ماذكر؛ اومبحث تعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الغية حسنة مفيدة؛ وهي تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب ؛ فيصف كل ماراءه وصفا تاما ؛ فلنذكر منها بحسب منازله ماتيسر ملاحظين للاختصار ؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول في اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا	ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين في الشتا	والصيف رحلة بها المن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان	بخير خلق الله والقرءان
وارسل الرسول بالبشارة	مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة

في عام «شسه» (١) وبيوم اثنين	يـز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى	والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفي القلوب حرقة الفراق	وانما يسلى رجا التلاقي
ان الفراق قطعة العذاب	بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشييع	كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائر والولهان	ومسبل الجمان والسكران
لكنني ودعتهم لله	فليس عن ودائعى بساهى
ورجعوا والدمع في المحاجر	كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه	اخو العلا السميدع النبيه

الى آخر الفصل الذى ستجده في ترجمة الاستاذ سيدى علي بن عبدالله الالغي الذى هو المقصود هنا ؛ وبعده الابيات المتقدمة في ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايغشاني ؛ وستراه بحول الله في ترجمته ايضا ؛ ثم ماذكرفيه الاستاذاحمد الزيمامي ؛ وستراه في ترجمته ايضا ؛ ثم قال وقد نزل في ذلك اليوم الاول في تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشييعا	لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم	بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الركب بنا سيرا الى	زاوية الشيخ طفاوة العلا

---

١) ١٣٠٥

٢) ١٧

سيد احمد بن موسى قاصدين — اخص احباب لديه نازلين
من انبأت اخلاقه ووصفه — وعلمه وعقله ولطفه
بانه المحفوف بالعناية — وانه الموسوم بالولاية
ذونسك وورع وزهد — وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد — والشبل في المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالح — ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل — نزلته فنيل خير نائل
فكل ما اشتهته نفس النازل — تناله اليد بلا مناول
وفي الصباح كنت في صباح — في ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال — والحب في الله دوام الاتصال
وارسلت امه خاتما الي — لكي يزار قبر سيد قصي
وبعد ما اوصلته لقبته — ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا في اساكا عند الابلاغيين

ثم حللنا اسكا فرحبوا — بنا وفي ثاني المبيت رغبوا
فشكرت السننا احسانهم — بطلب اصغوا له اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا — نيران فتنة بكم تنطفيء
فقبلوا ثم وفوا فغدروا — فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل في المعدر مسكن شيخه سيدي سعيد

ثم الى منبع عين سرنا — وجنة تلألأت في دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة — وزهرة الدنيا بهذي الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد — شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس في احوال شيخه ؛ وسترى ماذكره فيه حين تقرأ ترجمة شيخه هذا في (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان عند ذكرنا ماوقع له يوم ملاقاة شيخه ثم قال بعد ما اطال

اثنى العنان للذى فيه الكلام — من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا — فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه في سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد المريدين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ … حصل بالوداع مثل النفخ
منه لماسة بحصن الساقية … نزل ركبنا بحصن الواقية
ماسة موضع الكمال طرا … منبع اهل الله حقا جهرا
من كان من اهل القلوب يدرى … ما قاله من كان حلف خبر
رايت مرة بها اذ سحنا … سرا من الاسرار منه بحنا
وتلك لى الاولى بذاك حنا … قلبى لها وحبها قد سنا
فكم بها من جملة الاحباب … كلهم ذوو صفا الالباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انثنى الفقيه سيدى على … كذا ابو سالم الحب العلى
قد حصل الفراق والجمان … ينتشر اذ تودع الاخوان
فرجعوا مع البزمامى احمد … خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله فى المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحالنا الى المزار … لدى احبة عزيزى الجارى
جيران وادى سوس اهل الخير … اهل المحبة لنا والغير
ثم حللنا دار سيدى الحسين … مقدم لديهم بكل زين
وكلهم لم يدر ماذا يفعل ؟ … عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا … فزال ما بنا لديهم من عنا
واكرموا ثلاثة الايام … غاية مايكون من اكرام
وعندهم رايت فى المنام … بشرى رايت ملك الاسلام
سلطاننا سيدنا المولى العلى … ابا على نجل سيدى على
فى غاية الفرح فى منزله … مرحبا بنا بوسط اهله
فقال مذ خرجتم فرحت … وكل ما اشتهيتم ابحت
وقام فى خدمتنا بنفسه … مفضلا بقلبه وحسه
فاولت بملك الملوك … لحبه سلوك ذا السلوك
ومن هنا رجع عنى الشبيقق … الصنو ابراهيم افضل رفيق
وهو باهل الله ذو اعتناء … ولطريق القوم ذو اقتفاء
ومعه بعض من الاخوان … فرجع الكل الى البلدان
فرجعوا بمركب البغال … كانت لنا حاملة الاثقال
ثم الى السويرة الكراء … حمارة وناقة حمراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس … تبا له من معبر ذى بوس
اياك ان يسل فلا تعبر به … كيلا تكون راسبا فى قلبه
ولم يكن يهلك فى الوديان … الا المجربون بالطغيان

ثلاثة ما منهم امان ... البحر والسلطان والزمـــان
ومعنا في قطعه احباب ... لولا هم تقطعت اسباب
انا على البغلة وهي تقطـــف ... وكل من معى اليها يعطـــف
والصنو عبد الله كان راكـبا ... فرس بعضهم فكان ءائـــبا
لانه وبضعة من فقـــرا ... قد ازمعوا ان يقصدوا امالقرى
فتعب الكل بهذا القطـع ... وبعضهم اشفى به للنـــزع
وفعل واد ليس فعل النحـــو ... ان كنت ذا عقل وحلف صحو
يعمل فـى معموله بسيلـــه ... الخفض فالنصب برفع رجلـه
وكل ذى عقل وخدن حـــزم ... فلا يطالب قطعه بعوم
فليقطع البر لراس الوادى ... محاذى الضفاف فـى البوادى
فهو يرى جميع ماكان يشـــا ... من فجره الى حنادس العشا
من ملبس ومفرش ومشرب ... ومأكل وكل خير يجتبـــى
لان ما في ذاك من عمارة ... اضفت على السكان حسن الشارة
ومن ردائة لفوق سيرى ... كل الامانى لديه فى القـــرى
الا الامان انه مكفـون ... بسبعة لـديهم مـدفـون (١)
ولا يجوز نبشه من قبـــر ... معروفهم هو عظيم النكـر
ولم يخلف وارثا فاشتغلـــوا ... بنقض عهد الله فيما عملوا
هواهم اهوى بهم فـى المهـوى ... اسرع بهلك من اليهم اهـــوى
والحكم للغالب لا للنادر ... بلادهم تعمر بالـبـنادر
اما الصلاة فمن الـرجـال ... قليلة فكيف بالـعـيـال
واديهم يذهب بالابـدان ... وجهلهم يذهب بالاديـان
فارتكب الاخف من ضريـــن ... والويل اهون من الويليـــن
وبعد قطعنا شكرنا شكرا ... فى حصن منكب وصلنا الظهرا
وكلنا زار ضريـــح سيدى ... ابـــى القنادل بشوق ازيـــد

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اورير ثم فى ايت أمر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم خيار الحاحيين ؛ ثم فى تمنار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال ... حاحة وهو مـن ذوى الافضال
ءرامنا البيع لبغلة لنـــــا ... على بنقده نلم شملنـــــا
ومثلها يحبها الـعـمـال ... وعندهم قـد توجد الامـــوال
قبل طلوع الشمس قد طلعـنا ... لكن من الدخول قد مـنـعنا

(١) ضمن هناك التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فـــى مواراة الميت وتغييبه عن الانظار

وشددت حجابه علينا ... وسددوا رماحهم الينا
فابوا التقريب والترحيبا ... وءاثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا ... الى الجدار ثمت احتللنا
نقبل كل ذاك بالافراح ... من ربنا الفاعل بانشراح
وكان عنده الكثير الفقها ... عرفني من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف ... رجاء شيء من لدنه حيف
نحن ذوو زاد وهذا الصيف ... نبيت حيث لايكن سقف
لموضع فى خارج قد ملنا ... مع جميع الفقها ؛ وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا ... اذ ان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل ... من حيلة يجنى بها المؤمل
لكى نبيت احسن البيات ... مع جميع الفقها السادات
فقيل لى سلم عليه حينما ... يريد ان يدخل كيما يعلما
لانه من خارج بمعزل ... عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب ... والناس منه فى هوى ومرهب
وليس يجترى عليه احد ... كانما يخطر منه اسد
حاجبه يقوم ليس يجلس ... يلازم العبوس ليس ينبس
يرعى له بطرفه الخواطر ... وكيف ان اشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة ... قلبه انتشى بتلك الخمرة
فجل ءادابهم الظواهر ... وفى بواطنهم المناكر
فقمت امشى فتلاقيت معه ... مسلما فلم يرد ان يسمعه
فدخل الدار بغير رد ... سلام من سلم ؛ بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا ... تحت الجدار وبه انسنا
الى ورا العشا وقد نعسنا ... تحت الجدار ما راينا الكنا
جاء الينا حاجب محجوبه ... وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما ... ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قم فسيدى يدعوكا ... لاكان من ياسيدى يجفوكا
وذاك انه جرى فى النادى ... وهم يجولون بكل واد
ان قال بعض الفقهاء ها هنا ... فلان من فضله الهنا
بالعلم والصلاح والخيرات ... ووعظه يطير بالمهجات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم ... ونفخوا وهما بغير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل ... فاشتاق ا نينال خير نائل
فقال للحاجب قم فات به ... لنستفيد من سنا مطلبه
فقمت فى الحين بقصد الوعظ ... له بحالى اولا واللفظ
وجدتهم فى قبة مصنوعة ... بزينة وفرش مرفوعة
واذ رءانى زال عن منصته ... يشير بالجلوس فى اريكته

مرحبا بقلبه وقالبـــــه | وقال كل مرحبا اذ قال به
فهو كالقلب وهم كالجسد | مبتدرون ان اشار باليد
فقلت اذ رايته قد اقبـــــلا | وكـان للنصح له مستقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان | رايت نفسك بنصحنا فمـــن
فقال لى اهلا بنصح اللـــه | جازاك عن نصحك لى الهـــى
فقلت للحاضر من رعيـته | ومن بناديه من اهل طاعتـــه
هل انتم تاتمرون طـــرا | نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
فقال كلهم أ انـحـن نهمـل | منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
فقلت ان امر بالخمس لكـــم | اتتركون فى الوقوت شغلكم ؟
فابتدورا بقولهم لوامـرا | بالعشر اديت بوقت امـرا
فقلت للقائد هل انت ترى | من الذنوب ما عليك فى الورى
فكل من ترك فى حكومتــــك | اى صلاة فهى فى رقبتـــك
فى سائر البلدان اذ حكمتـــا | عليهم جهلت او عـلـمتـا
ضيعت دين الله فى احكامكـا | وهى عظيم ذاك فى اسلامكـا
ان الفريضة عمود الديـــــن | كما رووا عن النبى الاميـــن
فقد رايت من بحول داركـــا | تركها بله بنى جواركـــا
احسن كونك عـامـلا ولا | تجعل فى الصلاة ذاك العملا ؟
بالوعظ والضرب وقتل الحـد | وذاك فى الـديـن تمام الجـد
انت خليفة الامام الاكبــــر | فانت بالتنكيل فى ذاك حـرى
فارسل الرسول للمؤذن | فجاءه فى الحين فورا لم يـــن
فقال من لايــرد الصلاة | اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما | يرده لها الى ان ينعمـــــا
فقلت تبنى مسجدا فى الداخل | تجمع فيه مع كل داخـــــل
فقال قد وعدت بالـبـنـاء | له بذا العام بلا مـــراء
ففرح المجلس والاسماع | وفى الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر ثم الى دار القائد الحسن النكنافى وقد كان له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره فى السياحة السويرية المتقدمة وهو الذى يقول فيه :

ثم هنا لآخـر اخينـا | فى صحبة صحت ولن تبينـا
مرحبا غاية ما ترحيـــب | ومفضلا بنعم وطيـــب
وتـلـك شنشنـته للـكـل | عادة اهل المجد اهل الفضـل
ابى على قائد النكنافــــة | فالبشر منه الخلق واللطافـة
سياسة حسنة وطبــــع | لانت بـــه اصوله والفرع
قد كنت قبل ذا بشهر رحنـا | لديه بالاخوان حين سحنـــا

فكان ان وصيت عن بنـــاء مسجده في الدار باعتناء
فالآن قد وجدتـــه مكمـــلا فكان ان صليت ففيه اولا (١)
في اليوم الاول لنا بـــرمضان وهو كما رووه افضل زمـــان
فكان دائمـا به يصــــلى هو ومن معه وكل الاهـــل
وهكذا فلتكن الــعـمـال اولا فهم على الورى وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدى عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المـعدرى وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السويرة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسويرة ونحن في الصوم وفي الهجيرة
نزولنا فيها لدى اجلــــــة احـبـة اعــزة اهـلـة
رباطهم احسن به مكانا تملأه اذكارهم الوانـــــا
ينسى بحسنه لك الاوطانـا ان كنت ناجيت به الرحمانـا
مع الذين فيه من كرام يجنون ما يراد من مرام
وكان قطب جمعهم للـــــــه من فكره دوما على انتباه
خديم اهل الله حيث كانوا محب اهل الخير حيث بانوا
سواد عين مقلة الاحباب ومنه نور مهج الالـــبـــاب
اخلاقه علت به ذرى العـــلا ووليت منه المكارم ولا
افضى به عند اللقاء الفرح حتى ارتمى بالشوق منهالشبح
يتابع الانعام والمئونـة مدتنا هناك والمعونـــة
واهل داره عـــــلى الدوام بـــزادنا اشتغلن مذ ايام
اعنى اخا الكمال سيدى عمر امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
وهو الموقت على السويـــــرة الطيب السمعة والسريـــرة

ثم اطال الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيههناك يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة لدى السويرة بطيب عشرة
ولم نزل مدتنا المخـتـارة منتظرى سفينة التـجارة
تاتي لقصد سعة المـبرة في الدين والدنيا بـــلا معرة
لان ما يركبها الحجاج تضيق حتى يكثـر اللجاج
ثم اتت فسار سيد الــــى وكيلها مرغبا ان يقبـلا
فقال لى وكيلها النصرانـــى تركبها انت بلا اثـمـان
غيرك بالخمسة من ريــــــال لطنجة وذا بــلا مقال

---

١) كذلك بنى المسجد فـى دار القائد المحجوب المتقـدم فى الحيـن فالمسجدان عامرآن الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابــي نقسم ماترك كالاحــباب
فرجعت بذا الى اربعـــة مع سدس لواحد فى العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله لله بل الهنا قد عملـه

ثم استطرد ان العمل لوجه اللهالكريم بالاخلاص لايصدر الا مـن مـوحـد عرف الله ؛ وجال فى ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم من لزوم اداء الصلوات فقال فى اهل سوس ومن اليهم

ولبنى سوس من المغاربــة جد علوا فى الدين منه غاربـه
واهل (ولتيت) عليه جـبـلوا من ضمهم سهلهم والجبـل
فاقوا بذلكم اهــل سوس طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
فاقوا برغبة لدى التديـــن والزهد فى الاكثار والتزيـــن
وبحياء فى النساء لايزول ورثه فروعهم عن الاصول
وعفة ورأفة ونيـــة وهمة كهمـة الصوفيـة
وقلة مــن الحطام الفانــي وكثرة الخوف من الديـان
فهذه الخصال قد فازت بهــا (ولتيتة) فــي كـل ءال شعبها
ثم بهم يمتد ظل الديـــن فى كل ما يلى من القطين
جميع من بحوزهم قد وصفوا بوصفهم وبهم قد شرفـــوا
يقــر جيــرانهم بـذاكـا اذ ادركوا من يمنهم ادراكــا
وذاك ظاهر وقد تبينـــا والصبح لايحتاج ان يبينــا
ذاك ومن كانوا جــوار سوس افضل فى الاركان والاسوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كـذاك جيرانهم ايضا فحقق ما هـناك
جيران اهل سوس فى الحدود فاقوا جميع الغرب بالشهـود
فـجـل نر الاسواق والمداشرا فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
من كان فى مخدع امه جهــل كل الذى بدارها لم يتصــل
وذاك جهل منـكـر خصوصا انكان عن ذى قدوة منصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى حـم فى الدين بين غيرهم تقدمــوا
جميع اهل الشرق امـا قيسا بهم يقال بيس بيس بيسمــا
فبدونا اعرف بالاديـان من بدوهم للحفظ للقرءان
وذاك كله شهير يـــذكر فى كل مجلس تراه يوثر
وقد رايت ذلكم عيانـــا ثم اختبرت امره ازمانا
وذاك كله بنسبة القـــرى فىالشرق والمغرب منغيرافترا
اما المدائن فقد كفى الورى فىالمدن امتى وبعض فىالقرى١

١) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون

ثمت ودعنا هناك الصحبـــا — كلهم مستصحبين الربـــا
وكل من نلقاه فى السبيـــل — يزور منا زائرى الرسول
تبركا بالنية المستصحبـــة — والكل قد اعلى بشوق منجبه
والدين مهما خالط القلوبـــا — فجر من شعابها السيوبـــا
وكل قلب لايلين بالوداع — حتى يهم فى الضلوع بانصداع
فليس بالممكن بعد ان يليـــن — بل هوكالصفحة فى الطودالرصين
حد التبرك بنا ومثل مـــا — ذكرته من الغليل والظمـــا
ومن تشوق ومن عويـــل — عند مرور زائرى الرسول
سيف السويرة فـمــن هناكا — غادرت ذاك الصيد والشباكـا
ثم اتى دور المحاسبات — وقول هاك فى العطا وهات
وليس بعد لك مـــن مصحوب — الا الذى خبأت فى الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامـع — منك اذا ساهلت او منازع
فانت من يزور بالدراهـــم — لكى ترى خير فتى مساهـم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة فى هذا السبيل خصوصا فى سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم فى الطريق وفى الحجاز متصل لم ينقطع ؛ فلابد من مد اليد بما امكن

وليس فــى جميعها انيس — الا دراهم حواهـا الكيس
لكنما الانفاق بالاجمـــــال — للسفر من محاسن الاحوال
لانه يـجعـلهم فى الراحـة — وهكذا الراحة بنت الراحـــة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعـــة — سفينة طويلة موسعـــة
فقلت باسم ربنا مجراهـــا — فى بحرها وباسمه مرساهـــا

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حـولها — ولوحهـــا وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية — وحـركـات سيرهـا الخفيـة
وجدتها اكبـر ما بظنـى — حيث استبنـت سرها بعينـى
ان يبد مـن اوصافها لسانـى — فليست الاخـبـار كالعيان
فذرعها كانه فـى الطـول — ذرع الثلاثين على المنقول
وعـرضها حـقـا بخمس عشرة — مـن اذرع ان لـم تفقها كثرة

فيها ثلاث طبقات تسع الفين او ازيد بل لاتشبع
سارت بنا فى وسط النهار بلا اهتزاز السفن الجوارى
وغير دوخة ولا فتور كانما نجلس فى السرير
وجدت فيها صحة فى البدن اكثر ما اكون بين المدن
لاننى وافقنى هواؤها وجوها واكلها وماؤها
فصرت اكل جميع ما اشا بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
وكان هذا الوقت وقت الصيف والسير فى اليم كمر الطيف
ونجمع الصلاة فى الجماعة مع القيام ان تحل الساعة
مع الوضوء دائما وكل ذا من فضل ربنا الذى نفى الاذى
لان همى كله فى السفر حفظ الديانات لنيل الظفر
فجاء ذا والحمد لله كما احب كل سفر متمما

ثم ذكر مرورهم باسفى ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفن التى تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم مايريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال

ثم بدا الرباط فى جنب سلا كدرتين فى جبين يجتلى
بينهما نهر كما التنين يسع ما يلج من سفين
وكثرة الزوارق العوامة على اشتغال اهلها علامة
فبعضها يفرغ ما فى السفن وبعضها نزه من فى المدن
لكنها ان ولجت فى البحر تعلو وتسفل كمن فى السكر
وذاك من شدة ما تراه من موجها ان جاشت المياه

ثم ذكر ان الرباط مبتدأ مايطلق عليه الغرب كماانه حد مايطلق عليه الحوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاشيقا واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصبابة الى زيارة المشاعر الدينية وقبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال والاهل وتنسى كل شيء دونها

ايلج المتيم الاخطارا ثم يخوض فى العدا الشفارا
ويعرض الحوباء للمهالك كيما يواصل الالى هنالك
ويتمتع بلمحة وقد جالس من حبه فى القلب اتقد
ثمت يكسل الذى قد زعما انكان من حب النبى فى ظما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل مايكون فالبواخر المريحة السريعة الآمنة تدرك بها الاغراض؛ واين هذا مما كانمن قديم حين تجاب الفيافيالمخوفة ويكون الحاج فى برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيلحجا وماذاك الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثمذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف برالاندلس ـاسبانياـ وارسل زفرة على فقدان فردوسه العجيب ؛ فذكر القرن الذى سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر أيضا ؛ فاثنى على الذيننافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ثم ذكر بنى السين الفرنسيين الذين امتدوا أواسط القرن الماضى الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وبتنظيم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم فى البلاد ثم قال مادهينا الا من استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذى يلمبأن كلامة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذناب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثمذكر انتونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب والمغرب الاقصى فى هذه الجهات ؛ ثم قال

رجع بنا الى الذى تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر انبعض اهله نزلمن هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقى هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هنالك ؛ ثم ذكرسبتةوذرف عليها دمعة ؛ ثم ذكروصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذى نزلوا به من الباخرة على الزورق ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى فى جبل طارق

فاذ نزلنا ودخلنا فى الزقاق ... دير بنا حتى غدونا فى نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا ... وطرف كل شاخص الينا
كاننا قردة فى الملعب ... ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان فى الاصيل ... قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت فى المنزل كيف يوجد ... ومن نؤمه ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى ... كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس فى الجبل غير الكفر ... سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون ... من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص ... والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل ... اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين ... فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول ... من لم يحز منها فماله دخول
ثمت جزنا الباب والاوراق ... تمد حتى دخل الرفاق

فظلت اسأل عن القنصو الذى
فهو يسمى عند كل بسعيد
قد كان رقا للذى كان هناك
فخلف السيد فى المقام
جئنا اليه غرباء معلمين
فقام مسرعا يفتش كما
وذاك ما يدل ان كان له
كنا «يح» (١) اصاحبا اخوانا
ولم نرد تفرقا فوجدا
خمس ليال قد عزمنا المكثا
ويجب الربع لكل ليلة
ثم هناك ما يكون اغلى
وقيل ليس موضع فيه الغلا
وذاك كله من اجل الثروة
ديارهم جميعها قصور
كذلك الاسواق جمعا بنيت
فيدهش المبصر مما ابصرا
تقول زهرة الدنا باسرها
ازقة قد فرشت بالعود
كأنما فرشت احسن القصور
اما نظافة الظواهر فلا
لو رزقوا نظافة البواطن
لكنما الدنيا لهم جنات
ولاغترارهم بها اجتبوها
فاقبلت عليهم اقبالا
لكن من دخل هاتيك القصور
فليس يرتاح الى العشاء
فعربات الخيل والبغال
ولست تسمع كلام صاحبك
وكل بنت من بنات الكفر
وكل من يريد الانتقالا
كذاك من يريد نقل الامتعة
وكل زبل بالمدينة وما

ياخذ امر الناس خير مأخذ
خليفة السلطان مولانا السعيد
قبل فاعتق فزحزح الشباك
فكان من افاضل الاسلام
بما اردناه من النزل الامين
يفعله لسيد من خدما
مع ربه اخلاص ما عمله
ونبتغي جميعنا مكانا
نزل بـ «يه» (٢) من ريال عددا
هناك فى جبلهم واللبثا
وذا غلاء ما سمعنا مثله
من ذا الذى كنا ذكرنا قبلا
نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
وما لهم من جاههم والقوة
كجنة لو كان فيها الحور
مثل عروس يوم عرس جليت
مما يغر كل من قد غررا
واتتهم بسرها وجهرها
والكنس من طبعهم المعهود
للوافدين يوم انس وحبور
تسل فشانها لديهم قد علا
بالدين كانوا خير كل ساكن
لهم بها النعم والمنيات
ثم حبوا في الحزم ما حبوها
ولم يروا من وصلها مطالا
وكان من فراشها له المرور
لما يصمه من الضوضاء
ترتج في الانهر والليالى
من كثرة الهز الذى بجانبك
تركب فوق عربات تجرى
ينقله ذو العربات حالا
فانها تنقله وما معه
بيده يرى بها نقلهما

١) ١٨ ٢) ١٥

فهكذا كفوا مئونة العمل مذ قربت اليهم كل الامل
لذا تراهم والرؤوس في السما كان كلا منهم ابن ما السما
حقا لهم مقامة فخيم لو كانت الدنيا لهم تدوم
لكنهم وما اشد جهلهم قد اهلكوا انفسهم واهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق والرشد والخلق معا والصدق
لكنها الاديان بالهداية من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمكن له المرور بتونس فتتبع ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها مدينة جارية على البحر

فجملة القول لمن سيدرى ان هذه مدينة في البحر
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو فيعلم العلام ان ليس الغلو
فكل ماتسمعه عن السفن فلاتكذب ما وعت منه الاذن
فليس راء مثل من قد سمعا ولا الذى يجهل مثل من وعى

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع انني راقبت انا بنفسي الهلال ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن من قلة اعتنائهم بالسنن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد روقب صحوا يوم سبت واحد
وما جرى للتونسيين سوى ان تبعوا الحساب دوما باستوا
صاموا بيوم جمعة في الابتدا فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنما القارىء يراها وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجاجة بربعين ترخص وليس في اسواقهم مرتخص
وعندهم صنف من المعزيباع بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟ فانها اشرية لاتستطاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابناء اليوم اواخر ١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه ؛ بل في قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والمعز بنحو خمس وعشرين ريالة فرنسية بله النعاج التى بلغت خمسين فى بعض النواحى فعش رجبا تر عجبا

ثم وصف بياتهم فيها فقال

بتنا بها باقبح البيات ... فى قبر عود كذوى الممات
لاننا لم نرد الغلاء ... فهل نمد (ربعا) كراء ؟
وذلك القبر على ضيق به ... امتد كلنا به لجنبه
وذاك كل ما يحب المعيى ... ان الفضول خلق اهل الغى
واننى فى البدو قد الفت ... صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول فى وصف ضبط المالطيين :

فلهم الحزم على الدوام ... فى كل ما يفعل للتمام
قد نظموا الامور بالتوقيت ... فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن ... بقدر فعله وما ان يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر ... او مات جيفة كجيفة الحمر
مع عسكر مشمر مصفف ... ملفف مزوق مخفف
كأنه فى لبسه الدبى (٢) وقد ... يظهر كثرا وهو قل فى العدد
يقف او يمشى على المزامر ... فصوتها الناهى لهم والآمر
ولهم خان فخيم فاخر ... حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتهم تقاد بالخيول ... وانها فى جريها مثل السيول
فتلك مالطة وذى اخبارها ... قد استنارت فى الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال

ثمت لم نبت بها اكثر من ... ليل طويل ضيق الجحر خشن
كانه موج علينا سدله ... ارخى ليمطر علينا ويله
وفى النهار سار فلك قهقرى ... بنا الى تونس انس من يرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول فى الراكبين وفى اهل المركب

ترى الجميع فى الصباح قائمين ... بالغسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فرض الصبح ... اداؤه سبب كل نجح
وتلك عادة لهم مستحسنة ... حسنة بالطبع اى حسنة

---

١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره
٢) الدبى بفتح الدال ولد الجراد

كنا مع اليهود والنصارى ... مجتمعين ثم لاضرارا
كل له دين وعادة فلا ... عاذل كيف كنت يبدى العذلا
لكن خير عادة للمسلم ... فى ملبس ومشرب ومطعم
اقبح بعادة النصارى ايا ... كانوا على الاطلاق ليس شيا
ليس لهم فى منظر ومسمع ... حال شريفة وحسن مطلع
صورتهم فى حالة اللباس ... اقبح مايكون عند الناس
وحال اكلهم كاكل البقرة ... فى كثرة وسرعة مختصرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيا ... بينهم فذاك مما ارتضيا
فعزلة وخلطة سواء ... فالقصد ان يمتلى المعاء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم مابين يديه وصفا عجيبا نعجب نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفى الوقور قال :

وقد رايت واحدا فى المركب ... يلتهم الخص التهام اللهب
والحفل كلهم اليه شاخصون ... وهم بلحظهم لديه غائصون
وفى يديه الخص والخبز معا ... يقرض منهما بموسى قطعا
وورق الخص غليظ وطويل ... مقدار شبر فيه او هو الطويل
يقطعه والخبز قطعة كما ... يلقم فاه فنفذا ملما
فقلت ان المضغ واف بالمراد ... يحصل منه قبل زرد ما يراد
اذا به يبلعه باسره ... فى لحظة ثم انثنى لغيره
وهكذا كانما جن الرجل ... او خاف ان تنسد للطعم السبل
وهو بنفخ كاحتدام الضرم ... ان فتح الشدق لاخذ اللقم
هذا ومقلته ترمى بشرر ... متى اجيلت فى وجوه من حضر
كنت امامه فصرت اعجب ... من صنعه والوجه منه اعجب
فقمت فى الحين فامسكت القلم ... بعد صلاة وقراءة «الـــم»
اثبت للسامع هذى الطرفة ... يسمعها اذ لم يمتع طرفه
فربما حرمت الابصار ... وتمتع المسامع الاخبار

ثم كتب فى اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

وربما تجد من جابهم ... من مسلم بالزى قد شابههم(١)
ومن تشبه بغيره نسب ... له وفى الصحيح حقا قد كتب
«ان الطباع تسرق الطباعا» ... وذا مشاهد فلا نزاعا
ما الكلب ما القرد وان كل قبح ... اقبح من طبع جهول ما صلح

---

١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهيأة المحدثة اقول ياليت جدهم يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلاقت تونس من رحالتنا ماتلاقيه دائما من الرحالين كالعبدرى وامثاله الذين خلدوها بثناءعطر وجللوا اهلها وشيامذهبامن الذكر الجميل قال

عند الضحى بعد البيات ليلا ... في البحر بانت تونس كليلى
تلألأت في البر مثل الدرة ... في نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب ... وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح ... والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاضل ... سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال ... اوصافها التى لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم ... والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون فى فصل طويل ؛ وذكر سواريه وان في بعضها مايظهر كانه حروف لكلمات محمد وابى بكر وعمر وعلى ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابيحه الكثيرة ؛ فقد كان يتتبعها حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء وان من رءاهم فيها بلغوا الذروة فى الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجناب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس:

وربما يراجع المشكوكا ... اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب ... بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى ... بالفهم فىالمدروس كالزهر الندى
هذا ولاترى سوى تواضع ... من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على ... ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع فى ضمنه تسامح ... تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت فى صبيحة مدرسا ... برخصة قدمها من ءانسا
فى جامع الزيتون يوم اثنين ... فكان لى اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما ... وان انال خير من تعلما
والفضل بالاجماع عند العقلاء ... لاهل علم الدين لا للجهلا
فكان يدرس ابا الضياء ... درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون ... قدوتهم فى الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق ... حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم ... فكان فى تقريره فردا علم
اجدر به لذاك ان يكونا ... قطبا لمن سواءه مكينا
فكل وصف كان يوصف به ... فقد غدا ارفع من منصبه

وكل ما يمكن ان يزيره ... ذو قلم ان كنت معه تره
وبعد ما اتم درسه وقام ... جميع من معه دلفت للسلام
فبعد ان تمت توابع السلام ... جائت بنا في الدرس افراس الكلام
فقلت قد كان بصورة كذا ... تقريرها عكسا كما قد اخذا
فجلت معه وانا لا احتذى ... الا الذى اخذت خير ماخذ
فاذ راى الفجر بدا في السدف ... قابلني بطبع كل منصف
فمال لى مستجمع الاطراف ... اذ ادرك الصورة بالانصاف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه ... ينظر ان يعينه لسنه
وهو كبير السن قد يعتمد ... وخير عمدة لشيخ ولد
ووسمه محمد النفرى ... من اسرة حسبها سنى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

بى رحب الشيخ السنى ترحيبا ... وفتح التساؤل الرحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطى ... وعن تعلقى وعن مرتبطى
واننى ممن نحا الحجازا ... كيما ارى بالحج ممن فازا
فقام مع ولده المذكور ... يصحبه ببره المشكور
فقال لى ولده مكانكا ... فسترى الرجوع منى آنكا
ومد لى كتابه كى يونسا ... وهل ترى مثل الكتاب مونسا؟
فحين اوصل اباه رجعا ... ثم ذهبنا نحو دارهم معا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا ... ارى من النعيم صنفا صنفا
تطوعا منهم واكرام غريب ... هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من خزانات الكتب فى نواحيه ثمانيا وعشرين تستعار منها الكتب ؛ زيادة على دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض فى وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون أبى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ثم استطرد شيئا مما يتعلق بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى تلك المدينة مقاما منسوبا له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا المقام فحادث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ

فيدندن ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقى هنالك اناسا اثنى عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثنى عليه كثيرا ؛ قال :

كذا لقيت جبل المعارف ... ومركز العلوم واللطائف
شارب كاس الخمرة اللدنية ... فى حضرة شريفة صمدية
من عام فى مقام جمع الجمع ... وقام بالوتر حيال الشفع
له من الفهوم والرقائق ... رسوخ من كرع فى الحقائق
ولو رايت صفوه لشربه ... من بحر وادى عشقه وحبه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر ... فازت به تونس خير مصر
السيد المبجل الشيخ السعيد ... ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا ... وفى المعانى والمذاق اصغرا
ولاخيه ولد علي ... على منارة العلا على
لله دره لدى الافهام ... يعجب بالحدس او الالهام
يجلو بفكره صدى الاوهام ... فهو به فى الكر والاقدام
ولم يزل فى حالة ازدياد ... للرتب العليا وفى ارتياد
لكونه ملازم القراءة ... مرتديا متشح الجراءة
متسما بسمة الصلاح ... منتجع الفلاح والنجاح
همته نحو الذرى تعالت ... وكل همة تهم نالت
فكان اخذا للاسم الاعظم ... عنى مع الاب له المكرم
بوصفه المعلوم والمشهور ... ينتج فى الحين بلا شهور
سبب ذا ان اباه قد راى ... رؤيا فقصها على نبأ
قال رايتنى القن لديك ... ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا ... فى عالم الارواح فالقلب وعى
فقال لابد من الاشباح ... تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فيحصل السر على الكمال ... فى الحسن والمعنى على التوالى
فكنت معهم على المدام ... وفى المعانى خمرة الكرام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر ... فى روضة العشق براح الفكر
قد نضجت اثمارها للجانى ... وزهرها لقاطفيها دان
والكون كله لنا اشجار ... قد غردت من فوقها الاطيار
والدهر كله لنا اسحار ... والحب قد حلت له الازرار
ونحن بين الحور والولدان ... فى جنة الاذواق والمعانى
فلا تسل عما جنت اكفنا ... من امل محبب ومن منى
فتونس عادتها ان تونسا ... كل غريب عند اهلها رسا
حياهم الرحمان ثم بيا ... فكل من يصفهم سيعيى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ثم اتبع ذلك عبرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت الحماية بيد امرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجالا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس اخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما ما كان من تاوهات وزفرات على ماكان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاقبها ؛ ثم قال

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس
كريت بـ «الحاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم مسيرنا نجوب موج اليم

ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف يمشون في مرصوصة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ماحسن المحراب في المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ماشاهد في المدينة:

صرت اجول في الازقة وفي وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل

فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لدى التلاقى
قد كان في زاوية الرباني المدنى العالم الصمدانى

فمر في ذكر الشيخ المدنى ناشر الدرقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ مولاى العربى ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرد ذكر ولده الذى لايزال

---

١) ١٥ ٢) ٨

ذاك حيافي الاستانة ثم في عشي اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
وها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

هذا ولم نقطع عباب البحر حتى راينا كيف وقع الذعر
والقيء والميد على الركاب تسلطا بالسقم والاوصاب
سواى مع ناس قليلين حمى ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسى بهم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
بلاد مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر
خصبها ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب مشى برفق بنا بقنديل بذاك الفتق
لكونَ ذا المضيق مثل الوادى مسيج الاطراف بالاوتاد
لتدفع الرمل فلم يزالوا توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى فى البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
زلوا بجدةفوصف القبرالمنسوبغلطا الى حواءثمامتطىالمطيةالىمكةوالشوقيفعل
هم مايفعل ثمذكرنزولهم بحدة موضع الحديبية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان
م ذكر اغتسالهم بذى طوى ؛ فدخولهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد
فاض فى هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

وابرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية فى زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
ثل ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفى اثناء الاجتماع قال له احد
حاضرين ؛ اننى ارى ماارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح
ليهان ياخذ عنه وانيتخذه شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاولى منالرحلة ؛ ثم لماقف على نسخة
خرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله
ن الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او منرافقوه
اقول

ثم لما وقف الناسفى عرفة وقفتهم حصل شك فى صحتها ؛ فاعادها
لترجم مع ثلة ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة
اخرون بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى
حج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدى القبر الشريف فى المسجد

---

(١) خرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة معرحلتى ابنى الشيخ سيدىمحمد وسيدى
بلا فالجميع فى مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال وكنت ارى انذلك خير مايدعى بهفي ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف منجهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب في هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثمفىدارالقائد عدى بنكنافة فقاللهمانالم ننس اى واحد من اخواننا هناك في كل مالم ننس فيه انفسنا في الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثموصل البلد ـالغاـ فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محـور حياته

انحياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ ﻫ الى مختتم ١٣٢٨ ﻫ كانت كلها علىوتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان فى البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاهمن الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالـم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئـلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم مـن الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمـل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غيران يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيماسهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالغية انينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامةومن لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء ـكمايقولونـ

عمله في سياحاته

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها فى السياحات وكان من عادته التي اقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن همو المعدرى ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت فى قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذى عليه لكل الناس يحفزه الى عدم التريث فى مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح فى طائفة المريدين المتجردين من اصحابه يصلون غالبا مائة او أزيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله الله لااله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون فى المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصلى المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيسكتون سويعة يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم يتوجه الشيخ الى التحديث الذى يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلوا العشاء وتناولوا ماأتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعلى صوته بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك فى ايام الصيف وكثيرا مايمضى غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راى النساء اللائى الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرنهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما فى الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسأل كل واحد عن التوحيد • وعما يصلى به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما فى وقت خاص فى السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصلى الضحى عادة لا يحرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى مايقرؤه فى لوحة خاصة لان لكل واحد منهم مايقرؤه ، فكل امى دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

١) كان المعتاد فى الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان تقول ياعظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاولة اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدروس وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجاء ؛ كما انه لابد ان يقضي ماعليه من الصلاة ؛ امر لازم ولابد ان يؤدي النبعات جهده ثم يقيلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون في النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لايترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقي في اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة في سوس اكرام ضيوف المسجد ولكـن الناس سرعـان ماعرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر مـن ينتسبون اليه كمريدين ؛ وهي قبائل كثيرة في نواحي سوس انبثت فيها زوايا اصحابه التي وصل عددها عندي ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك في الوقت الذي كان ءاخرون يدورون مثله فـي القـرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذي يظهر هو دائماالشمم والزهد التامازاءه؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد في ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة في ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان في بعضها من الهالكين •

عمله في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولايهيلل المؤذن في السحر حتى يخرج فاذ ذاك يتوجه الى ركن في مصلى الزاوية يتنفل ويذكر مايذكر في السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ في محله ولايمكن ان يفارقه الافي الضحى ثم يصلي الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والاانعزل في مكان ؛ الا في اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم في محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر في اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه في المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا في شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل في مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضأ اصحابه صلى بهم ويقرأ الحزب ؛ ثـم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرءان او حديث او سيرة نبوية ، وبعدصلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فا ن لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دارالفقيه سيدي على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولايشتغل هناك معهم الا في المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الغ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول انني ما استفدت الا في المجالس التي كان خالي الشيخ يحضرها بعد العشاء في دار الفقيه ؛ لانه يملأها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون اناوهو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى ورده القرءاني ؛ وهو على مااشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولاسفرا ؛ ثم يغمض اغماضة ثم يتوضأ فى السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله فى زاويته غالبا •

نتف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان تدرج بين اقرانه فى عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم فى العبودية الخالصة وقد ذاعت اخباره بذلك فى الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه ءاخر رجال الجد فى الطريقة ؛ فقد بلغهم مافيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لايمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانما خلقوا لهمته العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سيمان ؛ لايضجرون ولايكلون ولايسأمون ومن ءاهم بين يديه راى شبابا فولاذيا مخلصا نسى نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمته كيف يشاء وهم مطاوعون طاعةعمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ وكثيرا ماتكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقدكان سيدىسعيد انتنانى وسيدى الحسين بن مبارك المجاطى وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخفى الهمة واستثارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ تيركها هياملا بالله وجؤارا بذكرالله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمنمسلمبانذلك فضلاللهيوتيهمنيشاء ومن قائلماقالالثعلب:

رام عنقودا فلما ان راى العنقود طاله
قال هذا حامض لما راى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المنابهى فاتبعه بخنشةريال مخزنية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسها فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج منداره مع اصحابه يوما • ولكن الشيخ العمرى حتى فى النباهة حين لاينخدع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله انا نريد اصحاب الهدايا لنهديهم الى الله ؛ لاهداياهم والشيخ الذى ينفق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكثرته على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفة الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة فىاحدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا يأتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقى الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاحة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفى داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكنافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحى التىيطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحابالطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لم‌ار مثل الشيخ فانه قال لىلماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فىلذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحريرة فى وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اونوما اضطجع في اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان ءاية الايات فى فطام نفسه عن الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه من الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالةواحدة دائما لانه قد يواكل مجالسيه كأنه أحدهم ايناسا لهم كما هى السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما ءاخذ به نفسه ءاخذ به كذلك اصحابه المتجردين فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحمل القصاع وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتى من لايتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه وديدنه مع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مايريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتأثرون بذلك وكثيراما يقول لهم الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناهمن شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبنى ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سياتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء أن يحرثوا ماسيحرث فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن فى ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عنايةزائدةنشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كماانه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدى الحاج مسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين التيمولائى الافرانى وسيدى بريك بـن عمر المجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبدالله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم عـلى عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الـله خرباش وسيدى مبارك الميلكى وسيدى عبد الله الركراكى وسيدى محمد بـن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات مايرونـه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ماهم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهم ان ماهم فيه هو عين مايطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبدالله بن محمد يقول : اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له؛ كثيرا مايهمون ان يطلقوا ماهم فيه فيامرهم أن يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من الوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ماكتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كماقال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبولية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم ـ يعنى الصوفية ـ انهم يبقون من اتباعهم من كانـوا ينفعون العباد من علماء الدين على ماهم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولايرفعونهم من ذلك المقام؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة اوكما قال ؛ الى ءاخر ما فى كلامه •

هذه قبصة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ في انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولاريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها؛ لاامت فيها ولاعوج ؛ ولايجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لايعرف منهاالا اذكار انفراد يذكرها من تلقنها ، ثم لااغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ماعرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماءالذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقراء أميين ءابوا فيعلمونالدين الصحيحفيالاسواق وفي المواسم وفيالمجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلااستثناء ناصرية ؛ يـاتـي اولاد الشيخ الناصري فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذاتالبين وفي فتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، حتى ألف الناس هذه الطريقة ونشأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فتلقتوا منه الطريقة التيجانية كسيدي الحسن بن الطيفور الساموكني نزيل تزنيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدي عبد الله بن محمد بن احـمـد الادوزي نزيل العوينةالمتوفى نحوعام ١٢٨٢هوسيديسعيدالدراركي نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدي احمد بن محمد من ءال حساين الططائـي المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدي الحاج الحسين الافراني نزيل تزنيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدي الزبير البعمراني المتوفى نحو عام ١٣٥٠هالاخذعنالسائحالرباطي وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدات الطريقةالتيجانية بسوس ولكنها فيمبتدأ أمرها لمتنتشرالا عندافراد قليلين جدا ، وقدكاناهلها الاولون يعتزون بها ولايعرضونها عرضا ، كماكلن الدرقلويون يفعلون

وفي الوقت الذي دبت فيه التيجانيـة الى سوس دبـت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشي يد في نشر الاولى ؛ كان لشيخ ءاخـر مراكشي يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدي احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاي العربـي ، ورد عليه مـن سوس اولا الحـاج مبارك الهـواري الكلوشي ؛ وبوتكلاي الذي اسمه الحقيقي هو الحاج محمد البلفاعي ؛ ثماصطحب بعد حين سيدي سعيد بن همو المعدري الثاني منهما الى ان كان السوسـيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدي الحاج مبارك العالم الجليل الذي له مؤلفات راينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدي عبد القادر البعاريري ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري الامي طفحت ساحته بكثيرين ؛ فيهم علماء خناذيذ كالعلامة سيديمحمد بن ابراهيم التامانرتي والد شيخ العصر سيدي الطاهر بن محمد الشهير ؛ وكالعلامة الاديب سيدي الحبيب البـو سليمانـي الجراري ؛ وجنيد زمنه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي والعلامـة المدرس سيدي محمد بن المحفوظ الادوزي وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كـلهـم تتلمذوا لهذاالشيخ الامي وبالشيخ الامي سيديسعيد بنهمو هذاظهرتالطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التي لم تولف في الناصرية ؛ كملازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة فى الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيللة على نغمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار فى الطرقات وفى الاسواق •

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ؛ وما كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره فى كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوعها ؛ فكان الشيخ يسيح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله فى ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر بمصر ؛ ان ياتى من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التى تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك فى الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه الفتاوى التى اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى لما حج علم ١٢٩٣هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولاننس ماكان قاله سيدى على الجمل لمولاى العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لااله الا الله والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له «ان هذه الاذكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن ءال ابى المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر فى الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما فى القلوب لاما فى القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لاتقدم ولاتؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبى فى الفرس

وما الخيل الا كالصديق قليلة — وان كثرت فى عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها — واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لأمينه لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله فى تلك الاحوال التى ينكرها الفقهاء السوسيون ؛ اجلس فى جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التملي الايرازانى وبتأثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاى المهدى الدرقاوى بمراكش من اصحاب سيدى محمد العربى المضغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين فى ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال ءاخرون تحت رايات الاحـزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراها الناس بمثل النظرة التـى يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالغى المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعـلامها تخفق فى كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذى يكتسى لوناخاصا مع كل هذه الفرق التى يتكون منها الشعب ؛ فتح لهميادين متعددة فى نفع العباد فمتى جلس الـى مطلق العامة فانه لايحدثهم الا فى التوحيد والحلال والحرام والتوبـة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك فى مجامعهم الىذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون ءاخر يستمده من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمي ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام فى حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظهم وعظا يكسر شرة ماهم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتأن وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتـى يدركوا ان ماهم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم فى كل مايرقيهم فى مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم فى ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع لهصيت يدوى فى كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرد فى عصره بما لـم يتيسر لغيره فنشأ ازاء أتباعه الذين تزخر بهم الطـرق الى زاويته الالغيـة وازاء الـذيـن يكبرون شانه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالابد ان ينشأ من اقوال تصدر حينا من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبيعى ما دام البشر لايخلو من ان ينفس بعضه على بعض، ومن حسدة يتقولون ويصطادون مايدعمون به كل مايقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين فـى غلوائهم ؛ ولاسيما ان تلقفوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل مايعن لهم فتراهـم يقولون مايقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عنـــد بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون ماعسى ان يجده المطالع فى كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالغى الذى كان يسمع كل ذلك وتصله جلبتـه وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالى ؛ ولاعرف منه انه دافع قط ولااجـاب

ولاناظر ولااستثار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياتـه ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم

لنا عند ربع العامرية مقصد　　　اليها قصدنا لا لدعد ولاليلى

فلم يزل شانه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالابد ان يكون من شفوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقته ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهماء الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فانهذهالمواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقومبه هو الباقى الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فأما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض)

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسينالافرانى رحمه اللهفى الشيخ الالغى شيء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فثار فى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا ءاخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام ءاخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى «ماكنت ارى من سيدى على بن احمد الا انه سيكون ذا شأن فها هو ذا ابتدأ فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلكسنة ١٣٠٦ ه والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقدكان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كانوهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ ه لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوالى عام ١٣٠٦ ه فقيل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك اثر مازاره الشيخ فى تزنيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فىبساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن بيهى التملى المتوكى «اشهدوا يامن حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم ياخلفاءه وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه مادى الحق الواجب على العلماء في عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك في مشور دار القائد عبدالملك في بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين في دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم الشيخ بمواعظه الموثرة حتى تأثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاى العربى الدرقاوى بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ ه فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التي تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التي كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى في سوس ؛ وهو اخر الشيوخ الكمل في هذا الشان قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعينى مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم في وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنى غيرهم اوراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ ه

وقال ابو الاسعاد الفاسي في الشيخ : «انه اخر اصحاب الجد في هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح «ماوضعت يدى في يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيدشتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ماتعول عليه وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطغرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالغى عام ١٣٠٨ه : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لايتصف بها الا العارفون

الافذاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك الجهة»

وقال الشيخ سيدى محمد النظيفى «هكذا يكون الفحول لايخافون من احد ؛ فانني اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تغيض عيني ببحلرهم واما العفريت سيدى الحاج علي فانه لايهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقاني فهربت منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله فى هذا العصر؟»

تلك اثارة مما امكن لي جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب انني كلما جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه مارءاه من الشيخ اسمع منه عجائب وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لايلتفت الى غيره الا بمقدار المامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبي انا قبل ان يطول به عجب من سيقرأ هذا بعد الغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه في اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لايصل الى حد الغلو الا فى قليلين جدا ولاجلالهم لمقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعاوى قل فيهم البارزون بعده الى المشيخة حتى ان من برز منهم لايرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايته وخبرته وكنت به من المومنين وما راءكمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلمي ان الله يراقبني ويكتب عني ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدى علي بن الحبيب التيجاني الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدى محمد ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم بما بين الطرق فى ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا ظاهرا فى جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربى الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشهاد بان الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راى غالب من اخذوا عنه خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط فى يده يوم يرى نفسه مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته ـوانا ابن بنت سيدى محمد بن العربى اكتب هذاـ ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك القصيدة التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل ءاخر

وهاك ماقاله الاديب علي بن الحبيب السكراتي

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لايحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان في اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسي في حال ويصبح في حال ءاخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات وياخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذ وقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتي مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي يتحادثان في ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيبه وقالا له : «ياشيخ هذا الذي انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتي سبق المترجم الى هذه الطريقة ولابد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدي محمد بن العربي الادوزي) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتقرع له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية أعلى الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعدري وسيدي سعيد التناني ؛ فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لي يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدي قال لي اعندك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لي هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجلماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدي موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره في زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمت على الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا ببحيرة قرب داري ؛ فقال لي اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لي : «لاترحل من بلدك وقال لي كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قال رحمه الله فطابت نفسي من يومئذ بالسكنى في بلدي فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنياعلى الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكـان لايستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره فى الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق درعة وحوز مراكش وحاحة واداوتانان ؛ حدثنى بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لايكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاى عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقيه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم فى الفاضل قول الحسدة ؛ وهوفى الحقيقة كمال للمحسود

واذا اتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

فقد كتب له العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى بعد مصاهرته لهفى شانها قوله :

بعثت اليك بعض كلى فان راعيـــــته كنت كلى راعيا ياأخى حكما الخ

(ثمذكر القصيدة وجوابها الذى مطلعه (جزاك اله العرش خير جزائه) (ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يفبعهد الشيخ قال فيه ثانيا : (لاتصاهر فى سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التى قالها ابنالعربى لماودع بنته ومطلعها (فراق بنتى صعب الخ)

(ثمقال) اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدى محمد بن العربى الادوزى واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدى سعيد المعدرى وبيتهمبيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدى عبد الله بن صالح ـ بل هو عبد الله بنسعيد فيغاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المولف حكاية استطرادية ثمانشد بعدها:

وما مات من ابقى ثناء مُخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله؛ حكى ابن الجوزى فى بعض مجالسه قال «والله مااجتمع لاحد امله الاوسعى فى تفريقه اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلطفى طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الىولده الكبير سيدى محمد بالخلافة بعده واوصاه؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهى شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم اللـه اكبرهم سنا سيدى محمد وباقى الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشأوا فى حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ابيهم منالتيقظ والتشمير عن ساق الجد فى الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالى فى الذين يخالفون ءاباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم»

انتهى ماكتبه المؤرخ الذى حاول ان يخالف القول الاتى للمؤرخالاكرارى فى بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقى الابيات المتقدمة توجد فى ترجمة الوالدة (رقية) فى القسم الثانى ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المربين ومحراب المتجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قامع الشهوات والمجلي عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابــو الحسن سيدى الحاج على الدرقاوى طريقة العبلاوى نسبة ؛ التحت الجبلي دارا ومنشأ ـيعنى التحت الحصنى ـ قرأ العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقيرسيدى سعيد المعدرى وعلى منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره في الجد والاجتهاد وجال بطوائفه في البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويفطم بعضهم بالدرة ؛ يسوس كلا بالائق به ويكون لداء قلبه متنبه ـكذا ـ فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده مشيعوه ؛ اخذ في نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتـلات احواضه بالاناس واطمانت محافله بالايناس قلب لهم ظهر المجن ومد شباك الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرأ (القها ياموسى فألقاها فاذا هى حـيــة تسعى قال خذها ولاتخف) فاتته الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فحباه ولم يقل مكنــوزى وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكــر الابيات التي اولها «بعثت اليك بعض كلي الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الاانه ليس التكحل كالكحال ـ هكذا الكلمـة بخطه قائلا ان الالف للسجع ـ (ثم ذكر الابيات التى اولها :«جزاك اله الخلق خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ماانتقده فى الابيات) ثم قال «هذاشعر الفـقـراء فليته قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ ـيعنى ابن العربى ـ متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا ـ (ثم ذكــرابياتا اولها: فراق بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهرة وعصى للشيخ أمره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة وزاد فى القحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لوامكن الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها لاتصاهر بسوس درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا مــن الله المنان ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ويقيل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحــواه الجنان ؛ ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال وهام وعزر واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك فى ٤ـ١٠ـطلـوع الشمس يــوم

السبت عام ١٣٢٨ﻫ فقال سيدى الحاج ابراهيم ايريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى عنه ءامين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ ﻫ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فى مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ريحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى) على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح فى الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى

مالى سواك وسيلة لله ثـــ ـــم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلى نحر عاطل ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذلى زمانه فرد الاوان وسيد الاقران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا فى العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت ءاثاره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى والعلم ليس الخبر مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا طر حاضريه فئاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح لمداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو ر على مشيئته ربه المنان

يانجل احمد ياعلى علت بكم ... رتب سمت قدرا على كيوان
انت الهمام الشهم ياذا الهمة الـــ ... ــقعساء ياغوث الكسير العانـــى
انت الجواد متى يعد الجود مـــا ... كعب وما هـــرم ومــا البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجانوالـ ... ــدر النضيد فذا نفيس فان
فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـــ ... ـــه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمـة ... صمدية مـن سرك الصمدانـى
وغسلت من ادرانها وحبوتها ... علـقـا نفيسا غـالـى الاثمان
فسقيتها من خمرة نبويـــة ... ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يبارى البدر فى مجلاه او ... يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانـتفاع الناس بالا ... مداد فـى الاسرار والاعــلان
احييت رسم الدين بعد دروسه ... وخبو نور الحق بالـطـغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى ... خفضوه بالدعـوى مـدى ازمـان
وبسرك انصلحت عصائب صقعناال ... ــــسوسى من قاصيهم والدانـى
وبك المعارف والحقائق تجتـلى ... صرفا على رغم الحسود الشانـى
قلدت اعناق الرجـال اولى النهى ... منهـا عقـود الـدر والعقـيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا ... بـجـلالـة التخصيص للاعـيـان
هذا الامام العارف الفاسى ابو ... زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من ... اهل الولاية واضح الـبرهان
بصميم ما منحوا من السر الـذى ... خص الاله به ذوى العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكـم ... العارف الاسنى ابـى عثمان
قد قال انك فى مقام الشيخ غــو ... ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
هذا الى ما جاء عـن اهـل البصا ... ئر غـيـره فيما لكـم مـن شان
يامن عليه الباب مسدود انخ ... واحطط رحالك فى هنا وامان
خيم بباب الفضل والكرم الـذى ... من حل فيه ثوى اعز مكان
فـى حضرة قدسيـة نبـويـة ... هـذا عـلى بابها الرحمانـى
فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الا ... ـــعادى واشمتك انقلاب زمـان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجـو ... د وملكـتـه سـائـر الاكـوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا ... ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذى ما امـه ذوعسرة ... الا وبـاء يـحـفـه اليسران
هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ ... ـــن لنـور طلعته كما السلطان
فاذا افاد الـعـلم فهو الشاذلى ... او فاض بالاحوال فالجيلانى
اخاذ افئدة الـرجـال بهمـة ... من هم فيه غـدا مقود عنـان
يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ ... ـمحبوب مغنى الـروح والريحان
شرفا وفخرا باذخا للغرب مـــن ... شمس المعارف والهدى الربانى
بزغت به فى «الغ» ما ادراك مـــا ... (الغ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتــك الالى ... ورثوا اثير المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الــ ... ــطيار جعفر اكرم الفتيان (١)
وبى بحرمته انلنــى المبتغى ... من فيض جود الواهــب المنان

وبمناسبة ماذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة مـا تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبتهنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلـق بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة ؛ انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامــة سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الاانه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غيرنائم فكشف الثوب عنوجه المريض بيده وتفل علىيده ومسح بها موضع القرحــة فعل ذلكمرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراتــه وقــال لها ان الشيخ رضىالله عنهخرج من عندى فانظروا اين هو وانزلوه فى محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولارءاه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا رءاهاحدمن الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخبعيدة من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسملميكن ... ليثقل مــن كثافــة البشريــة
اذا ازدوجا وزالت الحجب التــى ... تعوق مــن تنافــر الثانويــة
افاضت عليه الروح ماكان مــودعا ... بها فارتدى بالخلعة الملــكيــة
بامدادها يسير فــى الجــو ماشيا ... على الماء والدنيا لــديــه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : مامن فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته (او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيــها من جملة كلام لهمانصه وقد اشتقنا للملاقاة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المرضع ولكن الحمد لله قدبلغنا مرتبه فى ملاقاة الارواح ، تغنى عن مــلاقـاة الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن احد انيربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه • وكيف يكون ذلك عندمنيجد

---

١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد مايتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مريديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام يقظة ؛ وذكر الشيء بترك سواه هو الذي يفني» انتهى الغرض منها

واخبرني بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه ولاتهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذي وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرني بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛ لقى فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءني الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدي وقال مالكم وللدخول فيما لايناسبكم او مايقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية؛ قدحضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقدفرق المتجردين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمه على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفتنة ؛ ففقال لهم ما حاصله لايخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لاينبغي ان يظن توحده عن شيخه لانه معه بسره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرني الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقني مرض لزمت منه الفراش ولحقتني منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذي انا فيه وبيده المخلاة التي ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعني من ضجعتي ؛ واسندني الى الحائط وجعل بيني وبين الجدار تلك المخلاة وهي مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذي منه خرج ؛ وجاءني بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرني بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شانه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كانه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقى كذلك الى مضى سبعة ايام وهوبحالالمرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفى اليوم السابع بقرب الزوال أخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى اللهعنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر فى جوانب البيت الذىهو فيه كأنه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل لـه الشفاء فى الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة

انتهى مانقلته (مع بعضاختصار) منخط الاستاذ،سقته كتتمة لماهوفىالقصيدة النونية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه ونتنكبنحن الاكثار منه . لان ذلك ينافى بعضه سنن الكون التى لايومن الابها عندغالب أهل هذا العصر وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلكالسنن

ومن امداح ابن مسعود فى الشيخ قوله :

باكر بها لمرابع الزهراء تلق المنى بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها الفسيح الطرفواه ـرح ناعما بتواصل السراء
اتخالنى كلفا بغزلان النقى او وصل كل خريدة غيداء
حسبى هوى فئة تظن وجوههم زهر النجوم تضيء فى الظلماء
نور السرائر فى الاسرة لائح متبلجا فيهم لفرط صفاء
جلى مرايا القوم صيقل حكمة وهداية من عارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابى الـ ـحسن بن احمد فارس الهيجاء
ياكعبة ياوى لساحة برهـا اهل القلوب وجلة العظماء
ياروضة من جنة بل حضرة تنسى نعيم الخلد بالالاء
يانجعة المرتاد يانور البلا د وملجأ الملهوف فى الحوباء
طال التقاعد والتكاسل بالفتى فسعى لبابك سيد الكرماء
قصدى من الكرم العريض اغاثة بتخلص من كربة اللاواء
برحيل هذا القلب عن كدر العوا ئد والحظوظ وغفلة القرناء
وتعلق بالله فى الاحوال والـ ـجمع المزيل لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتمى فى دهره من فادح الاسواء
انت المعز لمن هواه هوى بـه لهضيمة الارجاس والارجاء
انت الطبيب لكل من جنحت بـه نفس تبوء به الى الرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى بها قلب الحضيض لهمة قعساء
انت المنفس كربة المكروب يلـ ـهب قلبه بشماتة الاعداء
انت المسود والمتوج تاج اهـ ـل الله باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله مـا تهواه ينـفـذ دون ما ابطاء
انا غرس نعمة سادتي فليدركـوا بالسقي حفظ صنيعة وذمـاء
حاشاكـم ياسادتـــي ونـداكم يزرى بفيض البحر والانـواء
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـــ ـمضطر من منن لكم بيضاء
والجاه اعظم والعوارف جمـة والعبد عبدك رافع الحـوجاء
لولاكم ما كان يـطـمع فـي الندا عـود تمـوه فـواضل الآلاء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ما الحق العرجاء بالوجـنـاء
حييت بنورك شرعة التوحيد وانـ ـتسخ الظلام بغـرة وضياء
واقمت سوق العشق بعد كسادها فغدا بتاجـرها ربـاح زكـاء
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ ـاحسان والعرفان ريح كباء
ويح الجهول اما كفاه تبحر الـ ـأمي يصحبكم كما الحكماء
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
هاذى عجالة راكض ناداه دا عي الحب للتغريـد والانشاء
واليكها شيخ المشايخ ترتدى حلل الحياء تميس كالحسناء
بنت السبيل على كلال قريحة مقروحة تبغي جـزيـل حباء
فان ازدهت مماحوت من نشر طيـ ـب سنائها بصفاتك العلياء
فمن اطباء جمال بركـم فـلا عجبا ولا تكليف بعد فنـاء
لازال جودك وابلا ينهل للـ ـعافين بالالطاف والنـعـماء

وحين اطلع عـلى القصيدة شيـخـنا الاديب سيدى مـحـمد بن الطاهـر الافراني قال في تقريظها

لاحت فاعشت اعيـن البصراء شمس الذكا باشعـة وسناء
اخفت نجوم قرائح لما بدت والزهر يمحق نورها بذكـاء
وسرت روائحها معطرة فمـا نفح الزهور مـطـيرة وكبـاء
وهمت بودق بلاغة وفصاحـة ازرى بما يهـمـى مـن الانـداء
وتبلجت بلوائح الاسرار مثـــ ـــل تبلج الانوار في الظلماء
وزهت بطلعتها على خود ثنت اعطافها بالعـجـب والخيلاء
سرت قلوب العارفيـن لانهـا حاكت مديـح معطر الانبـاء
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الـ ـحسن ابن احمد قـدوة العلماء
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله اغنى عـن الانشاد والانشاء
العارف الجم المحاسن من له صيت سرى بشواسع الارجاء
وابانها الشيخ الذى دانت له شمس المكارم دون طول عناء
الناقب الذهن الرفيع المجد والـ ـعالي عـن النسرين والجوزاء
ذاك ابن مسعود الامام محمد من معدر قد حـل بدر سماء
ورث المكارم عن جدود كلهم غرر الدهور وكاشفوا الحوبـاء
بشراك انك نلت ماتبغيه من فيض ومن سر ومـن نعماء

وحبيت بالانوار والاسرار والــــ ـــاجلال والاعـظـام والالآء
ايه ابا عبد الاله فقد منحــــ ـــت عوارفا من حضرة غراء
لما نزلت بها ازدهت وترحبت بـك ياحليف سيادة وعـلاء
فاهنأ بما أوليت من مولاك من فضل عظيم جل عن احصاء

وله فيه ايضا :

قفا بالمطي في اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
وأما بها صوب الحبيب مرابعـا سقتها غوادي المزن من سح هتان
بها نشر النسيم من كل نفحة يغار لها نضير زهر وريحان
منازل من اهوى منازل للصفا نسيت بها فردوس حور وولـدان
اذا ماصبا نجد سرت نسماتها تملى بها لبي وروحي وجثماني
وان غرد القمري في غصن ايكة اثار بلابلي بـتـغريد الحان
اكاتم شان الوجد ثم يبثـه من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
وتروى احاديث الهوى ورعيله فتهتاج لوعتي بجيران غسان
واني لاستحلي اذكارهم ومـا ازيد بـه الاصبابـة هيـمان
ولو ان ما الاضلاع مني تكنه برضوى لذاب من حرارة اشجان
وما شاقني وصل الغواني ولاهمت دموع محاجري لفـرقة خـلان
تجمعت الاهواء في حب من غدت محاسنه في العصر زينة اكوان
وذاك امام الدين من شهدت له معالي الهوى ان ماله فيه من ثان
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد ت فضائله كالشمس في سطع برهان
ابان دقائق الحقائق فاهتدت اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
وجلى بما حلى به كل مسمع من الدر ما انسى جواهر تيجان
افاد وهذب القلوب فاصبحت كزهر النجوم زانها حسن ايقان
مجالسه رياض جنـة ازلفت تدار بها مدام حب وعرفان
وينقع من انهارها كـل غلة بها سلسبيل لاحميم ولا ءان
وفيها شفاء كل قلـب مكدر ضليل عن الخيرات في الارض حيران
نتيجة خلوة مع الله جليت طرائفها لكل غرثان صديـان
فما شئت من معنى لطيف وحكمة منضدة تزهو على عقد مرجان
ومن مدد يسرى بنور محبة كما سرت الصهباء في عقل نشوان
ويرقى به من سفل فرق مشتت لاوج فناء الجمع منزل احسان
ومن كلمات يفلق الصم وعظها ينيب بها لله كم من فتى جان
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ ـــزهادة موسوما ببهجة ايمان
على قدم التجريد للحق سالكا بعزم وصدق في تبتل رهبان
وعلم وايثار بمـال ومـهـجة وحزم وجد عن بصيرة يقظان
على سنن العلم القويم لحجة بها سلك الهداة من كل رباني

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم فزرهم تر التوحيد فى شخص انسان
هم الانجم الزهر السواطع للعلا اما فى انبلاج الصبح احسن عنوان؟
هم القادة الاخيار شم جحاجح هم السادة الابرار من غير اعيان
لهم فى السهول والنجود مواطن عطرن بذكر الله من بعد انتان
هم القوم لايشقى جليسهم ومن فيوضهم يحظى بما فوق حسبان
هنـاك الهلال مـوذن بتمامه وللشبل شبه من غضنفر خفان
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ ــاماجد يافرد الندى طود اقران
خلفت الامام الشاذلى بهديـه كما خلف الصديق مفخر عدنان
واحييت من رسم الطريقة ما عفـا وشيدتها صرحا باوثق اركان
وشرفت من تلك البقاع معاقلا غدت كعبة للفضل من بين اوطان
طلعـت بها سعد السعود وزهره وهل شرف الاوطان الا بقطان ؟
ليهنأ بلاد الغرب انك ناشىء بها فلها فخار فضل ورجحان
تطفلت بالقريض ابغى امتداحكـم وهل برمال عالج طوق حسبان
ولو مدلى فى الباع سيرت نحوكم على نفس النسيم امداح حسان
ولكنها الاقدار تعـدل بالفتى عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
«اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والغرض الدانى»
بقيت لاهل الدين روحا تمدهم بنور من السر المويد صمدانى
وازكى سلام طيب النشر فائــــح عليك به ينهل وابل رضوان

وله فيه ايضا

ياسيدا مـن نـوره الوضاح بسمت مطلعـه مـن الافراح
زانت بك الايام غرة اهـتدت بجبينهـا الاعـــلام كالاصبـاح
الف التحايا من الهك يغتدى ويروح تحمـلـه صبا الارواح
تسقى نديم الروح فى نادى الندى صرفا بلا مزج رحيق الراح
تزداد منه مـعـارفا ولطائفـا ومـواهبا مـن ربـك الفتاح
ماذا يعد الشعر من شرف ومن مجد خصصت به من المداح
هبنى بسطت القول اوصغت النـ ـــجوم قلائدا لنـفـائس الامداح
من لى بعشر العشر من اوصافك الـ ـــغر التى استغنت عن الايضاح
فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به فيما يـروم بضاعـة الافصاح
ضاقت به سبل الكلام وضاق وقـ ـت الكتب من عجل عن استفتاح
لازلت شمس الدين صيب رحـمة تحيى بـه الارواح كالاشباح

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب ابى الحسن الالغى ياسلوة القلب
سلام عليكم من محبين ان نات بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

وينهون انهم لـفـرط تشوق اليكم كما الظمأن للبارد العذب
فمنوا تفضلا علـيهم بـزورة تزيد بها صبابة الهائم الصب
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم تزاح غشاوة الخطوب عـن اللب

وله فيه ايضا

ليهنكم يا ءال الغ مفاخـــر فخرتم بها من بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسابنوركم تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى اله حباكم فى العلا قصب السبق

وله فيه ايضا

نسمات الرضا وروح سـلام تهتدى دائـمـا لمفخر الـغ
شيخنا الاوحد الهمام امام الـــ ــعصر قماع كل غى وزيغ
شاذلى الزمان روح الـكـمالا ت ومحيى الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب وركن فى النوائب اى ركن
هناك احـبـة يسلو فـؤادى بذكرهم فـيـجلى الكرب عنـى
وهم روحى وريحانـى وانسى وجنة بهجتى وجـلاء حزنـى
فلا برحت مرابـعهـم رياضا بساحتها ثمار الوصل نجنى

وله فيه ايضا

تلك شمس القلوب بانت فتاهو ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
عللانى فالاسم عين المسمى بحديث من طـاح عـنـه سواه
وتلاشى بـنـوره كـل شىء صار عينى اذا انـا ايـاه
ياعريبا هـم الكرام اصيخوا لعبيد يـهـدى اليـكم ثناه
بلسان عن حضرة القدس ينشى منـكـم والـيـكم منـتـهاه
ارحموا العبد منة واقـبلـوه فهو ضيف لكم وفكوا عناه
ياعلى بن احمد من به قـد طاب سوس وذكـره وسناه
وتـعـطر غربـنـا بشـذاه وبـانـواره استـنار دجـاه
ياماما قوت القلوب واحيـــ ــاء المعارف من مفاض نداه
له در السعيد شيخكم قـد طب فرعا وطاب اصل جناه
عارف اثـر عـارف وشموس نـخبة الشاذلى طـاب ثـراه
ان فى القول لاتساعا ولكـن لات حين استقصائنـا ادناه
فـعلـيـكم تـحـيـة وسلام يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغي من الروح والعرفان ويحكفى الغ
انخها بئال احـمـد فعليهـم بانواره غين الضلالة في دمـغ
فلذ بحماه واحتفظ بجنابـه لتحفظ من كيـدالشياطين والنزغ
محلى مهذب الخلائق بالتقـى تروق كماالنضار بالسبك والصوغ
وتصبح في روض المعارف نائـرا فؤادك مصبوغ من الحـب بالصبغ

فاجابه الشيخ بقوله

ايا طالبا سر المعارف في الغ فغين السوى عن عين قلبكم السغ
وداوم على ذكر الاله تـر الـذي تقر به العينان من كل ما تبغي
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله يلوح على الاشياء طرا بلا زيـــغ

وله فيه ايضا

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتـــه فاهتز من طرب بـل ازدهى تيها
حيتك عني صبا نسيمها ارج تحيى به نفس هم كاد يفنيها
يستوهب العبد ان يرعاه خاطركم كيما ينال لدى مولاه تنويها

ولـه ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين

ياسادتي الغر العظام الشان السالكين محجة الـعـرفان
اصحاب عارف عصرناالالغيابي الـ ـــحسن ابن احمد نخبة الاعيان
هبت على اشباحـكـم وقلوبـكـم ارواح نفح تحية الـرضوان
منوا بدعوة صادق متوجـــه متطارح فــي عتبة الحـنــان
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا ز من المهالك وامتطا الاحسان
فالـعبـد محسوب عـلى ابوابكـم عار عليكم ضيعـة الـجيـران

وله فيه ايضا

حي ربع الرباب من تحت حصن منجدا زائـرا لا وثـق حصن
وبوادى العقيق فـيـه فعرج بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقرا عني تحية مــن مشوق قاده لهواهـم كـــل حسن
وتمل مــن الجمال ونـب عـن نازح في استلامك المأزمين
عاقه ان يزورهم سوء حظ وعسى ان يعود وصل لبين

وله فيه ايضا

ان فاتك القطب ذاك الشاذلي فلذ بذا خليفته الالغي ابى الحسن
ففز من الله بالرضوان واقتعدن لذروة العز نائيا من المحن

وله فيه ايضا :

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى   وترى الهوى وسط المنى متلافا

كيف الحياة بلا شعور القلب من   روح الهداية للذى قد سافا ؟

فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان   يحيا فؤادك تنتعش وتلافى

ان الطريقة قد تبلج بدرها   فى الغ تكشف فى القلوب سجافا

من لم يرد من عند منبعها فلا   يزلن طول حياته مهيافا

مذ ذقت من رشفاتهم انسيت من   بين الآوان قراحها وسلافا

قد تيمونى من جمالهم فلا   كف تعير لغيرهم اطرافا

فهم فؤادى واللسان وكل ما   عندى وما اعتده اطرافا

فهم جمال الكون اجمع لايرى   من لايراهم غير ما قد عافا

ليس النجاة بكف غيرهم وان   نال العلوم وعاشر الاشرافا

فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا   الصاد ثم الدال ثم القافا

لاسيما مثل الامام القطب سيـ   ـدنا ابى الحسن الذى قد صافى

فاليه كل محامدى جمعاء فيـ   ـها منية القلب الذى قد زافا

وببابه القى الرحال لعلنى   القى القبول لديه والالطافا

وانا على لسن القريض اريغ ان   لايغتدى قولى لديه غرافا

فانا له حسان مدح دائم   متطلب من فضله اتحافا

فليعلم الثقلان انى عبد اهـ   ـل الله من قد مولوا من سافا

اصحاب قطب الكون من فى الغ قد   رفع اللواء وارشد الاطرافا

فيه القريض اذا اقول يلذ لى   فاشى اذا ما حكته افوافا

لايحسب الشعراء انى مثلهم   القى كلامى فى المديح جزافا

فالله يعلم والملائكة الكرا   م ومن هم قد البسوا الانصافا

وجميع من قد ابصروا ماكان فى   الغ الهدى وعلى سناه اشافا

انى كمن يثنى على الدأماء فى   امواجها ان تغمر الاسيافا

وكمن يطيل المدح فى غيم همى   بالغيث حتى افعم الاكنافا

وكمن يشيد بنور شمس الحفت   بضيائها من كونها الاعطافا

هل فى البحار وفى الغيوث وفى الشمو   س سوى القصور لمن غداوصافا؟

انى يحيط بمائها الثجاج والـ   ـوهاج من انوارها اوصافا ؟

فاذا يكون المدح حقا صادقا   فيمن شأى الاخلاف والاسلافا

مثل الامام امام هذا الجيل من   فتح القلوب وزحزح الاصدافا

وابان هذا الدين صحوا مشرقا   متلألأ ببريقه خطافا

وازاح عن ألباب من يلقى ولو   عرضا ولو فى ساعة آسدافا

وارى العيون لهن الغ نورا ساطعا   نحى الظلام عن النهى فتجافى

فالمدح فيمن كان هذا بعض ما   فيه قصير مجحف اجحافا

وان استعار المادحون من الريا   ض شمائلا ومناظرا ولطافا

او من عزيمة باسل متدرع يعلو الوغى ويعانق الاسيافا
ماذاك اجمع ما يؤدى ما هنا ك سوى مخايل تكتسى اليافا
تحكى كما يحكى الصدا من شعبة صوتا لما يجتابها مخطافا
لكن ما قد كان حقا يجتلى بفؤاد من ورد الحمى مستافا
مازال مكتتما وليس يراه من لم يغد عند بنى اللوا عرافا
سر من الاسرار يلقيه الالـ ـه لمن يشاء فيكتسى الالطافا
واذا يمس كلام صاحبه القلو ب يفتح الاسماع والانافا
فينيرها نور الهدى فيكون حـ ملها لكل اللغو ممن عافا
لاسعد الا ان تكون نظيرهم ان تبغ من خلاقك الاتحافا

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منه من بعد ان ذاق الجسو وعافا
لك مايفوق حقوق من نجلا وقد نحيت عن قلب العبيد غلافا
انقذت من سنة تمدى سجفها زمنا طويلا سمت فيه تلافا
واملت من رسنى الى جهة الهدى واريتنى كيف الهدى اشرافا
فباى شكر يلتقى من كان من جرف الغواية والضلال تلافى
من لم يفق لم يدر ما غفلاته وان ارتقى العلماء والاشرافا
ما اغفل المستدمنين هواهم وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
لكنه هيهات ان يستيقظوا ما لم يلاقوا واعظا لطافا
يضع الهناء مواضع النقب التى كانت لكل مضرة اهدافا
مثل الامام اما منا من دابه وعظ الورى فيعلق الاشنافا
خواض كل تنوفة ركاب كـ ـل هواجر فى عمره الافا
ماقصده الا انتشال الغافليـ ـن وهزه بعظاته الاكتافا
كم من جهول غافل فى اهله جعل الهوى فى جانبيه سلافا
لم يدر كيف الرشد اوكيف الهدى ضخم الكرادس لايميد ؛ معافى
سبقت سعادته فقيد لداره شيخ المشايخ حاملا الطافا
فيسيمه رغما دواء شافيا والطب يغدو تارة عنافا
من ياب تطبيب العياء بجنبه يبصر طبيب عيائه كتافا
فاذا بذاك الغفل عاد كانه ما قط عاشر همدا اجلافا
ادر العيون تر الالوف وكلهم من هؤلاء تحولوا اشرافا
عادوا رؤوس الدين بين هداته من بعد ان كانوا هم الاظلافا
هذى يد الغية تسدى الى الاقوام تهدى منهم اصنافا
كل ينزل فى منازله ينا ول من ثمار نظيره اقطافا
هذا يرى الفردوس منزله وذا ك يرى له من دونه الاعرافا
والكل راض والمقاصد واحـ ـد ما ان ترى فى الممرعات عجافا
فتراهم زمرا اذا ما يرضعو ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هيما ثم يصـــدر كلهم من جانبيه سلافا
الله اكبر هكذا كنا سمعـــنا عن مشايخ هذبوا الاسلافا
كالشاذلى ونـجـله المرسى ان صقلا الفؤاد وساوماه ثقافـا
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـــب الوقت فى اقصاده الاهدافا
بعـزيمــة فـعــالة قــوالــة نهاضة مــثـل البروق الافـا
يلج البيوت على بنى الغفلات رغـــما ثم يكشف عنهم الاسجافا
فيريهم نــهــجا الى خلاقهــم لقما قــويما لايــرى اخلافـا
هذى المفاخر لا مفاخر قصعة قد كللت بسديفها اطرافـــا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به سفن السعادة لاتنى اجـدافا
دم للطريقة قائدا فى رتبـة عليا تربى الفرش والصفصافا
وعليك منــى يـامـام تحيـة ممن حباك الفضل والاتحافـا
وارع العبيد الفدم من بعد لكى يسقى بكأس محبـة فيصافى

لابن مسعود فى هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقـح القصيدة وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب فى ذلك سهل من امثاله الذين يلقون مايلقون على عواهنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة الاخيرة ؛ اعطاها له فى المعدر ثم بقيت فى مبيضتها الى ان ظفرنا بها؛ وكذلك هذه التى يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بأنه أبل من مرضته ؛ وهى

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد فقد عاد منه للعلا البخت والجد
ولاح لها من نور وجهك نورها وزال بها من برئك البؤس والجهد
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى مكارمها ما لايظن له هـد
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت حلوم قروم دونها الشامخ الطود
مرضت فامرضت القلوب وحل فى سويدائها ماانشق من حمله الصلد
وخلنا قوام الدين قد حان حينه غداة راينا قطبــه هــزة الميـد
فحمدا لمن بالبرء رد حياته فتنبلج البشرى وينكشف النكـد
وءاض الى افراحه كل مشهد من الخير واحلولى لراشفه الشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت مكارم قد اشفت وساومها الفقد
وعاد ابتسام مستطاب مؤشر الى فئة الايمان فالشكر والحمد
ففى اليوم عاد الجو ابيض مشرقا وزال ظلام النحس وانبلج السعد
وعاد الغرار بعد طول تسهد الى نظرات طالما مضها السهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى وقد امنت وارتاح بالراقد المهـد
واصبح فى تلك المعالم نافح من الانس طال عن نوافحه العهد
فماشئت من قوت القلوب تجيش من ينابيعه الامداد ما ان لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا نهاالحب والتوفيق والشكروالزهد
وما شئت من حب النبى وصحبه وشرعته حبا يضوع بـه النـ
وما شئت من روح يروح عن فؤا د صب به اشفى على لحده الوجد
وما شئت من ريحان نور يرف فى ملابس بهجات تغار لها هند
وماشئت من معنى شهود يريك فى مجال الكمال الحق ما دونه بعد
كذا فلتطب اعمار زهر تأرجـت بطيب شذاهم التهائم والنجد
بهم يحتمى من سامه الدهر خسفه فبورك عزا دونه الابلق الفرد
حمى الله لاجوار جار ابى دؤا د لايستبيح جاره الدهر من يعدو
بهم فى دجنات النوائب يلتـجى ضعيف على الخذلان اعوزه الايـد
بهم تنجلى الحوباء والخزىوالردى بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفى الرشد
لهم همم تفرى الطباق وترتقى الى العرش تحت بطشها الملك والجند
هم اسرتى ونصرتــى وبعزهم اصول على دهر به تهضم الاسد
وهم مقنبى وفيلقى ومقاولــى وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
وهم كرشى وعيبــتى وبحبهم غنيت ؛ وكنز النطف يفنى له العد
فياعاذلى كن عاذرى فى تولهى بسر جمال من اشعتهم يبدو
اخالك مختل المزاج وكـيـف لا يهيجك نور الحق ما دونه صد
فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من الـ ـزمان ففوت العمر ليس له رد
ولاتغترر بالدهر يـوسعك الجدى هنيئا فان السم يودعه الشهد
فما قر قارون على كنزه ولا ابــ ـن جدعان بل اودى بجفنته الاد
وغال نديم الفرقدين من اغترا ره الرأى لم تلبس له الادرع السرد
فقبحا وشقحا للمفتن تطيبــ ــه زهرة فان وجد رقراقه فـقد
وراقب على مدى الزمان الاله واحـ ـتفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه مجد
تهاونت بالانفاس وهى نفيسة وفى غفلة عما يراد له العبد
فلا تحقرن فى الشر نزرا فداحس بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد
وحاذر وان اركبت عزا ممنعا مصارع بغى هزلها فى الورى جد
فكم كان من جرا تهور ناطق هلاك امرىء ينماع من بطشه الفهد
فذا عروة الرحال عارضه البرا ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
اراد اجـازة اللطيـمة ذمــة على الشيح والقيصوم فاغتاله الكيد
وماخاله بالخفر يجسر ضلة عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
الم باقـذاع فـاوغـر صدره عليه وقد يستهون الفاتـك الجلد
ومن يعتصم بلبه لايخاف من مزلة اقوال يضيق بها القصد
وكن نابذا من لم يعنك على الهدى فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
وسر فى محجات الصواب منكـبا عن الغى لاتحفل وان عذلـت دعد
فهذا امام لاتكدر بحره الـ ـدلاء ولم يخب لرائده قصد
يجود على الالباب من نوره كما يذود من الاكدار ما ان له حد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها … يحل باذن الله ما ابرم الشد
ينسى ابن سعد جوده وابن مامة … نعم قطرة من سيبه دونها الجود
يشابهه فى الحلم قيس بن عاصم … والاحنف حيث الغيظفى جمرهوقد
هي الشمس مامن دونها السحب يهتدى … بها سالك البيداء جد به الجد
هو المورد العذب الذى لايشوبه … من الرنق التنغيص؛ ياحبذا الورد
هو الجنة التى متى ما اوى لهاالـ … ـمروع لم يستمه ناب ولآحد
هو الكعبة التى على كل ضامر … الى غيثها الهطال ينتجع الوفد
يفوت القريض حصر عليا صفاته … ولكنها كالدر ضمنه العقد
تطيب به اوقاتنا ويمدنا … بتعدادها من طيب انفاسه المد
ومن نعته من نعت مولاه كيف لى … بتوصيفه والعقل يحجزه الحد

* * *

فيأيها الشيخ الذى بشفائه … تراجعت الآمال وانتعش المجد
كانك روح الكون بل انت روحه … فمنك له المحيا يراوح او يغدو
فما نحن هنأنا الامام وانما … نهنى به الاسلام حق له الحمد
على ان بقيت فى حبور بمتعة … بها بهجة العرفان تم لها العود
فمد الاله عن افاضة نعمة … لكم عمرا ينمو به للورى الرفد
وتنبع منه كل عين بمشرق … وغرب بها الوراد يغمرهم ورد
فما انت الا الفرد تقصر دونه … عبارات من امداحه حولكم تشدو
لئن سوغوا فى المدح قول مبالغ … يسيح له من فوق ممدوحه مد
فانت سموت المدح من كل قائل … بليغ فما من جزر تقصيره بد
لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد … صريع الغوانى واللهى رشحها الحمد
واغرب بل اربى على كل شاعر … ابو الطيب الجعفى يقتاده الجد
فجاء بنى حمدان من نفثاته … مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
واسدى لكافور ثناء مخلقا … تطيب به فى روضة اللسن الملد
فانت احق بالقصائد ينتقى … لها الماس والياقوت والسلك والنضد
احق لعمرى بالمدائح فوق ما … يحوك ابن اوس حين فصحه الرفد
لئن كسبوا فى مدحهم كل طائل … ففى مدحك الطول الذى ما له حد
فما انت الا الروح والروح علمها … كما هى عند من هو الصمد الفرد
كسوت جميع العصر حلة همة … منمنمة ارقامها العزم والجد
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم … مدارك ذوق خالص ما له ند
فكم قرية ماتت فاحييتها بما … تفجره فيها مواعظك الملد
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا … بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى … يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
كذاك يكون الفخر بالرشد عندمن … يربون يعلوهم من العصمة البند
وما عصمة الصوفى الا احتفاظه … على النفس الغالى فيكنفه السعد

ففى كل قطر كان مشرق سعده و(الغ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

*

بقيت لهذا الدين تحمى ذماره بسطوة شهم دونه الاسد الورد
وازكى سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز افنانه الملد

ثم كتب ابن مسعود تحتها

تم تبييضها فى ءاخر يوم منذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ﻫ عرفناالله‌خير الدهور؛ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعودالطالبى كان الله له وليا ءامين

اقول ان القصيدة اذن بيضها قائلها فى اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ التى كانت فى ٢٨من ذى‌الحجة المذكور وفى ءاخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى به رونق الهدى لمحياه راجع
اباالحسن ابن احمد الاحمدى‌الرضا ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلعة تضىء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجأ وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعها الشذى النورانى
فزهت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الاظعان
وتعطرت ارجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها كنفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمران
فكأنها وبها حياة الكون هو لانا الامام العارف الصمدانى

الى ءاخرهاوقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

وللفقيه الاجل سيدى محمد بن على السويرى المنشأ ؛ الاكاديرى الاصل من اصحاب الشيخ قصائد فيه نرجئهاالى ترجمته؛ففى مطلع قصيدة (فيها٢٣بيتا)

قصدت حمى ذى الحباء المديد كـريـم تسامى بـغـير نديد

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امـولاى ياعـلى ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهـب

ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها٢٢بيتا)

احبة خير الخلق امته التى توالت لها البشرى وقرت به عينا

ومطلع اخرى

انفسى الجئى بالواحد الاحد الصمد فليس سواه فى المهمات يعتمد

ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجأ الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر

وللاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد عليه اول يوم

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقـتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مـرتد
حماه من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غـربتـى فقصدته فيانعم مقصودى وياحسن مقصدى

وكتب اليه ايضا

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهـده
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده

وللعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلالنى نزيل مدرسة سيدى يعقوب وهو من الآخذين عن الشيخ

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتر زهر على الفنن

نصحت امام الدين نصحا جزاكمن يخص ذوى النصح المعمم بالمنن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعلى تحت الظل اظفر بالجنن

وللفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل افران ممن ينتسبون الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ ه القطعةفى المترجم ؛ مع هذه الرسالة

«الا خ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع ريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى هداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح رشاد ؛ سيدى الحاج على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون ماانتصبتم له احتسابا ومقدار ماتلاقونه من الغوغاء كلما طرقتم بلدا بلدا بركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحقين ؛ فأعانكم الله ووفقكم ماانتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بأن ليس لنا الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتا رت لى فى جنابكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد المنصح فى الازمان
كل يوم تظل فيه فتغدو ثم تمسى تقتاد من عميان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدى بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا ح اماما والغير كالبعران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قا ل مقالا قد مر فى الآذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جه ـــرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالـ ـشعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشا ك من الله سابغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وحدهم سا محونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب •
وللشريف الركائبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراكش ممن ذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناه العالمين ونائله

وجد ماوقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سياتى ان شاء الله فى القسم ابع
وللعلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم ورد الى الغ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر على من من ادران وصف برى
وتوجد كلها فى غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه

ابا حسن مني سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففى دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيانكم والله قصد نظامى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملامى
وثم عليك حيثما كنت دائما سلام ببدء امركم وختام

وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ابا حسن انهي لحضرتك التى زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه منى الصبابة فائحا فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه اتى مسندا الى شفيع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرتني وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله

ابا حسن زرنا على عجل ومن تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لابحر شوقكم مدى الدهر فى غرق

فاجابه بقوله

اجيب بجثماني وقلبى لديكم رهين فما احلى اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضه يحظ بنيل الدر منه بلا غرق
وانهى الى عليـاء قدرك اننى اطير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبى الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد

ابا حسن تمم مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسى الطبيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى على بن احمد وبعد فسل خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامتثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاحبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمثواه جنته

واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى

فاجابه

عليك سلام ياكريم معنبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلبيك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لايبكر

وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه واحسب انه لم يحضر في هذا الوفد والالكان هو المجيب

على اننا لانبتغي غير نظرة تكون بها الاذيال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم ياشيخنا من يبكر

وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة في زاوية الشيخ الالغية يوم اسست في شوال عام ١٣٠٢ ه مطلعها

بيت اتيح الخير من وجهاته فاتيح ما ينكا الحسود القالى

وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية في اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهنئا بولده سيدى محمد ما مطلعه

اتى نبأ دال به دولة الانس واضحت به العلياء طيبة النفس

وتوجد كلها في ترجمة سيدى محمد المذكور في (الفصل الثانى) من هذا القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران

هنيئا لقلبى والهناء على مثلى يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبابتى فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاولى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا كمن جاءه في داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الغ • وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمدوالاديب سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانزاضيفرحب بهم الالغيون علىعادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد الافرانيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر

فقال الشيخ المترجم في الترحيب بالوفد مسايرا وانلميكن في مسلاخ الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيـب ثلاثة اقمـار ببيض طوالـع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهـم فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيئت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحى الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفح نسيم الروض والروضناصع امانشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذى الثلاث كـانهـا (ثلاثة اقمار بـبـيض طوالـع)
بلى انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او عـلـمه المتـتابع
امام اضاءت من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارجاء من نفح طيبه فطابت وفاحت النواحى الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائـلا هو السيف تاثيرا؛ فهل منينازع؟
امام الهدى الشيخ ابناحمد منعلا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازالت العلياء تـزهو بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثويا (١) زاهى السقف • تلونت فيه الالوان • مما يعد كالبديع بين القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنـى بتبييضها وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الغ • فقد وقف سيدى سعيد التنانى عـلى ساج السقوف فيالسويرة حتى تم تلوينه وتزويقه علىيدامهر النجارين المزوقين ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الغ حيث وضعه صانعماهر فى سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافيالسقف الىما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته ثم فرش الثوى وهـو فسيح بفـرش حضرية من الزرابى المزركشة والمسانـد وبعض الخشبيات وراءها حائطى رفيع • وفى ربع من ارباع المكان صف مـن الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعةوهذا كله غير معروف فى الغ فكان اضياف الشيخ يستاثرون بالجلوس هناك وحدهم فوجد بعض المبتدئين منشباب الغ مسرحا جديدا لقرائحهم ؛ فقد رايت من ذلك قطعا لايستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالغيون يسمون ذلك الثوى (الكايزة) وغيرهم القبة • قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى

(١) الثوى كغنى البيت المعد للاضياف

ایاتاج هام الفضل یاملجأ العانی ویاواحد العلیاء من دون ماثان
بنیت لاهل الله دارا ترفعت بما ضمنت من کل حسن واحسان
تجلت عروسا للعیون فاصبحت وقد سفرت تزهو بحلیة اتقان
سماء کما حل النسیم اذا سری علی روضة اکمام ورد وریحان
فمن ناصع فی ناضر حول احمر کما لاح نجم الافق فی الشفق القانی
محاسن تعشو العین منها کانما تبدت به شهب المطالع للرانی
لقد علقت فیها (مواکین) لم تزل ترن بما یزری برنات الحان
تذکر وقت الدین فی کل ساعة بتنبیه ساه او بایقاظ وسنان
مکان رسا بالدین والعلم والتقی فأربت معالیه علی کل بنیان
لك الله من بیت رفیع بما حوی من المفخم الباقی الی الزخرف الفانی
یذکرنا جنات عدن وما اعـ ـد رب الوری فیها لابرار عبدان

ومن ذلك ماقاله ایضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاریین

هذه (کیزة) الضیوف الرشیقة بزراب منوعات انیقة
فوفت بالالوان حتی تراها کزهور تنوعت فی حدیقة
تتراءی الوانها فی خطوط وتعاریج ضخمة ورقیقة
تلك بیضاء حشو حمراء تبدو رای عین کدرة فی عقیقة
افقها زهرة وفی ارضها فاعـ ـجب لها زهرة الریاض الأنیقة
واذا ما نظرت جنبیك ابصر ت بعینیك باهرا عن حقیقة
(ماکنات) بطولها قائمات معجبات قاماتها ممشوقة
تذکر الله فی کل وقت اذا دقـ ـت برناتها لکل دقیقة
بهجة فذة تشوق الی الجنـ ـة نفسا بربها صدیقة
کل من زارها یری نفسه تهـ ـتاج نحو الفردوس ای مشوقة
رضی الله عن امام البرایا من بناها لعلیة دون سوقة
من ابان الدین الحنیف بهفی الـ ـغ نهج الهدی وانفق سوقه
خیر شیخ قد فاق بالجد فاعجب لکسول محاول ان یفوقه
کان لله مخلصا فحباه من سناه صبوحه وغبوقه
حیهل ایها الظماء لشیخ مصدر عن شریعة وحقیقة
فهو غوث فی العصر هذا وبدر یدرك الزائرون الغ شروقه
فاته یامرید تجن قطوفا دانیات الجنی بخیر طریقة

ومن ذلك قطعة للفقیه سیدی موسی بن الطیب یقول فیها

الا نزه العینین فی خیر ماقبة لخیر امام حائز خیر ما رتبة
ففی سقفها او ارضها وجه روضة ازاهیرها شتی واکوابها عذبة
تشوق من یعنو امام الهه لجنته ترضی عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حولـه من الدين للدنيا قضى بهما نحبـه

ومن ذلك قطعة للامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ، ولكن لم استحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لايبصرون سوى مايبصرون كأن لم يرزقوا الفكرا
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهرا
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى وهو اذذاك فى المدرسة الالغية

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد أميلوا عنان المدح والشكر والحمد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت به الزهر اوكالدر فى وسط العقد
فلله مثوى الشيخ سيدنا اذا يفوح بعرف العود فى الجو والند
عليك سلام ما تقوم على الهدى فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا

فلله بيت شيد للديـــن والتــقى وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوفا بالطاف ربنـــا فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثلـه ، فهناك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى لايرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكادوا يهلكون

وبعد فقد خوطب الشيخ من ءاخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجـمهـم مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها

صدحت مـطـوقة باثل البان ام نفحة وردت بريح البان

فهى التى تسمى «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها فى مجلد ضخم وهى التى ذكرنا بعضها قريبا فى اول هذه القوافى

وحين رجع الشيخ من حجته كتب اليه العلامة سيدى الطاهر بن محمد من تارودانت يهنئه

تأرقت لما شمت برقا حجازيا ... بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فانثنى ... بقلب لنا والوجد مازال صاليا
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتطى ... مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
وساد مع الركب الكرام يقوده ... زمام الهوى حتى ينال الامانيا(١)
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى ... ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
فيافوز من امسى بطيبة نازلا ... بخير رسول كان للضيف حافيا
يروح ويغدو فى مسارح جنة ... ويجنى بها تمر المكارم دانيا
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر ... ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويغسل قلبا سودته ذنوبه ... ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
فيا ليتنى قد نلت لثم ترابها ... واحدثت لى فيه بعيدا لظماريا
ويا ليتنى اذ فاتنى نلت نظرة ... بوجه سعيد زار تلك المساعيا
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا ... على هامة النسرين بالجد ساميا
ابى حسن بدر الهداية من دعى ... الى الفوز فى جمع فلم يك وانيا
ولكنه لبى النداء مسارعا ... وصار على متن الصبابة ساعيا
ووالى السرى حتى اذا مابدت له ... أباطح سلع جدد العزم راميا
وعفر فى مثوى النبى جبينه ... فاصبح فى ليل الغواية هاديا
هنيئا له نال المنى واحق من ... يهنأ من زار الطبيب المداويا
فياسيدى ابشر بذخر شفاعة ... واجر كبير لم يزل متواليا
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه ... سرورا وما ان زال مذغبت داجيا
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن ... اماما له لاريب فى ان يباهيا
وانى ممن كان ودك عقده ... فباح به دمعى ولفظ لسانيا
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا ... قدومك لكن حيل دون رجائيا
فارسلتها تمشى اليك وتستضى ... بنورك ان ضلت تبث التهانيا
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى ... زمانى بهم وقعه غال باليا
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى ... تملكها مازال يملأها عيا
عليك سلام كالنسيم اذا سرى ... يحدث عن اعلام طيبة راويا

وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب لزيارته يستغيث به فى امر عناه

اتيتك حبوا للزيارة عندما ... غزا صرف هذا الدهر فكرى فاحجما
ولم الف احمى منك فانصر فانه ... تجمع واستعدى الحياء والجما

١) الياء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره فكم اطلعت رؤياك للسعد انجما

وكان الشيخ بعث الى سيدى الطاهر هذا اللغز فى اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى هو الثانى اولا ونسبة اول
وثان وثالث بجمع من ءاخر ثلاثة ارباع لعشر فحصل
وثانيه خمس ثالث تسع اول وثان وثالث بثلثيه تنجلى
الا فبالغير سر وفتش على الذى ترد اليه المعضلات بمحفل
ولاسيما ان طاهرا اوعرابيا تلقيته فانزل وبت خير منزل

جواب سيدى الطاهر

اتتنى فحلت من عقال الردى عقلى واحييت ذماء كان اشفى على الويل
ووافت فؤادا قارب الحتف بعدما عليه امير العى قد كاد يستولى
فضلت على فرط الصبابة والجوى تروى غليل الفكر من مائها الجزل
فهشت بها ارض القريحة مثل ما ربت بعد محل شانها الارض بالوبل
فحق لها اوفى النصيب بقوله ومن كان احياها له اجرة الكل (١)
حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها وخصص جنس الانس بالفصل ملقول
وخصك منهم بالمعارف والحجا وبالهمة القعساء والعز والفضل
لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها اطير واستعلى على العالم السفلى
ولكنها من بعد ان سر وصلها تكلف سقبانا مقارعة البزل (٢)
فقلت لها ناديت والله ميتا وطالبت صلدا ليس يبتل بالبذل
ولما أبت الا الوفاء وليس لى بحكم الهوى الا امتثال الذى تملى
اجبت ولكن الفهاهة اخرست لسانى ومالى عن مرادك من ميل
اشرت الى اسم لامسمى وراءه نظيف على شخص له ليس بالاهل
فاوله تسع وثانيه واحد وثالثه خمس بذلك يستجلى
فمجموعها عشر وخمس وعزوها الى المائتين ءاخرا جاء بالسؤل
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى ولكن لما امليته ليس بالمثل
فمعذرة منى الى عفو سيدى اذا كنت قد قابلت علمك بالجهل
وما كنت لولا ما كلفت بحبه من العفو ان استن فى تلكم السبل
ودم سيدى للمشكلات تحلها اذ احاد عن ادراكها كل ما فحل
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة بتوفيقهم للرشد فى الجد والهزل
عليك سلام ما تلذذ عارف بذكر وما اشتاق المحب الى الوصل

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى العز ينسب وثانيه خمس اول وهو يضرب
بخمسة اسداس له اول جلا علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

---

١) تلميح الى قوله تعلى ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا
٢) السقب كفلس ولد الناقة والبازل الكبير من الابل

الجواب

تأملت لغزا اتعب القلب حلـه وعاناه حتى بان لى انه اللوز

ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضممت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ

قلم البليغ يبين لغزا منبئا عن غور فهمكم السليم الاثقب
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطـاهـر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجىء ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما ولا زلتما مستسهلى كل مافن

الجواب

تاملت هذا اللغز ياايها الخل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكـون الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه اثناء الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها ارباب الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ماصدر عنه وذلك قليل ، وهاك الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايغمض فيه اديب

سعد الفقير وساعدت اوقاتـه ما دام من أذكـاره أقـواتـه
بالله يفرح كل قلب ما لـه غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فـى ربـه فبه تتـم لقلبه شهواتـه
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرءاته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ولازم بخلف ما اشتهته عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ ـــمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نوروجهها وتجنى على الوصل الشهى رضابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكرسيفي:

اموسى اجمعن في الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لـن يزال مولها بذكر كثير كى تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ماقاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلكى الشهير:

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفـز الربانـى
وانس السوى حتى يكون مشعشعا منك الفؤاد بساطع نورانـى
فالسر كل السر فى ان تغتدى فى حضرة قد كنت فيها فانى
ان العبودية التى يابى الهوى فى النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا قد مهدته شريعة الرحـمـان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى

ولى مذهب فى العشق منفردا بـه فلست ملونا بوجد ولافـقـد
قد امتزجت روحى بروح احبتى فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابياتا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربى الادوزى حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فذى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك فى قضيتنا اثما

كان الشيخ قال فى الشطر الاول من البيت الاخير هكذا زففت لنا البنتين فى عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كماورد فى الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما فى بعض الروايات ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكى اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول فنظم جوهركم يسرى به المثل
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى ومن بهم نحو ربى الدهر مرتحل
وبابكم هو باب الله من غلقت ابوابكم دونه ما ان له حيل
ومعشرى كل اهل الله قاطبة والله قصدى ومالى فى السوى امل

ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لايزال الى الآن يطن في اذان من كانوا يعيشون في سوس سنوات ١٣٢٥ ﻫ ١٣٢٨ ﻫ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى المجامع وفي الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة المحتلين الذين نزلوا اذذاك في الدار البيضاء، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحي المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه الغيرة الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ ياثرها عنه اصحابه قبل هذا الحين وكثيرا ماكان يغارها من سنة ١٣١١ ﻫ عام موت الملك مولاى الحسن ، فى مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له في رحلته الحجازية جذوة متأججة فى هذا الموضوع فاسمع لمايقوله في هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ﻫ اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى في اخر الايام هناك مع فذ من الاعلام
ان كنت من بعد صلاة العصر في جامع الزيتون عند الحبر
اعني به ذاك الذى سطرته وبرقيق القلب قد ذكرته
مستندا الى عمود الشاذلى وهو مكانه لدى الاصائل
ذاكرني في العقد للمحبة لله كالعادة فى الاحبة
فقال بلغن الى الرسول متى حظيت منه بالمثول
فقال قولا الهب القلوبا حتى تكاد منه ان تذوبا
وحرك الاشباح والارواحا وحرك الجبال والبطاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف وكنت اثناء مقامه المنيف
وفازت النفس هناك بالمنى واكتحلت عيناك منه بالسنا
فقل له يا ايها الرسول غر بنى ملتك الذهول
وانها لامة مستضعفة احتوشتها أمم مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم من يفتح الشدق اليها يلهم
رموا وراء كل ما خلفتنا وضيعوا فى الدين ما اسلفتنا
ونبذوا الدين سوى اطلال تبدو لما اسست كالظلال
واقبلوا كلهم للشهوات كانهم قد خلقوا من شهوات

فباسهم بينهم شديد ... من اجلها كانهم حديد
بيناهم في غفلة ووسن ... ليس لهم بين الورى من رسن
اذ دهمت بين الديار الجلى ... فالبعض في الاسرى والبعض قتلى
قد زعزعت بلادهم كفار ... كان لهم من قبل ذاك ثار
فاستحوذوا على بلاد امتك ... وقصدهم محو لكل ملتك
حتى غدا كل بني الايمان ... اسرى بوسط الدار في البلدان
ودينهم ممتهن عيانا ... كما يلاقي اهله الهوانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا ... وامتهنوا بيد من قد كفروا
فهاهم في صقعهم لاحولا ... لاقوة غير دعاء يتلى
وما لهم وجه به يستشفعون ... الى الهك ومنه يرتجون
سواك يا خير البرايا عنده ... فانت من ليس يرد وحده
فليس للمستضعفين غير ... دعا اذا مس البلا والضر
فانت باب للدعا فيستجاب ... فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
بلغ الى نبينا هذا الكلام ... من بعد ان تقرا له مني السلام
يقول ذاك والدموع في العيون ... كانما ثرت بمائها العيون
والصوت بالنحيب عال وانا ... كدت اذوب لهفة وحزنا
حتى عراني الجذب في الحين كما ... يقع لي حين اجيش ضرما
ثم جرى مابيننا صموت ... ودأب من تحيروا السكوت
فلم يكن مني ولا منه كلام ... بعد سوى مد اليدين للسلام
اذ قرب المغرب فافترقنا ... وانـنا بما جرى احترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين ... فذو نفاق مختف مكنون
وكيف يرضى مومن ان يحكما ... امر بني الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لايدع مجتمعاالانادى فيه بالبراح (١) انالزمانقداستدار • وانالكفر قدوغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو في اثناء ذلك يشترى السلاح ، فقد عدماتركه بعد موته بستعشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثيرفوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كانيعاب عليه ان يلتفت الى التسلح لانه صاحب زاوية وقدرايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لايكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لايجدى في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطيين والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي ... اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت

هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام ءاخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات •

ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

١) البراح كشداد : المنادى في الاسواق عادة

فهكذا ورد الى موسم تازاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيأ الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد • وكذلك كان يوما ءاخر في سوق الخميس بأيت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكتل الناس كلهم أمام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة أن يتكموا في السلاح • فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فبينما يقول ذلك ، اذا الاشكر -الرئيس هناك- يتخذ كلامه سخرية اذ قال له «لن نقوم بهذا الذى تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «اوقد استنكفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تابى ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعدنحو ست سنين بيد الجيش الفرنسى الذى هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ ه فكان عبرة لمن اعتبر ، ولايزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ ه الى جيوش تجمعت فى هشتوكة للقتال بينها ، فنادى فى رؤسائها يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء -ان لم تدافعوهم- من لايكتفى منكم بمال ولابارض ولابدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التى يسمعونها من الشيخ ثم لايأبهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعدر فبعد صلاة الجمعة فى مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة أكلوا ، فقال له قائل ان العدو لايزال بعيدا عنا فهو فى الدار البيضاء ، ولايصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال يا عجبا ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلابد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك ياهذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس فى هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

---

١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء جوار مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى

فغلبه الاستعبار فانفتل عن القوم ، قال الحاكى ثم لم يمض الا سنوات قليلة فاذا بى شاهدت المراقب الفرنسى فى تزنيت واقفا فى ذلك المكان بعينه فظهر مصداق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصى تلميذه الحاج الحسن الكلولى رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، وبيده البندقية وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلا كله ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه: ان قلبى ليتمزق على هذا القطر ، فاننى اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد اجلت بصيرتى فى هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولامن الناس فلامال ولارجال ولاايمان وانما انا وحدى الذى افاض الله على هذا الجيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم ـ كما قال الحاكى ـ

حضرت يوما فى نزهة من اخلاط الناس فى عرصة البياز فى باب دكالة وكانت محلا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشى ، فجرى ذكر ايام الاحتلال الاولى وصار الحاضرون يخوضون فى عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا معذورين ، لان غالبهم ماكان يدرى ماهو الاحتلال ، ولاكيف يعرك عركاته متى امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم فى هذا الموضوع فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعض اهل الحومة الى النزهة ، فقال : اننا فى تلك الجهة من حاحة الى سوس لم نوخذ على غرة ، فقد كان الشيخ سيدى الحاج على الالغى ينادى فينا صباح مساء انذارا واستنهاضا لندافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التى يسيح اليها مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الانادى فيه بالتهيىء التام من جميع الناس للجهاد فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما عند قائدنا فى تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاجيين وعلماؤهم فى حضرة القائد فقام فى الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبث الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له ان جل هذا الواجب يقع على عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد اننا ياسيدنا ـ معشر القواد ـ نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملتنا اليوم يميل الى مسالمة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين،وان نراعي خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعي من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهاك ياشيخنا يدى على ان اكون اول من يموت في سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكي فاعرض الشيخ عماجلذبه فيه القائد ، فقال «اما انا وكل من يتبعني من الفقراء فقد هيأنا انفسنا للموت في سبيل الله ، لوفتح لنا الميدان، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم في مخالفة السلطان ايضا مصلحة» ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال انني اوقن ان الشيخ لو تيسر لهان يحضر في ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكي اتعرف احدا من ابناءشيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمني اليه فلم اكن اعرفه قبل، ولاعرفني فاحفى في السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لاازال تلميذا مغمورا في الجامع اليوسفي

ارايت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصابحهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون الا ولا ذمةفي اهل الخيراتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزءا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد لهمكانة اخرى اعظم من مكانته التى كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما في الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شيء ، فقال منهم قائل هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادى بالجهادفهل تقدرون ان لاتقوموا له اذامر بكم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لمارايت ذلك تبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ في السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولاى حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى ادرك الذى يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكي لمثل الفقيه سيدى على بن عبد الله ماراى وقدقال لغيره ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا في المقاومة لان عندالعدو من السلاح ومن ءالات الهجوم والدفاع والمحادثات ماليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانيأس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال في مجالاته الخاصة والعامة حول هذه المقاومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند مايخوض فى كل شيء مؤثر ، ولكنه فى هذا الموضوع يغلب على حاله،لعمق الفكرة فى نفسه بغمرة الايمان ، فلايحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكى لى من لاأتهمه ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزنيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكى فوقفت ازاء باب الضريح فاذا بى اسمع نشيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ثانيا ـ وكان ممن لايستحيى كثيرا من الشيخ ـ قال فسألته عن سبب بكائه الكثير فقال هجم على ان رايت تزنيت هذه مفعوعمة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسى حتى كان ماكان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها ما استولى ، حتى لا مطمع فيها لطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه فى هذا الوقت ؟ قال: ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد:

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ لماذا لاتقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له ان تصدر امثالى فى ذلك انما يجر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لايتصدرها الا الامام الاعظم، وامامنا اليوم هو مولاى حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاى عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يأمر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماء العينين قدامه ان يترك هو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج ما أمر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فاننا لابد ان نذهب نحن والفقراء وهم ءالاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لايستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه ـ خصوصا ان كان ذا شهرة ـ فانه لابد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لاتؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارىء الشيخ جائشا متلظيا متشوقا الى ان يكون فى صفوف المقاومة الا انه تتراءى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع مايغلب عليه احيانا فيفلت منه ـ على جهة الالمعية والفراسة ـ من ان الاحتلال واقع ولابد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه فى الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ فى هذه الناحية كثيرا واودعتها فى جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة فتافيلالت

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكاتبون الشيخ ويسالونه في المقاومة في الحدود التي كانت بينهم وبين الجزائر ، وقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التى يكتبها اليهم

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع مافيها من المسائل وهانحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرءة عدوالله ورسوله على بلادكم وحريمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم في بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا فى باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله في سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم :«الجنة تحت ظلال السيوف» وقال كلكم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين فى هذه الجهة تنحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادى نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم ، فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ولاتقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون في الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض فى سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لايكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من أذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلايخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره ، والله لايهدى القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الجهاد بل اكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هوموجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشىء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راى عدو الله ورسوله اجترأ على الاسلام ثم لايجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) ولم يكن شيء يوكد الله عزوجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذى قام به الدين ، وقدكان المسلمون يشتهون الجهاد فى قديم الزمان ، فهاهو اليوم فى بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه فى بلادهم فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، جاءالى بلادهم فصاروايخافون منه ولو قمتم بالحق الذى وجب عليكم فى الشرع من الغارات عليه والاغزية وتتحاذون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشئا، وما هو الا ابن ءادم مثلكم ، يضره مايضركم كما قال الله عز وجل (ولاتهنوا فى ابتغاء القوم انتكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) ولاتقولوا ان تركنا نتركه ، فلايجوز لكم ذلك فى الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلابد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولاتقولوا هانحن معه فى الهدنة فلو انكم قمتم فى هذه السنين التى كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولاتقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل لما كنتم تعاملونه فى الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم فى الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم فى جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة • ولاتجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تشمروا عن ساق الجد • واجمعوا رايكم فى اهل الخير • وتجاهدون فى سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا فى اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولاحرمنا الله من ذلك الاجر بجاه النبى وءاله والبخارى ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله فى الجهاد لاغير ، وان احتجتم الينا فى شيء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذى صار الى رحمته سيدى الحاج الحسن الذى عرفتموه وحامل الكتاب الذى هو خليفتى فى كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذى خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو فى قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، فى عام ١٣٢٧ هـ اذرأى مناما حكاه لى الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح ، فاه الى أذنى ، فقد قال «ان الشيخ اخبرنى مشافهة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى اورير فقال له انى اراك كثير الاهتمام بأمر النصارى ، فاجبته نعم ياسيدى ، فقال «ان هذا الذى وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت فى مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلاحرب

ومركذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوافي وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل.، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، وهاك من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبرفي ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة فيالعشى فقد أمرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ولايمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بللابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلابد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى انقدرتم انتبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيراوصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلاشك ولاخلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلابد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن»

ومن رسالة أخرى

«.... متى اراد الله انيرد النصارى عن المسلمين فلايصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولاملجأولامهرب من الله الا اليه فقد ظهرتعدى النصارىولم يبق الا قولهتعالى «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية ردالله كيدهم في نحورهم، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاولفي ثالث عاشوراء بخدمته فيالصباح والمساء مائةلكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد،على نيةهزيمة النصارى منبلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رأيتها من الاستنهاض وتنبيه الناس لمايهددهم ، صاريبث في اصحابه ـكمارايتـ مايستنهض ايضا القوة المعنوية في كلاتباعه الذين تشبعوا بروحه فانالجهاد المنظم المجدىلايفيد مادام ملكالعصرفاترا ازاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأبه مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرابعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

١) الله اكبر انا من رعاياملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا لولىالذي على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فأما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقدرايناها وليت شعرى متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختلى بنفسه على التجهد ليلا بالقرءان ، وهذا مما واظب عليه طوال حياته ، لايتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك ـ كماقال ملازموه كسيدى سعيد التناني وسيدى احمد الفقيه الركني وسيدى مولود وءاخرون ـ خمسة من القرءان بله النوافل المعتادة كالضحى وماقبل الظهر والعصر ومابعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه اقتدوا به في كل ذلك واماالصيام فانه اقتدى فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم الا انه في السياحات لايصوم النوافل غالبا الافى الامكنة التى لايحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ماوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة ممايتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت في الشيخ المتبكثير من من هذه النواحى ، وان لم تستوف ذلك ، وقديمر بنافى هذه الترجمة وفى تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التى يدعو بها كثيرا فقدحدثني بها كثير من اصحابه، كهذا الدعاء «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا نصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنافيك تحيراوبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لانكون الابك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى تتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطاناالله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنافوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

---

١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره فادركت ان ذلك هو خرق العادة التى كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفور لهم، ومن المرحومين»
الى غير هذه ، ولم نسقها الالنرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولايلتفت الى غير الله في الازمات فما يستغيث بالاشياخ ولاهو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمات ،وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل مايمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رأيت منها ما رايت في الذى تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فماكان منها مرسلا كالتى يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن أصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعته الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابى الذى جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوى» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التنانى وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلا كلفة ولاتزويق كلام ، ومن اقواله ماضمنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ ـ مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل مايتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ ـ (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير .

٣ ـ (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ ـ (المبدئى المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمنه الاخطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ماكتبه في الشيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ ـ (كتاب في الطب) ذكر لى ولم اره .

٦ ـ (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتها فى مبيضتها فخرجتها وحررت قوافيها فجاءت فى نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضهافيما تقدم •

هذه هى ءاثار الشيخ فى التاليف ، فرطت منه وانلم يكن متصدرا لمثل ذلك •

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها ـكمارأيت فيما تقدمـ فى الجولان بين قرى سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسويرة لارشاد الناس وتعلميهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه فهدى الله به منسبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضتعليه الغواية وكانمن اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابى السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد الرسموكى فى بوعنفير ، والفقيه سيدى العربى فى الساعدات وسيدى الحنفى فى مزوضة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كمامر بتزكين من قبيلة كدميوة حيثزاويته ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثمفى مسفيوة ، فمر الى الرحامنةحيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة ـ وكانت له فى ذلكنية حسنة ـ القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت فى هذه القبيلة على يد سيدىابراهيم البصير الركائبى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارحعليه الناس وهويرشد ويهذب، ومعلوم ماللعرب من النية الحسنة، ثملميدخل الشيخ الىمراكش حتى بنيت زاويته فى الرميلة ، وقدكان ينتظر انتتم علىيداصحابه الذين منهم سيدىالحاج محمد البوطيبى الهشتوكى ، وحين حل بمراكشاهتزت المدينة وطفحت الرميلة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئكالجماء الغفير ، وقداخبرنى مقدم الحومة بعدذلك ان الموائد التى اتى بهااهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ فى هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيلللشيخ اما تخاف انيقعلك ماوقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد فى الطريق وراء نادلة بقوة الاحتلال الذى تماذذاكفى البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكرله

مايخافه الناس من النصارى المحتلين فاظهر لهم قوة من نفسه ، ثموقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لوكان فى الناس ايمان قوى ، وامرمنتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على انالمحتلين لابد ان يخرجواخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لايزالون الى الآن صغارا أو لايزالونفى اصلاب ءابائهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض مايتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات فى اذاكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالى كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك فى قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمربنا ونحن نقرأ القرءان فى قرية ايفريان ، فبتنا معه فى حمى الصوابى بماسة ، ولاازال استحضر ان الحزب فى العشية يقرأ بغير الوقف ثم الىالمعدرحيث اجتمع فقراء كل أزاغار وفى رئاستهم سيدىمحمد بن مسعود وذلك فى مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثانى فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال (هنا ابتدأناها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الغ ، فدخلنا فى اصيل اليوم فمر العيد فسافرالشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بماعنده ، ففتح المخازن فامر انيباع الشعير والتمر بثمنالسوق معزيادة حفنةحفنةفوق كلصاع، فثارتثائرة بعضالاثرياء هناك ،لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لابيعا قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم «دعوارجاء اولادكم ليمتد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة فى مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقدكان كتب وصيته فى اول مرضه فأرسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الىمابعد وفاته ، وفى صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفى الليل تولى غسله الفقيه سيدى على بنعبدالله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفى الصباح اجتمع كل الجيران فصلى الفقيه علىالشيخ ثم دفن وراء الدارفى مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغريبة العجيبة، ولكل مبتدأمنتهى (ويبقى وجهربك ذوالجلال والاكرام)

قلت لاخي أحمد يوما لماذا لا أرى مراثى كثيرة فى الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذالم ترعف اقلام الادباء بمايستحقه منعاه منعويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال لاخال الاانالسبب في ذلك هو كونه لميذر وراءه عقبا يراعي ويفهم عن الادباء مايقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في منتداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبنات قوافيهم التى يصوغون ، لان كثيرا من المراثى انما هى تحية لاوجه الاحياء لاءاثار لمايخلفه الموتى والغائب غائب دائما • وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ماقاله وهى قولة لهاحظ منالنظر والا فاين مايستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التى شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت منزفرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسيها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجدمنبنات السن الادباء السوسيين عشرات فى مواقف هى من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، اوبمزلة الشسع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلى بعض قصائدوالاعلى رسائل مختلفة النسج فى التعزية ، وغالبها لايستحق جرةقلم ، وهاانذا ساجتهد لالتقطمنتلك الرسائل ماينبغى ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها اوبعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشى

اخواننا فى الله الفقراء المتجردين والمتسببين فى زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكمورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التنانى وسيدى احمدالركنى وسيدى محمدبنمسعود وغيرهم ممن نسمع بهم •

أما بعدفقدوصل نعى الشيخ رضيالله عنه فبلغفينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهالينا ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ،ولكن نبكى على مثل تلك الهمة التى يربى بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى فى كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرينمن مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرارا واستنهاضا الى الله ، ولكن لميكن منهم مثلهذا الشيخ الذى رزئتبه الطريقة فلاحول ولاقوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ،فالله يزيده مقاما على مقام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم فى الله الضعيف محمدبن عبد السلامالورزازى لطف الله به كتبه فى ربيع الثانى عام ١٣٢٩ ه‍

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى محمد التادلى ثم الرباطى ثم الجديدى وهو من اصحاب الشيخ: «حياالله تلك الوجوه النيرة منكم ياأخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج على بن احمد الالغى السوسى ، وانبت الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم ياسيدى سعيد التنانى اننا سمعنا بالخبر الصحيح فى وفاة الشيخ رضى اللهعنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفى الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لايلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافسح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها فى هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصةسواء محياهم ومماتهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا فى المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لايتكلم فيه مثلى الا معك ياسيدى سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها   وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدى احمد بن الخياط وللمدرس النفاعة ، سيدى احمد بن الجيلانى ، فتاسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن ياأخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدى سعيد ان تهذبه وان تسلك به الطريقة فى مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلكم الفقير محمد بن على التادلى عفا الله عنه •

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى الزبير البعمرانى من رسالة :

• ونعزيكم فى الفقيد شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجفون دما وماكان الا فريدا فى حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدى العامة فى اصلاح ذات بينها ، والخاصة فى تربيتها على الطريقة التى تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى •••

ومن ذلك ماكتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاويةازاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لاتجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسى ، رضى الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فالله الله الله فى الاجتماع على الله ، والعض بالنواجذ على هذه الطريقة التى من يذوق من اسرارها لايجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزى

انفسنا ونعزى كل اهل الله فى قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لايكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا انــنى لمازرت زاوية هــذا الشيخ رايت كل ماكان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاى العربى من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لايضيع واحد منها فــى غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايته استطاع ان يجد لــه اصحابا يقومون مثل قيامه فى همة الصوفى الذى يعرف ماطلب ، فقد مضت لنا معــه مذاكرات استفدنا منها الشىء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ ءاخر حتى لسلمت له زمامى ، وجعلته فى الطريقة امامي ولكن الزوجة لايكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلاتنسونا كما لاننساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرالبعد المقرين ونوصيكم على الطريقــة فالمحافظة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا مــن عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ويظهر انها لم تصل الى الغ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التنانى

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بن عبدالله الى ابى فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى مابيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل مايهمه فى جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليــكم السلام ورحمة الله، وبعدفقد وصلت رسالتك ، فقضيت فــى الحين حاجتك عــلى ان رسولكم وجدنا فى حزن عظيم ، واسى لايكيف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلــف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد مافقدت ازائى من لااجد له فى النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقدصرت غريبا فى بلدتناهذه بعدما صار سيدى الحاج عــلى الى مالابد ان نصير اليه جميعا ، فقدغادرنى مفردا لاانيس ولامشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت فى جوار كمايقول التهامى فى رثاء ولده

جاورت اعدائى وجاور ربه   شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التى لااخوان فيها ولامعينين ، ولاجيران فيها مخلصين محتسبين فالله يرحمه ، ويجعل لنافى امثالكم البركة فى السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته

«لعمرك ما المصيبة فقــد مــال   ولاشاة تــمــوت ولابعير

ولكن المصيبة موت حـر يموت لموته خلـق كثير»

وأما المراثى فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدى على بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى يجديك غير تحسر وتفـقد ؟
او قد جمعت جموع كسرى ماالذى من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
او قد حييت حياة نوح فى غنى ايوب هل تنجو به او تفتدى ؟
أو سالمتك صروف دهرك حقبـة لابـد تصبح فى مقيم مقعد
تبا لدهر لايـراعـى برهـة ذمما ولا الا لاهـل السؤدد
وتراه يسفل بالكرام ويعتـلى بلئام هذا الجيل فوق الفرقد
ويهم بالتنقيص والتشتيت فى اخوان صدق همة لم تحمد
لايخد عنك اذا استلان فانه ما زال يقصده بنبل مقصد
ما راعنى والدهر حبلى مقرب لابد من وضع بيومك او غد
والشمل مجتمع بمـن احبته والسعد يسعدنى لعيش ارغد
الا النعى بموت شيخ ان تقل مات الكمال به فغير مفنـد
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا فى عصره للدين خير مجدد
ماشئت من علم ومن عمل ومن ادب يزيد وهمة لم تعهـد
وديانـــة تنسى اذا عـاينتها غير الاله ورفعة لم تجـحـد
ونصيحة قـد زانها اخلاصها وصداقة فى غيره لم تشهد
لمـناقـب يعيى المفـوه عدها وتـرد كثرتها لسان المقصد
اه على تلك المحاسن انـهـا طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهـر بن محمـد الافرانى

امن حادث بكر الم فاجـزعا جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
لفقد امامالدين شيخ الرسوخ من غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
مربى مريدى الرشد بالسيرةالتى حوت كل اداب السياسة اجمعا
محط رحال القصد مطمح همة الـ ـــمريدين مرعى للفضائل امرعا
زلال صفا ذوقا وبدر تضاءلـــت له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ابى الحسن البرابن احمد منغذا ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضعا
وجد الى ان بذ كل منازع بهمة طماح الـعـزائم اروعـا
فنال منالا دونه النسر وانتهى الى رتبة تنأى منالا ومطـمعا
اقام يشيد الدين دهرا مجددا لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
طمت لجج العرفان من بحرصدره وفتت مسك العلم ثم تضوعا
الى ان انارت من سناه جوانب الـ ـــبلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا اهاب به ريب المنون ففجعا
فهيض جناح المجد وانقض نجمه واصبح عرنين المكارم اجدعـــا
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر السيادة لما ان قضى فتقشعا
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ومن ذا يرجى سائح متجرد ليهديه او من يجير المروعا ؟
واى طـبـيـب للقلوب يلـدها بدهن الرجا والخوف طرا لينجعا؟
مضى يجتنى تمر الرضا متبوءا من الخلد فى اعلى الفراديس مربعا
وخلف وجدا لايريم ووحشة تكاد لها شم الذرى ان تزعزعـا
فقل للذى يبغى العلا متطلبا لشيخ مرب بـعـده متطلعـا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان تسير مغذا بالمفارف ضلعا ؟
«فليست عشيات الحمى برواجع اليك ولكن خل عينيك تدمعا»
على قبره سحب التحية والرضا من الله ماغنى الحمام ورجعا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ ـامام فقد اسدى وارضى وامتعا
ففى مجده ـ والحمد لله ـ غنية لمن سار يرتاد الكمال فاوضعا
نلوذ من الدهر المخيف بظله وناوى له ان صال خطب وروعا
فلازالت العلياء تخدم بـابـه وبارك فيه الله ركنا ممنعا

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر

قالوا قضى العلم الامام السيد عين المعارف والعلوم الامجـد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـــ ـــحسن ابن احمد من غداه السؤدد
فعفت ربوع المكرمات وقد زهـت بسناه ازمانا تـــؤم وتقصد
وتعطلت درج المنابر واكتست ثوب المذلة بعد عـز يشهد
قالوا ارثه باللذ علمـت وانه يفنى الكلام وفضلـه لاينـفـد
فأجبتهم كيف الرثاء لمن غدا شمس الضحى تعشى الذى قد يجحد؟
ماذا يفيد لمجده قولى وقـد بلغت به اقصى البلاد الوخد ؟
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن عنـه الليالى اذ بها يتهجـد
وأسال مساجـده التى قـد طالمـا شهدت مـواقفه اذا ما يـعـبد
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما ارض يقيم بها الصلاة العبد
لايجحد الفضل المبين سوى الـذى طمست بصيرته وذاك المبـعد
واحسرة الـديـن الحنيف لفقـــده واحسرة الضليل من يسترشد
رحم المهيمن روحه وانا لـه رضوانه فـى انعـم تـتـجدد
بالمصطفى صلى عليه الله مـــا غنى على ملد الغصون مغرد

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:

قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما … كان متينا عرضة للزوال
واعلن الدين الشتات بما … اصابه من ضر داء عضال
قلت احتسب يادين لا احد … يشكيك من داء الضنى واعتلال
لما قضى الشيخ علي بن احـ … ـمد امام الوقت اكرم خال
اودى فؤاد بعده صبره … فؤاد من رأى كمال الجمال
قالوا وما اودى به قلت ما … اودى به غير عيون الكمال
ياليته يبقى ونعطى به … ماعز من نفس وولد ومال
وقل لو امكن في حقه … وانما (ليت) دليل الخيال
لانه الموت فلا يرتشي … كالحكم العدل الرفيع المنال
ما الموت الا الدين مهما اتى … ميعاده يقضي بدون مطال
اولا فمثل تاجر يشترى … نفائس الدر ورطب اللئال
لذا يحوم عن بحور التقى … ياخذ منها من خيار الرجال
الدهر قدما هكذا دأبه … تشتيت اخوان الصفا واغتيال
لم يغن عن كسرى ولا قيصر … معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا الخورنق لنعمانه … ولا اخو الحضر نجا باحتفال
ولا حمى الابيض اربابه … ريب المنون بعد طول احتلال
ولا نجا منادما ابرش … معه بحسن عشرة واحتيال
سعى الى ان نال في المجد ما … يناله عن ارث أصل وءال
والبدر ان تمت منازله … لابد من سراره وانتقال
قلت وقد عاينته علما … يرفع من فوق رقاب الرجال
وازدحم الناس على نعشه … حتى تقطعت شسوع النعال
العين لا يرقا لها دمعها … اما الشهيق فهو باد وعال
لاتعنقوا السير فقالوا اتئد … فانه يوم تسير الجبال
فيا له مشهود يوم بما … حوى من الكرب وعظم النكال
يا هائل الترب عليه فان … تدفنه لم تدفن حسان الخلال
اقام في القبر وءاثاره … سيارة تتلى بكل مجال
وكيف لا وهو امام الورى … وهو المهذب الغياث الثمال
مقصد اهل الله يهديهم … معالم الذكر الوريف الظلال
واكرم الناس ولكنه … يبدأ عفاة بابه بالنوال
مجدد دين الهدى بعد ما … يكاد تعفوه عوادي اختلال
قد اوتي المنشور وهو التقى … وهو الذي حاز سني الخصال
وعلمه بحر زلال غدا … يقذف بالدر لاهل السؤال
وحكمه ينسيك هرمس مع … بقراط في غابر عصر وخال
اما اصطباره فنحو اولى الـ … ـعزم من الرسل بفرط المثال
ما شئت من حزم وعزم ومن … رصانة العقل وصدق المقال

وهمة النفس فما واجهت ينقاد فى الحين بكل انفعال
وفى فراسة يظن كان رأى والمعية لا تخال
ومن رئاسة حباه بها فى الدين والدنيا اله الجلال
وفى سياسة يقال لمن يأملها املت نيل المحال
ومن شمائل حكى لطفها ورد الرياض امطرتها شمال
ان قام فى الناس بوعظ ترى محاجر الناس جرت بانهمال
او باغت المجلس اطرق من به جميعا هيبة واختجال
لغير هذا من صفات لوى عن عدها العى لسان المقال
من ذا يحل بعده مشكلا او يدفع الحادث حتى يزال ؟
او يورد البحث على وجهه يطلب فيه النص دون احتمال
مضى ولا يمضى بنا ذكره حتى توارينا بطون الرمال
صب عليه الله فى قبره سحائب الرحمة صب العزال
صبرا جميلا يابنى احمد لحادث اذال وخز النبال
فرزؤكم عم جميع الورى بالحزن من وهادها والتلال
وفى ابنه محمد غنية وهمة ترقى به للمعال
هما لأفلاك العلا توأم اطلع ذا ، وذاك خاو يمال
يسعى لادراك العلا سعيه حتى ينال فى العلا ما ينال
وبارك اللهم فيه وفى اخوته الشم الذرى والمنال
واغفر لعبد الله من بعده فالحمد لله على كل حال
أرخ وفاته بذى حجة قد انقضى الخير وحاد الكمال

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى صهر الشيخ وابن اخته واحد مريديه

مضى الاخيار وانقضت الدهور وتم الخير واتصل الشرور
مضى الصهر الوفى اخو المعالى وخالى شيخنا الليث الهصور
فوا أسفا على قطب المزايا رحى الخيرات حوليه تدور
ووا أسفا على وجه تقضى يسر به غنى والفقير
ووا أسفا على وعظ اذا ما يسجره تذوب به الصخور
ووا أسفا لكل الناس طرا سواء منجد وفتى مغير
ووا أسفا لهذا القطر غابت به شمس على الجوزا تنير
مصاب عم مفظعه وهادا وسهلا والجبال كذا البحور
مضى من كان فينا خير وال اذا ما جاءنا امر عسير
وخير وسيلة فى كل خير اتيناه يحق لنا البرور
مضى من هو فى الاحداث طود رسوخ فى الشدائد والصبور
فان شئت العلوم تراه يبدى مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطي عطاء قدره جم غـزيـر
أو العزم اعترف بوضوح عجز عن افعال يقوم بها القديـر
وليس بـمنـكر ذا الفـضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جـد في نيل المعالى الى ان حـل ساحته النذير
رثيتك عن مجامر فى فؤادى يدك بها اذا اتقدت ثبيـر
فيا بدر التمام ويا مناطـا لكل فتى الى العليا يـطيـر
اتت سكرات موتـك لاتفدى بمال لا ولا يغـنى السمير
يحق لجفننا ابـدا دموع تمازجها الكئابة والـزفـيـر
فيا تربا حـوى اشلاء شيخ اتدرى ما حوت منك القبور ؟
رأيناه عيانـا ذا وضوح تـلألأ منه وجه مستنـيـر
وبعض مـن مـريديـه رءاه فقام لـه عـلى قـرب يسير
فصبرا يابنى شيخى جميـلا لوقع لم يـكـن منـه مجير
فبارك فيكـم ربـى كـثـيرا وفى الاخوان ما شيد القصور
فيا شيخى نزلت جنان عدن على جنبـيك ولـدان وحـور
فلا يحصى رثاءك دو قريض وان يرث الفرزدق أو جرير
سقى الرحمان قبرك مزن رحمى تلث عليه ما طابـت زهور
ولاقتك الملائـك باحـتـفال وجاورك الافاضل والصدور
عليك سلام ربك كـل حين ووقت مـا ترنـمـت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع والعين تدمع والقلوب تصدع
وتلهب النيران بين جوانحى ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
الدمع قد خد الخدود وفتها مثل الاصابع فت فيها اليرمع
أين الذين مضوا عنوا لملمة نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ ـبازى الاشهب والغراب الابقـع
لم انس حين وقفت فى ربع فما اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الذى ملك الدنية كلها حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ان المصائـب جـمـة لـكنـه ما مثل رزء على بن احمد مفجع
اودى فاودى العلم وانجاب الندى ان السهام لدى المنية شرع
لم تثنها عنه المعارف والعوا رف والجحافل والبناء الارفع
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر يـم ابن الكريم الالمعى الاطوع
ضاقت بموتتك الفجاج عن الورى كل بكاك ولا بكاؤك ينفـع
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا جـم غفير خلف نعشك شيعوا
نفديك هل نفس تفدى مثلها ان المنية بالـفـدا لاتـقـنـع

من للشهامة والصرامة بعدكم | ما فيهما للغير بعدك مطمع
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ | ـمجد الاصيل ثلاثة لاتربع
للشمس غور والمنير افولـه | وبقيت فردا فى دهورك تلمع

*

ماالبحر عندك فى الندا ماالليث بع | ـدك فى الشجاعة ماالشجاع الاقرع؟
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ | ـبحر المحيط وما تغيض الادمع
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد | ولكل شخص بعد شخص مصرع
ان الذى ملأ القلوب جلاله | وهدى الانام له مقام ارفع
عجبا لبدر كان منزله الثرى | ولبحر اعظم فى الركية يجمع
قسما بحب الاريحى محمد | لله على قلب الاحبة موقع
وله بشم قد مضوا كالجشتمى | واليفرنى اسوة تستتبع
فسقت سحائب رحمة ديماس من | يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
صلى الاله على النبى محمد | ما الورق فى اغضان ايك تسجع
وعليهم ابدا لدى محبة | ما الدين يجزع والصدور توجع

يعنى الشاعر بمحمد الاريحى كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتيمى ابا العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزنيت مات الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ

وقال ايضا

قد استوى الله على عرشه | والله غالب على أمره
والملك والبقاء والجبرو | ت والعلا لله لا غيره
يا ايها الباكى على فقد من | علا على الشموس فى قدره
ايه فقد اودى المنون بمن | كان امام الناس فى عصره
ابك او اعول ذاكرا وعظه | وجدد الحزن لدى ذكره
وقل لذى وعظ وذى ادب | الوعظ والآداب فى قبره
والوعظ والمجد الاصيل كذا | الذكر الجميل غرن فى غوره
هدى الجهول واستقاد العمى | من بعد ما غرق فى بحره
(ليس على الله بمستنكر | ان يجمع الاسرار فى سره)
الدهر قد نذر ان يغدر الـ | ـكرام بر الدهر فى نذره
فالرزء كل الرزء موت ابى | حسن السامى على غيره
لكنه هون ذاك بقا | الشيخ مجد الدين فى مصره
مجدد الملة شيخ الشيو | خ من غدا كالبدر فى دهره
محيي الهدى مهدى الندى والجدى | مردى العدا الشهير فى قطره
لازال ملحوظا بعين الرضا | ممتعا بالسؤل فى عمره
والموت فرض يحتسى كاسه | نظير ذاك الشيخ فى قصره

فالشيخ هون بترحاله مصائب الدهر الى نشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيخ

اخواننا فى الله وللاخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة اداب وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بالله الشيخ الاكبر سيدى الحاج على الالغى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ،ولا الرزء بهو التأثر الذى عندكم ، بل انموت الشيخ موت ركن عظيم منأركان الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بمايجب أن يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فماكان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية ويسددها فكم معوج قوم ، ومتأخر قدم ، وغافل ايقظ من وسن وسادر غض مماله من رسن فعزاؤنا فيه واحد ، والله على مانقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليمانى بعد نثر ونص الجميع:
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين المرحوم الذى رزىء به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الالغى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق فى الليلة المداهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة فعليكم يااولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالغية ، من المريدين ازكى سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالغيض وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من مصاب ذك العزائم ونتف الخوافي والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس فى الخلف ، لخير من سلف وما هي الا مصيبة جلى هاضت الاعضاد ، وانست الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمرية وعزيمته الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابياتا تكلفتها فى رثائه وان كنت لاادرك كما اهوى رثاءه

قضى امام الدين من لايرى له نظير فى جميع الورى
ما كان فى ءافاقنا هذه الا كمثل البدر ان ابدرا

كم مقلة اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرا
وكم سفيه رده سيدا فذا متى هذبه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالغية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان وعائشة وصفية وءامنة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختاروالحبيب واباالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال اولاده في كتاب (الترياق المداوى) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

١ ـ «المأمول المبغى فى مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الالغى» للفقيه سيدى محمد التادلى

٢ ـ «الفتح الموهوب فيمناقبالشيخ المحبوب»للفقيه سيدى الطاهرالسماهرى

٣ ـ «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود

٤ ـ «السر الجلى فى مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن عمر المجاطى

٥ ـ «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه

٦ ـ «من افواه الرجال»جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت ءاخذه عن اصحاب الشيخ فى كل مايتعلق به . كمااضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبارا الشيخ فيه عشرةاجزاء واتمنى لوامكن لى أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من غيرها على ناحية

٧ ـ «الترياق المداوى فى احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالغى

= ١٢٧٥ هـ = ٦-٤-١٣٤٧ هـ =

نسبه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه علامة ، كان علامة حقا ، ولا كل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمنة ويسرة ، حتى صار من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقيها يستحيى ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه القى أيضا ذلك الوصف بغير تبصر وأنه ممن يخبط خبط عشواء ككثيرين غيره ولكن بالآثار تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم في التثقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله وءاثاره ، قبل ان تستهويك بنيات الالسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذى خلف صنوه الاستاذ المتقدم محمد بن عبدالله فى تسيير دفة الدراسة فى المدرسة الالغية ، فكان خير خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم فى درسه من كان شدا فى درس اخيه وسار على خطته فى رفع شأن العلم واهله ، وفى تمكين اسسه فى الغ ، وفى ترشيح اهله الى ان يكونوا بهقادة معاصريهم، وفى تلقى كل من وفد للورود فى مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالواردين والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ماقبله ، فكأن الغ لم تزرأ بذلك الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاريحى الذى وصل بالادب الالغى الى هذه الغاية التى يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا فى التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التى تدرس بها خير قيام

من حين ان تولى المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اداباً وابحاثاً ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وفتاوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع فقامت به في الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت بأحاديثها الاندية

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كماذكرنا ثم التحق بعداخذه للقرءان بالمدرسة التانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ على صنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو ـ فالحقه صنوه باستاذ مسجد تاباحنيفت ـ من قرى تانكرت ، وهو سيدى محمد بن على الناعنونتي ، وبه وحده تخرج في القرءان حتى اتقن حفظه ، ثم الحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الماسي القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقي هناك الى عام ١٢٩١ هـ

في دراسة العلم

تهيأ للاستاذ صنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولا ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن على الاعضيىء الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه بأولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فاتصل به الشيخ الوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس في مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاه في المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من النهمين

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل في التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده في ذلك ، حتى انه في بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى على بوضاض الاخصاصي ، فأخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس صنوه ، ولا من دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان فى المدرسة الالغية عام ١٣٠١ ﻫ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفى صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالدالى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ماخلفه عليه الاستاذ المرحوم فى المدرسة الالغية ، فغادره الى ماخلق لاجله ، كما رايت ذلك فى ترجمته ٠

فى الاستعداد لقيادة المدرسة

فى المدرسة الالغية حين توفى مؤسسها ، نبغاء اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بلاشك تدربوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر فى مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه فى طول حياته ، فلاشك انه رأى فى بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدركه قبل ان يبرز فى الميدان ، وينقض عليه بواشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب،فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه فى المدرسة من جديد ، فأكب بمعاونته فى مخض الوطاب ، وسن الظبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغب فى كل مساء الى منتصف الليل ، فى استفتاح المغلقات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ ﻫ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه فى المدرسة بل يبذهم بذا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسمواتلاميذه بكل جدارة ٠

وقد حكى لى انه كان فى هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فى ايدى العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناءحام عادة مستمرة ان راعيتهم فكيف ان جعلتهم بأنفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما
هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمداخت الدنا ، بعد ان تقضت عدتها

أستاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسدالطب الا انصاف الاطباء ، ولاافسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقواوالله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التى يمكن للمسابق ان يبذبها صاحبه عند الحضر فى المضمار ٠

رأينا الاستاذ على بن عبد الله ، وماأثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن فى المعلومات التى يدرسها ، وفى العلوم المختلفة التى يلقنها فى المدرسة منذ

تصدر ، فرأينا ماخلبنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة ٠

كثيرا مايوازن طلبة المدرسة الالغية فى اسمارهم بين ماينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه فى قلوبهم ، كأنه نقش على حجر وبين مايتلقونه عن غيره ممن يستنيبهم الاستاذ فى المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطيرعن ذاكرتهم قبل ان ينفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف مايتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه ٠

قال بعض الفتية الالغيين لدرس واحد ءاخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة ءاخذها عن فلان ، سمعت ذلك بأذنى ، وهذا الفتى من البق النشء الالغيين ٠

وقال ءاخر ممن كان ربض بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ ءاخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهر المدرسين فى اول نصف هذا القرن اننى اقوم عن ذلك الاستاذ وكأننى بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اعهد من نفسى اننى استحضر كل ماأخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكأننى اخذته عنه الساعة او كماقال ، وما السبب فى ذلك الا ماذكرناه ٠

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته فى الدروس وارخاءه العنان للمباحثين ـ وان عرف بادىء بدء ان سهام المباحث طائشة ـ حتى يفهم مباحثه غلطه بالتى هى احسن ، أمر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا اوجالسه فى محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء فى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، أوفى اى مكان ءاخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسةالالغية من اواسط عام ١٣٠٤ ه الى نحو ١٣١٣ ه حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابى القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقى بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سياتى

قولة الشيخ الوالد فيه

اسمع ماقال الوالد فى هذا الاستاذ فى شعبان عام ١٣٠٥ ه فى رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع:

وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السميدع النبيه
يطوى الطريق معنا فى السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فذاع فضله
علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخذم صمصام
لم تلهه الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدى على

يولي القضاء من حضرة السلطان

في عام ١٣٠٣ ٤ عاد السلطان مولاى الحسن الى سوس ، فعاد العلماء ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب الترجمة اقتداء باخيه الذى له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صحب ركابه باذنه الى وادى نول ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغنى الاساكى البعقيلي من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه والناس كلهم ينتظرون نكاية بالشريف الحسين الايليغي الذى يتخلف عن حضرة السلطان ، وكان الابلاغنى من اعدائه الالداء فيتقرب بذلك فقال للسلطان حين قدم اليه الاستاذ ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد على بن عبد الله الالغى السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر في الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يردد الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا من تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه من القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه في السر والنجوى الهمه الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، في ٢٢ شعبان الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير في وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور

ثم جدد هذا الظهير بظهير اخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلولى

التحاحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني
«يعلم من هذا الخطاب المحكم العرى السامي الذرى ، اننا بحول اللهوقوته وشامل يمنه ومنته ، أقررنا الفقيه السيد علي بن عبد الله السوسي على تولية خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر في ذلك فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن في ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذى ضرب اليه اكباد الابل من شد لالتقاط درره ازره ، وبأن لايخرج في الحكم عما جرى به العمل ، والراجح والمشهور ، انلم يكن ثمعمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما سماعا مستوى الطرفين وبان يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر في كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتاخذه في الله لومةلائم وانيشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم في الظاهر والحشا ، فان للخطة ربا يحميها وللخليقة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من الزلل ، ويوفقه لصالحالقول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ ه
وفوقه الطابع الكبير في وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه وفي دائرته ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا
«خديمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلولي والقائد سعيد المجاطي ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدةقاضي مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طي كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ ه
وفوقهطابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
والظهير الثاني الذى ذكرنا تجديده هو الظهير الحسني في تحرير المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره في ترجمة الجد

في رياسة إخوانه المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على مالابد له منه من مشارفة امور اسرته في الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولىعلى الدراسةوملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لاكبوة معها ، اذا جالت المباحث في ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه احيانا ليراقب اسرته التي يفرط ماشاء الله في شئونها ، فقد يغادرها بينيدى بني حام ، الذين كانوا في زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأىان يرتكب الحزم الذى هو شنشنة راسخة في اهالينا في كل ما يزاولون – كما

قاله الوالد فى احدى مقالاته يوما ـ وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك   فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملأ الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ ه الى عام ١٣١٥ ه ثم فاجأ فى تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من فى جنوب سوس فى مقيم مقعد ، فاذذاك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا القاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاب المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها •

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك فى ترجمته ، فندب الاستاذ الى أن يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضا ، اتباعا لما فى الظهائر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطى والقائد مباركا البنيرانى اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمغارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد فى تزنيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما ألحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها فى القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها •

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى ، اذناله فى قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره،وصرفها فى مصالح زاويته،اعانة على البروالتقوى وعليه ان لاينسانا فى صالح دعواته فى خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ ه» وتحته طابع القائد سعيدالكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البنيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها

محبنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى وخادم مولانا القائد مبارك البنيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوته ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهى امور المرابطيـن اولاد سيدى عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لاتقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا اكدناكما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار والسلام فى صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولى

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضدهالايمن ، وهو القتيل فـي بعقيلة ،

ومـنـهـا

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطى ، وبعدفلا تتعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم فى كل شيء شيءواعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام، ٦ من جمادى الاولى عام١٣١٦هـ وتحته طابع القائد سعيد الكيلولى

ومـنـهـا :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البنيرانى ، السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرنـاك بالتخلى عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل ذلك فلاتلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولى»

ومـنـهـا :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطى السلاموالرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبـعـد فقد نهيتك عـن التعرض للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاويته بـمـا يؤذيهم ، فلم تمتثل عياذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذالك عندى عظيم عجيب ، وعليه فلاتعد لمثل ذالك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن) فانهممنخدام الزاوية،ولايبلغنا عنك مايسوءنا ولاتكلفهم بشيء قل اوجلوالسلام:

كتبه اليك بـ ٢٢ ذى القعدة ١٣١٦ هـ وتحته طابع القائد سعيد

ومـنـهـا :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطى سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فماابرمناه للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالغي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لاخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ ه وتحته طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه، ولسنا من المتكلفين اللابسى ثوبى زور ، الذين يتعالون الى ما لايثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء مايلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البنيرانى الضاريين اللذين لاير اقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفزع الى القائد سعيد كلما نلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يأمره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألنه عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذى يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنوني الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ءاخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولى الحاج المهدى المنابهي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابهي مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هو الحامل للمنابهي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولي لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطى الى القائد النفلوسى ، بعد ما انفلت من الحصار الذى طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين فى شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعيديين ، فمكنه من ذلك فسقط فى يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطى ، ولكن الله كلأه من ذلك بعنايته ، ومن كلأته عناية الله فلينم فى آجام الاسود ، ملء عينيه فالمخاوف كلهن أمان

وسوس القائد سعيد المجاطى كثيرا ، والقى فى روع القائد محمد انفلوس ما القى فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد فى ترك ماكان على ماكان ، وان لاينتهك من الحرمات التى كان يحترمها ابن عمه الكيلولى ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية فى وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ،فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا، فقال له الوالد، ان استحققت من الله تأديبا لشىء اجرمته ، فهو الذى يتولانى بنفسه ، ولاتتولانى انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بأنفسهم ، واذ أبيت الأن تولى عليهم القائد سعيدا فأنت وذاك ، ثم انفتل من موضعه رافع الرأس كأنه لم يكن امام ذلك الرجل الذى لايبالى بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولارأى وجهه الى ان مات شر ميتة ، مع انه كثيرا ماينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ مالايعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد

اذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد اليه بوجه ءاخر الدهر تقبل

وينشد ماقاله بعض الالغيين

اذا انسد باب من امير فان لى من ابواب ربى الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربى وجهتى انل كل ما ابغى واظفر وانجح
أأعرف باب الله ثم يخيب لى رجاء وراجى الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطى امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده فى بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التى لاينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولاءاباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطى كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لايحوم حوله ، ثم لايحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لايذره وذلك بما أمكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ ويهدده اشد تهديد من بعيد ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التى ادخلها فى ايام الكيلولى

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاخصائه لاخاف والله الا سيدى الحاج علي ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي في الفقيه ،وان لايرجع الى داره انجاء الى هذه الدار ، حتى اذا أراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمي وأفتر فيما أنويه، وقال مرة أخرى : عجبا من الشيخ فاني لااكاد على رغم انفي اتخطى مقاصده، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد •

ثم انه عزم مرة عزما اكيدا على انينفذ ارادته في الاستاذ ، قال القائد ألعربي الضرضوري الرأسلوادي الاولوزى ، فركبنا معه في مائةفارس ، وهو في حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لايرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا تعجبنا حينصدرنا بخفي حنين صبيحة اليوم الثاني •

جلس الاستاذ في دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل رداءه المذهب في جو الغالصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة والبهجات في المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا بعاديعدو الى الجالسين فقال لهم انخيلاكثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفتل الوالد والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاجيين وغيرهم ، فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لايهجس في قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفدخير ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام في دار الاستاذ ، وفي دارالوالد ولكن الاضياف فاجأهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التي صمدوا اليها ، فقد طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك في محاربة مع الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم في (دراووغ) في نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا في تلك الليلة امام باب ثويه والقائد سعيد واصحابه في داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس الاضياف يمد اليهم مايحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذايكون مثل هذا العبد الاحوذي الجميل لفلان الفلاني ـوعبر بعبارة لاتكتبـ فلماذا لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ فقلت له في نفسي : واللهلاترينه ايهاالجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته •

في منبثق الفجر ، أجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن (دراووغ) وهم يطيرون بأجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا •

كأن فجاج الارض وهي بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمي اليه بقاتل

---

١) البدراريون الجبليون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عنجبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاكر القائد مباركا البنيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لاتفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريده بادئ بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين ءامنوا ، ومن اجترح ذنبا أومس حمى فلابد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيا نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزنيت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذي خلف صنوه في مركز تيزنيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه مالاقى فانجحر القائد سعيد المجاطي في تاكجكالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رأى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبا معا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاكجكالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ماانقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لاكلام ولاما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق مايفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد مايجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكي لي القضية فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لاودعه هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما ارده عن ان يمس الفقيه ،واذ مسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاكجكالت هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك ءاخر عهده بداره ، وءاخر خيط انقطع بينه وبين ايالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمنتهى الانفة ، فلم تذره نفسه ان يتطارح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ماكان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذى لايضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «اليس الله بكاف عبده» ؟

في شمه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغي

اريد منك ايها القارىء ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرته في حياتك وان تتذكر ان هناك ءالات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ماتلاحظه ان لم تشاهد قط معملا ءالات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهةواحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا وءاخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى علي بن عبد الله الذى افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذى افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيون النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين،لانهمالايكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواصلا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تئاخى الجيران مشهدا ومغيبا ؟

ولبس اخى من ودنى بلسانه ولكن اخي من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما ومالى له ان اعوزته النوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحدوينظران معانظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذى يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقاة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وأدبه العالي ،وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليها كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هوغاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذى له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه لمارأى ان تصوفه هو ، وماطوق بهمن الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذى يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوفه ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من ءانس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويزود ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الاعانة فقط ، ثم لا يتداخل فى ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هورب المدرسة الذى ورثها عن صنوه وانه هو العلامة الذى لايجارى فى ذلك الميدان، وكذلك لايسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولااتته قبيلة المرابطين بشىء من عند جميعهم الا أمرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة فى ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لايعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى الاستاذ مكانة علية ومهارة يقتدر بها على الادارة فى مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تطلب منه المرابطون ان يرأسهم فى أيام الحاحيين فقال كلا ثم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لايزالان كذلك مجتمعين فى الحضر والسفر مالم يشتغل الوالد بمريديه فى زاوينه ، اومالم يسح اليهم فى اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيفهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كأنهما فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالت اوفى طريقهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، اوتعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فرافقه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه ءال أمتضى ان يقف لهم على عين حتى تخرج – وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التيبيوتى المتقدم – وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولايحب ان يشتهر به ولاان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لايرد من يتطلبه منه الابحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلاأمتضى ، فقال لمن هناك لابد ان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ماتسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع مانبنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فتراءى لئال أمتضى الجشع العظيم من العالمين الالغيين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يتبسمان ،وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ءال أمتضى الى الغ بعد ذلك اليوم ولاذكرا بعد قضيتهما .

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

على والى الحاج ابراهيم الايغشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء اخر اقول ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايغشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايغشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيبات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشؤونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائم الى ذات بينهم منفذا فقام بهم من العلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو أمور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى

هذا جزاء امرىء اقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا مايذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لايجد فيه معينا ، اورأى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عندمصلى العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغ فأرادوا أن يلتهموا أملاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بماكان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا مايتمصصون ولايشتكون اليوم الا من فقدانهم ماكانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فأنى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لاأزال اتقلب فى كساه التى كسانيها الى الآن وقد انصرمت سنوات كثيرة قال الزكرى ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا اخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أبمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين اوغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تئاخيا حياة ومماتا رحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التئاخى .

ولبعض الالغيين

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قدهيل فوقكا
ويعلن في كل النوادى لسانه من الفضل والمجد المؤثل حقكا

بين قضاة تزنيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال الداهم بزعازعه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم فى امواج متلاطمة مهاجمة ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتتموج بـه جوانب المغرب فبويع الشيخ احمد الهيبة فى جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدى رؤساء القبائل الجنوبية وفقهائها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة المنتشرة ممن لابد ان يكون فى طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين اقرانه فى كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك ثلة من العلماء بتزنيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شفوف ورهبة وجولات اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات نثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة والى أخيه النعمة فتمشي فى فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ـ ومتى لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم فى شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك فى شئونهم العامة ـ فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بماعرف عنه رحمه الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين

وقد وقعت له هناك بتزنيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذه امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعة من سيدنا الفقير الصوفى فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه السكر ، فأراه مسيل الماء الذى يكف به السقف وقال ان السكر ذاب كله من وكفات السقوف بالمطر ، ولاأدرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم يستقص فى السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما تداوله المقراج والبراد فى حضرة سيدنا الفقير الفانى فى حضرة ربه

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعنى لوتعى
او قال قد وقعت فصدق أنها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضى سيدى محمد أعمو ـ قاضي تيزنيت اليوم ـ يباسط هذا

الفقير ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك السكر انما ذاب بين حرف الكأس ورشفاته ، ام انالقدر هو الذى أملى انالذى ياتى بنقط المداد منالبراع بين الاوراق ، فمن انيذهب مشروبا بين حبات السبحة وبين كأس دهاق •

بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح

أجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب الترجمة مع الحاج ابراهيم الايغشانى ، وقد مرا فى رجوعهما بتزنيت بعدما جلاعنها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان انجلاؤه اثرعيد الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان داعتهامرأة من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها فى قضية فى تلك الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه ثم حفزها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم فى تلكالقضية فلم ينالوه، ثمانفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا بهفوضعوا البرغوث الآن فى اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشىء من الاستاذ فحين علم من أينمثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقدقال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه الالغيين دائما لوعلمت انفى تيزنيتمثلهذه القضية لمامررنا بها ولكن كان امراللهقدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من أمثال هؤلاء الفقهاء انهم انما يريدون انينالوا منورائهمضغة حيناعوزهم ان يشقوا له غبارا فى ميدان القضاء ، لايمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقذاة تسقط فىعرض عبابه

افتقذى عرض البحار قذاة ان رمتها فى جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثمالى تيمكر ثم حط رحله اخيرا بكردوس ، وفى كل هذه الامكنة لايغب المترجم زيارته ، ثم دارت بينهذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التى ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مايس المنابهى والقائد ابن دحان والباشا الحاج التهامى الكلاوى والقائد الكنتافى وغيرهم من ضباط فرنسا وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا فى الاستحواذ على القلوب فى كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى لايتكلم فى المجمع العام للقبائل -كماحكى لى الاخ احمد- سواه، وسوى القائد المدنى فهماالعضدانللشيخ احمد الهيبة،ولسانهالذىهو يبلغبهالهيبة ماشاءلهذه القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واقيم صنوه مربيه ربه مقامهتمادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ انشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهيبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرياسة وكاد يكونوحده قطبا لايتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى تلميذه يسانده ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضرامعا فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود كماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرالى - كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن- ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرأيه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة توثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصح لاخوانه لاغير ، ولايقصد اى شىء اخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيراما يجعله تكأة ، يسرفى كل مايفعله من ذلك الحسو فى الارتغاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لايذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هوالذى يظهرمنه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذاكان يحسن فيه الظن ، لطيب سريرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعدالناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون •

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لايابه بماينال فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهيبة وخلفه مربيه ربه -وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لايريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمز عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فأجابه مربيه ربه بأن المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الانادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمنة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العار والشنار اللذين لاتبقى معهما مروءة، ولايحفظ بهما عرض الان الصحراويين كمثال الشيخ ماء العينين يألفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلة حتى ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبة الملوكى بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الارائك التى سنمها جديدا ، فقد اخبرنى باشا الحمراء اذذاك صديقى السيد ادريس منو انه فاوضه فى ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريفات الابكار الموجودات اذ ذاك فى دور القصبة من بنات الشرفاء العلويين ، استقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاوضهم فى مثل هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريدها من هذه الآنسات العلويات ، فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واختلق انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانما تاخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارع والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له فى تامصلوحت ، فقال اونساؤهم هناك ؟ فقلت له ان الخبر عن ذلك دون الخبر فهكذا اسطعت ان افلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول تامل فى هذا السيد الذى اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما يملأ فراغ وقته ، كأن الايام ساعدته فى كل شىء اوكأنه نال كل متمناه ولاينقصه الاماهو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ماكانوا يبالوا وهم فى مثل هذا الطور بذوات القناع (وان بتن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراسانى الخنذيذ الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفى الانسان ان يجن مرة واحدة فى السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغوانى فى قصره وقد استلأم واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه فى موقف الوداع ، وكأنها تقول له لمن تذرنى وراءك ؟ فساعدها من فى القصر من الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى وهو ينشد ماقاله كثير

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكى مما شجاها قطينها

فمثل هذه الهمة هى التى يريدها الاستاذ فى الشيخ الهيبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلايستطيع ان يملك قبقبه ولا ذبذبه ولا كبكبه (١) • ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذى تزوج بمائة وست عشرة بالتوالى على نية امتثال الحديث تزوجو الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة • فرضى الله عن الشيخ وابنائه • وانما الحديث ذو شجون

---

١) تفسر الكلمات، باللسان والبطن وءالة التناسل واصل ذلك حديث

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الاالاشراف عليها من بعيد ، ومشارفة احوالها والقاء بعض دروس عاليــة خارج دائــر الــدروس النظامية ، يوم يمكن لهذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه فى حركة دائمة لايفتر فى الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحى لتعج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديارالوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى اوحكم مــما حرره بقلمه ، واحدا اواثنين اواكثر ، وكل ذلك بعبارته الفصيحة التى استمد بهافقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلايدع الــقــاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لايخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لايغادرها ولكن الرزق قدانقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى على الاوفقيرى حينا ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضامن وقته حظا لتمشية الدروس النظاميــة وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله مــن عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العواشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صائم الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية لياخذا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدره فى المدرسة ، فأخذ عنه من فــى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كماكان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض أو اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرقدوة للطلبة ، وقد اخبرنـــى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه أرسله فى عواشر الى استاذ مدرسة افــلا أوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفــرائض ، والبخــارى سردا فى رمضان ، وأين نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لايستنكف ان يأخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعهده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلومه وبمدرسته الخاصة ، فلايكاد يسلم للاخرين مكانتهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فياخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفى ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمز المدرسة الالغية مغمزا ياباه الله والشمم

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم — من اللوم اوسدوا المكـان الذى سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالمى فى مبدأ أمـره ثـم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت ياخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا فى مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلـك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلـبتـه ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لايوقد فى مطبخ الا اذا أوتى به من بعيد ، وشأن الحرث والحصاد فى الغ ادهى وامر ، والعبيـد وهـم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ماوجدوا ، لايؤتمنـون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، أفترى مـن كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تنتابه فيـنـات نوبات عصبيـة تقيمه وتقعده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لينا طيبا متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعيا لجبر الخواطر بالغا اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الا راضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارخاء ولايجبه من يخالف رأيه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان مايرجع ، فربما يلاقى رحمه الله فـى امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكيك مايضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لايخرج عـن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه — لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبلى الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لايكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه مايرى ، ممـا لايتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منـه بعض المرات ثورات ، لايقف امامها واقف ، وخصوصا حـيـن يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة فلاازال أتذكر انني فى بعض الصبية اترابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هرول الينا ، وصوته الجهورى تصتك به ءاذاننا فرجعنا باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمى باحجار كنالهل مستهدفين ، غير ان الله سلم فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نصب اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه في قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطرق ءاذانهم قول القائل

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم منفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لايلبث ان ينهال عليهم ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتبرىء الموائد البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده فيما بينه وبينه ويشجع كل من ءانس منه تقدما فى فن من الفنون التى يعتنى بهاالالغيبيون وخصوصا علوم الدين والادب وماالبها ، فكل من رأى له فى ذلك اثرا محدثا مقالة اورسالة اوقصيدة اوقطعة ، يعتنى به غاية الاعتناء ويجمع عليها اهله ـ وماأهله الا علماء نجباء متفوقون ـ مع من وفدوا على حضرته فيلقى عليهم بنفسه مااحدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجته العذبة فان كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل اعلان ماكان مستحسنا ، ويغض عما راى من الزلل مع التلويح الى مافى ذلك من غير تصريح، حتى لايحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتر همته والتشجيع دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا فى الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا من تلاميذه الالغيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعتنى بكل ذلك وان صدر عن اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانت وايا كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من احدهم خروجا عن اللاحب او ءانس مايخل بالمروءة او يهتك سمعة المدرسة فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه فى المدرسة ، فاختلفت عليه الحبال حتى يكره الغ ومااليها ، وتمنى لولم يعرف اليها من سبيل ولاورد بلا شوك ولاروضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لايمكن ان يتلى ازاءها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالغيين فى الموضوع:

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة	وقد اعتدى شاركته حيث لاتدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له	خلائق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يردها	سوى كبحها بالجذب والنهر والقهر
ومن كان ذا حزم فلابد ان ترى	له ضغطة حينا وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نغل لابد فيه من الصبر

فعلى هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالغيين ولااعلم الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير تربية الالغيين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا اخر فرارا منه على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل مايقتدى به ، وفى الحديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق منا نحن الالغيين هذا الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذه المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطىء ، اشتهر بها ، لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزبه امر واستحثه ان ينهى مفسدا من المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفتل عن ظهر بغلته ان صادفه الحال راكبا ، فيقف على رجليه ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم من يد احد بنى ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدها من لايعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكسل عن تردده الى مكتبته مرارا اليوالى الكتب التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولايكل ذلك الى احد وان اتفق ان أرسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لينظر كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

---

١) كنت حين لبثت فى تينجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى عددتها اذذاك ازيد من سبعين وسميته (مواقف مخجلة)

هو التالى للكتاب ، او الملقى للقصيدة ثم لايشعر به وقد انتشب منحضر فى مبحث همفيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة فى طريقها ، فينسل من القبة الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ،ثم يرجع بسرعة فيدخل من ذلك الباب فيمثل فى المحفل وشيكا ، فيشارك فى المبحث الذى ترك المجلس منه فى قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة فى الكتب الحاضرة ويأتى من الكتب بمااحتيج اليه ايضا كأنه خالى البال من كل شىء الامافيه اولئك العلماء وكأنه ماقضى شغلا ءاخر خلسة وهم لايعلمون ثم يشاركهم فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقيها على المسامع واريحية الادب التى تنسى كل شىء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادى احيانا بعض من يوصيه بمايريد ، اويسأله عمالايريد اويأمره بعلف البغال اوبايرادها الماء ، ثم لايقطع عنه ذلك تلك الموجات التى غمرته وغمرت كل من كانوامعه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا فى النوازل حتى ان عادته المعهودة –وقلمايخرج عنها – انه لايبت فى نازلة حتى يشاور ءاخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن محمداليزيدى رحمهالله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطال اللهعمره والعلامة سيدى الحاج أحمد الجشتيمي والفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى والفقيهسيدى محمد الجرارى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد فى حضرته من العلماء الذين لاتخلو منهم ، فلابد ان يذاكرهم فى كل نازلة يزاولها فتأتى له بذلك ان سار بقدم ءامنة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه من يردها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا مايرد نوازل غيره وينقضها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه فى ذلك فتاو مراكشية للاستاذ الحاج العربى الرحمانى ، وشيخنا مولاى احمد العلمى ، فمن دونهما نقضها نقضاتاما ونكث غزلهانكثا وقد ذكرناها فى (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة اهل هذه البلاد لايتجاوز فى الفقهيات هذه الكتب المتداولةغالبا ولذلك نراه ونرى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمهما الله يميلان الى انه لازكاة فى الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب فى المراجعة ولايتوسعون فى المراجع العليا ، ولايشاركون فى الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لايطالبون بماليس فى مستطاعهم ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا وفهما وتمييزاوسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبدالله رحمه الله الذى كان ثانى اثنين فى الغ فى عصرواحد فنال الغ بهما مابلغ ، ولله در بعض الالغيين اذ قال فى مقام ايجاز :

اككف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن لى بان بان احصى الرمال بعالج ومن لى بأن احصى بعدى الكواكبا

آثار قلم الاستاذ من النثر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه ءاثار قلمه ، ولاكل اديب علامة يفتش عن ءاثاره فى التثقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى تأتت له وجهتان، وتيسرت له هجرتان فأمكن للسانه الذى يدرس به ويلقى به مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجم الغفير من ءاثار تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لايهدأ بين الدواة والقرطاس ان يفيض علينا بءاثار قيمة رائعة انقيست ببيئتها زخرت بها الكنانيش وافعوعمت بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارىء ان نعرض امامك من ءاثار قلمه اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من ءاثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا . ان قلم الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صنلعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فى الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهيبة سأله مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبين الكبيرين ، صاحب الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابه الاستاذ اليزيدى

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالغى فى النثر ابرع ، ولايشق له فيه غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزع فى القوافى فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لاينكر نظره السديد فى الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولايحيدون عن سبيله فلنكن معهم فى ذلك ، وأن كان يتراءى لى وقد مرت تحت يدى من رسائل الاستاذ الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقته مبلغا ربما يقصرونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا اخاف اننى لم أتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا، فى عصر غير هذا العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض ءاثارهم بحسب الامكان

لنحوك ما اخفي من الشوق اوابدي　　فياليت شعري كيف حالك من بعدي
غدونا كندماني جذيمة حقبة　　فغيظت ليالينا فأصمين بالبعد

سلام ارق من نسمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كئوسها فى ابتسام ، وسناها يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت لـه السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة　　وقدره المعتلى عن ذاك يغنينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون النأى من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفني بقربك ماتحلولى لى به الحياة وترينى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربـك ما عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة التى قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكأن الدهر عنا غافـل　　فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بـحـديث طيـب　　فكأنا نترامى بالزهـر

ايام كلها غرر وحجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا مـا أتأملها بين ايام اخرى فاتبينها فى اثنائها كثوب فى اثنائه علم ، فأين منهل يوم العرجى الذى غاب عذاله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بذى سلم ولاعيب فيهـا غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا فى تكدشوق اطول من ظل الغداة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تـهـب عند اقبالها بريح رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا　　سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضيء الكون لكنها متى　　تميل تديل الظل يستتبع المليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما واسيمهما مايروعهما وأتمنى لو كنت كلى عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه وظننى من جنسه ، فافاض على من حلاه واقبسنى من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقوالـه وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تتوهمه عيونه ، على عكس قول ابـى

الطيب المتنبى ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقدعبرت عن جوهرك الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عنذات نفسك ولاينبئك مثل خبير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل كل الدلالة على انهبين علماء سوس ، علامة نحرير) وقد تتبعتها فظهر لى فى بعضها ايضا بحث ءاخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلكتاملا فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد توزعتبماتحتاج اليهالنفس ومتى اوعينا فى المخازن الجبوب ، (ونفضت من همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفادة ، التى نرجو اننرى لها عن قريب ثانيا اعادة ، وأما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله وإياكم كل ضير ، والسلام

واقول : ان مابين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، بعدماكتب الوفقاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لاتقابل بالردى   ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر   ولابات جفن العين منك مسهدا
ولازلت مسرور الفؤاد ممتعا   بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولازلت حصنا للافاضل سيدا   منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ، وتسمه بالخضوع والضراعة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول ألمجترىء على نفسه الصئول ، على بنعبد الله بنصالح الالغى ، وكيف اعبر عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماashهاه وابغى ، الى منلايزالفى الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافى الاخوة ، سيدى الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهوعلى من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ماعاينت أمره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لايضاع ، فهلرايتم احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافاناوقد تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصابيح الظلام وخدمة الانام ومعتقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعي وقتهعلما وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافراني ، والمدرس الاتقى والاروع الارقى سيدى بلقاسم التاجارمونتي ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولد الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا وءاخرا وطاب ، سيدى البشير بن المدنى ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لايلحق له غبار ، فى مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمد ابن الحاج محمد اليزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبالى من لايغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرأ الجميع كتابك وهم يديرون الكأس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشأ سيدى الطاهر بن محمد

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود	وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له	وان تناوله الآساد والسود
ياخير اخواننا فى الله ياعلما	بهديه تهتدى الصيد ا لاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة	فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت	منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم	ما غمنا زمنا فيومها عيد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة	قد فاض فيها عليك الامن والجود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة	الى يديك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على	روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يابدر الكمال ويا	من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ماقاله لله دره ، ولافض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداه مما تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرأتها بلذة اية لذة

وواثق بالليالى الخادعات له	يغتر بالبيض لايخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقلت له	هل يطلب النحس الاكل مسعود

وبعد فلاباس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزيادة والتحريف مايسمى مسخا لانسخا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم اخر صدر من الاستاذ عبد العزيز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل هذه المشادات التى كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة كل حر ورقيق»

علامة العلماء واللج الذى لاينقضي ولكل لج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجماح فى ميدان الافادات،وماجبل عليه من انشاء مامنشؤه المعاداة،المحفوظ بن عبدالرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فيك الاغاية الكمال والصفاء ، وزننته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فانى مانقضت مبرمك ولاعزمت فيه بشىء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى مافيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم الحساب والعرض على انجميع مارقمته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا فى هذا الأن اختلقته وافترينه من عندياتك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لواجيز لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا فى أمر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ،ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضى دائرة اطلاق ، ولاينبغى للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بماظهر له،وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لاتبقى قضية على فصل ابدا ، كمانص عليه القرافى فى (فروقه) واما ماذكرت من مخالفتى ففيما مضى وان الحامل لى على ذلك جاه المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى أراه لك وأرضاه لكمال دينك ووفور علمك ، أن لاتتعرض لسخط الله وغضبه باسخاط من رباك وعلمك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولى،زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك واتهم رايك

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي   والنصح اغلى مايباع ويوهب

قال تعالى «ولكن لاتحبون الناصحين» اقول وحليي عطل،ونطقي خطل: مكره اخاك لابطل ، واما ماذكرت اخيرا فاني فيه تابع لك ولامثالك من كبار العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فاني مساعد عليه ولاملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضله من أيدى الغفلات اسره ءامين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه في المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفي حوالى ١٣٤٠هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراث والده يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام من والد يحب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيذك ان تشتغل بمالانتيجة وراءه وأن تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه،لم يفرط في العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة نجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابة ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتى لك احملها للفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراكش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك في شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالغيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس أذواق نصها :

اعاطى أ كؤس السلوى نديمى   وبى مابى من الوجد العظيم
وأبدى فى منادمتيه انى   بجنات وقلبى فى جحيم
وادمج فى الحديث انا سليم   وما يدرى مرادى بالسليم
واكثر عن نبى الله موسى   لما لى معه فى لفظ الكليم
واجرى ذكر مكة فى حديثى   لما للقلب من معنى الحطيم
اريه ان قلبى فى نعيم   وقلبى بالصبابة فى اليم
واخبره بانى الخلو صدقا   ولكن من سوى الوجد الصميم

واظهر انني جلد ، وغمز بجانب مقلة يعفو رسومي
إشاممه الدبور لكي الاقى تغافله فانعش بالنسيم
واجرى وصف بيض الهند لكن مرادى لحظ سوداء الغميم
احدثه وقصدى عين نجد باخبار الفوارس من تميم
ويذكر ليث خفان لساني وما يعنى سوى ظبى الصريم
ويتحفه عن اخلاق لطاف بالطف من نسيم فى وسيم
فيحسبها لقيس وابن قيس (١) واين النجم من مرقى النجوم
وكيف ولا تليق لغير فرد عديم فى المجادة المقسيم
خضم العلم يزبد نور هدى يضيء بغيهب العصر البهيم
ابى الحسن العظيم اسما وقدرا فزره تزر عظيما فى عظيم
من اللائين ان جادوا يجودوا بما يغنى عن الغيث العميم
تفى ابدا بروق الوعد منهم ويخلف كثرة برق الغيوم
وهم ما هم ذكاء فى وقار كمشبوب على الطود العظيم
فكم احيت قرائحهم علوما عظاما وهى فى عظم رميم
اذا اقلامهم وشت نظيما تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
فيشهد والنواظر شاهدات حلال السحر فى ذاك النظيم
ويمرح سالم الاذواق فيه ويبهج بين جنات النعيم
زكوا لما زكوا اصلا اينشا قويم الظل الا من قويم ؟
اذا نعم الاديم كذاك ياتى شراك قد من ذاك الاديم
وما يرضون الا باهتصار اذا ما الغير يرضى بالشميم
علت بمقامهم رتب المعالى وكم ربع تعالى بالمقيم
تغالى فى حلى تلك السجايا مغالاة العواطل فى النظيم
سجايا بل رياض صافحتها مبللة الزهور يد النسيم
فهن ارق من خجل تسارى بلحظ الصب فى الوجه الوسيم
والطف من مسارقة العذارى باطراف الحواجب غمز ريم

* *

ابا حسن ومثلك من يوالى على بعد المدى نصح الحميم
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ، الى وصاة لقمان الحكيم
وصاة لو مشيت على سناها لكنت بها على قدم عظيم
وصاة كنت لو انى عليها على متن الصراط المستقيم

---

١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم والنجم الاول نبت معروف

٢) عبد الرحيم القاضى الفاضل وزير صلاح الدين واليه تنسب الطريقة الفاضلية فى الادب

ولكن كيف ـ وا اسفا ـ ونفسي، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف ـ واعجزاه ـ دبـــغ ـ وليس بنافع ـ حلم الاديم (١)
على انى ـ ولم اقنط ـ لارجـــو قريبا رحـمـة الله الـرحيم
ايعوز ـ لا ورب البيت ـ ما قـد اشا ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن علي وهوياخذ بالمدرسة الادائية :

«من علي بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته، وبعد فلاباس ولله الحمد وبيد الحامل ماتقتضي به الضروريات ، هذا وقد انشأت لـلاخ الاديب سيدى محمد بن الطاهر قصيدة عددهاه١ بيتا بينت له فيها عظم نعمة الله عليه ليشكرها ومطلعها

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف اماثل مجد

واجابني بقصيدة في عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقدطلبت منه ان يكف عنكم معشر طلبة اداى ، وان لايبعث اليكم سريات القصائد ، علما مني بعجزكم عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتي عنده مقبولـة فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معي ايها القارىء از اءهذه الرسالة ، لترى كيــف تبعــث الهمم وتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لتنظر الى المقامات الحريرية بغير العين التي تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم في الجامع اليوسفي ،فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات في هذا الجامع عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب أمرا أمرا حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فـي المعيار للونشريسي على انها لاتقرأ في الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معـك من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قـد توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد اتصل كل واحد منهم بمدرسة اوبشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة بعد فينة ، وهو ذلك الاديب الاريحى الذى نعلم منه انه اجتماعي لايطيب لـه

---

١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلمة ، وهي الدودة التي تفسد الجلد قال:
فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقي دائما في كل ناحية ، فكيف يرتاح لسكون في عزلة اوانفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقوا شذر مذر ، وءاخرهم الاديب البوزاكارني الذى ترك بمغادرته الغ مقام الادب خاليا وثغره شاغرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياته الاخيرة ، وفارس الادب الذى يقبل بالحلبة كماشاء ويدبر . وقداندفع أيضا هذا الاديب الى من لايعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التى ذكرنا ان الاستاذ صار اليها ممايلاقيه ممن لايعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المضاهي في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامي ، الذى لااسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطة بى من ورائى وأمامي

نزيلك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من البلاد
وما يممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتي وزادى

من لااسميه مهابة واجلالا ، ولااحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التى لايعدوها السرور والنضرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك . وجليل خطابك . مؤكدا على وصول كتاب القائد ساعة القدوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير انه كما قيل

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى في مصابه، بسيدى عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به - كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم- وليتعز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذقال «ليعز المومنين في مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخى ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى في محمد

ولولاانى تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والرأل لتريكته (١) لقلت فيه‌فانه لذلك‌أهل بيدانه لاطاقة لنااليوم الابالترحم عليه ؛والاستغفارله؛ فالله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عزما فهو الغفور الرحيم

وأما عبيدكم فلم يزل‌يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛ التى كلها مذاكرات ومنافحات :

ياليت شعرى والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟

فهاانذا ملقى فى زاوية الاهمال ، غيرمنظور الى لابعين الاجلال ولابعين الاذلال، منتبذا عن الناس، سمير الهم والوسواس، فلاراتب ولاجارى، ولاأنيس ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان

فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لولم القه ، لعجزى عن بره ، والله لقد صدق من‌قال

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر

فلقد طرقنى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقنى ، فلو مات‌احد من الحياء لمت اذلم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، فالى‌الله والى‌سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى انى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن‌احمد معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ريالا قراضا ثم‌انه اشترى‌بها من الشعيرخمساوعشرين اوستاوعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى عنده معزولة‌فى بيت منذشهر قبل انتقالى ، ثم‌لماازمعت‌على الانتقال ، كان‌اخر امرى معه‌حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهو لى والآن لما قضى الله عليه بماارادا‌حب من‌سيدى‌استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى اوامر بشىء ، اوعلموابذلك ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واياماكان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

---

١) السقب كفلس ولدالناقة ساعةيولد والغرس‌بالكسر: مايخرج‌مع الولد كالمخاط والرأل ولدالنعام والتريكة كالسفينة البيضةان‌خرج‌منهاالفرخ
٢) بمكيال سوق الخميس الوفقاوية

المدنى أعانه الله على ماهو بصدده ، وأمده بدائم مدده ؛ واراك سيدى فى جميعهم مايسرك ، وأؤكد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة فلامندوحة له عنها. فاكثر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفى الملأ • وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع • اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ
ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى»

فأجابه الاستاذ

أخي وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديا فى ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أومفترض ، مجددا من معالم الدين ماأندرس ، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قار البال ؛ فار البلبال ؛ ذلك السيد السند ؛ والصدر الاوحد ؛ انيسى وجليسى ، وهزبرخيسى ، وكاف كيسى ، ورئيسى وخنديسى ؛ من اذا غاب عن القالب فهو فى القلب حاضر ؛ لايخلفه فيه سواه مابين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل السبق فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف ؛ والاحوذى السرى المنيف ، مولاى عبد الرحمان ابن مولاى الشريف محمد

نسب كان عليه من شمس الضحى   فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم الندية والسجايا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسأل الله لناولكم التوفيق لمايرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى ، آمين آمين ، انه على مايشاء قدير ؛ وبالاجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والراتع من هضاب الفصاحة فى كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعزما اهواه ، ووقفت على تفصيله وجمله ومالم به من ألم راقمه بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن • وغيب عن الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ، لمحبوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لماذكرت فى كتابك انه لا مجانس ولا مجالس ، ولاجارى ولاراتب ولا مأوى ، بقول من قال

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد   عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لايبقى على حال ؛ ومحاول اوحاله على غارب الارتحال

الدهر لايبقى على حالة لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر

ورحم الله البحترى اذ يقول

تنكر العيش حتى ان اكدره ياتى نظاما وياتى صفوه لمعا
وآنست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللطف موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) مايستغربه كل حاضر وباد ، ولايرضى به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضده

والطبع املك ، قال حازم

من يسمع الجفوة من خل ولم يغضب لها فانه كمن جفا

*

متى تسد معروفا الى غير أهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر

وقال حازم ايضا

من صاحب الانسان فى العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ماأتمثل به فيما وقع من التباعد بيني وبينك ، واوجب على الرغم منى بينك ، قول حازم :

يازمنا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبييه وقد افرط حتى بلغ السيل الزبى
انأيت يادهر المنى من بعدما ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تامیله یاهل انى؟

والسلام عليكم ورحمة الله

---

١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبيين ماوقع

وشعير القراض على ماعهدت وما ظهر لك أنه المصلحة فيه فأخبر به ولدنا محمدا يفعله به بلاتراخ ، والخلق اذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او اخوتكم أو قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالغى»

نتف من قوافيه

واما شعره فهاك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما ككثبان يبرين ، فمن ذلك ماقابل به وفدا افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى البشير الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب

لله يوم خميس جادلى بلقا	من كنت من بينهم قبل اللقاء لقى
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت	فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى	من وشى برد التهانى كل ماخلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن	قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده	والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد	فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت اقضيهم الحق الذى لهم	وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه	صنع البشير الذى بفضله سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الـــــه	قد حباه من الاخلاق مـا عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده	ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها على روى اخر على عادة الادباء الالغيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيبهم الوافدون ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعرور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ ه ثم مر بالغ

شنف باخبار من احيا اذا ذكروا	مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربعهم وقل اذا سألوا	عن عبدهم هام فيمن قبله اسروا
فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا	من لديهم ولا فداءهم ذكروا
كأنهم مارعوا حق الوداد له	وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فعفوا	ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعللـهـا	بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

عهدتهم من نحاة العصر قد قرءوا ... ابواب عطف وباب الوصل قد نظروا
فمالهم لزموا بـــاب اشتغالهم ... عني ومضمار شوقي وسطه حضروا
رعاهم الله قد راعوا ببينهم ... روعي وهم فيه ان غابوا وان حضروا
قطرت دمعا بلا عين فكان دما ... وغبت عن هذه الاقطار مذ قطروا
جالت جند الهوى جهدي وحاربني ... حرب البسوس ودارت بيننا عبر
كانوا مني القلب لكن زاده ولها ... بالسفر أن يمموا سوقا هي الظفر
لله دهر تقضى كـــلـــه غرر ... بوصلهم ووقوت كلها سحـــر
وفوا فما شاب فود الوصل فيه ولا ... شاب صفاء الهدى من بيننا الكدر
مني عليهم، على متن الصبا، وعلى ... ذاك الزمان سلام طيب عطر

وقد اجابه الاستاذ سيدي الطاهر بقوله

هذي نجوم الدجى ام هذه درر ... لابل قواف اجادت سبكها الفكر
هذبها طبع مولانا الامام كما ... هذب طبع نسيم الروضة السحر
لفظ كما افتر ثغر الزهر قلده ... جواهر القطر لما زارها المطر
في طيها كل معنى كاد يشربه ... بحسنه الواعيان السمع والبصر
لاسحر الاالذي ضمت لطافتهـــا ... او ما تضمن في عين المها الحور
ماكنت احسب قبل ان اشاهدها ... ان البطائق روض زهرها الفقر

وقال مرحبا بالاستاذ سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، وقد وفد عليه ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله ... وشفيت من الم الضنا بحلوله
اهلا بوفد قل من اكـــرامـــه ... ان صرت عبد مبشر بوصوله
اهلا بمن احيا القلوب قدومه ... فتبرجت بولائـــه وفضولـــه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه ... عن نور بدر الجو عند افوله
اهلا بمن خرق العوائد فضله ... وسما بفضل فعاله واصولـــه
اهلا بشهم جل وقت نضاله ... عن ان يسام حسامه بفلوله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل ... لك في المحبة مخلصا كفصوله
ان الكمال جميعه لك مـــنـــة ... فالشعر يقصر عن بلوغ فصوله
والله رب العرش يمنح كل ما ... تـــرجوه مـــن اقبالـــه وقبوله
ويثيبك السر العميم فتنثنـــي ... احظى امرىء قد سر عند قفوله
باجل خير الخلق صلى ربنا ... ابدا وسلم دون حصر حصوله

فأجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر

شعر زرى بالعقـــد حسن نظامـــه ... وزها على الحسنا بحسن كلامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن ... قلب المتيم بعد ستر غمامه
ما الروض في ازهاره ما الدر في ... اصدافه ما البدر ليل تمامه

الى اخر القطعة ، وهي من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله •

وقال ايضا مرحبا بقاضي اقا اليوم تلميذه سيدي الهاشمي الفاسي

ياواردا عمت الدنيا مفاخره وغم اعداءه فيها مئاثره
وقاد مالم يزل في القلب مسكنه انغاب عنى فما غابت اواصره
اهلا بمقدمك الزاهي ومورد الـ ـباهي ، وسهلا بوفد سر سائره
لله طلعتك الغرا وسيرتك الـ ـسرا ودهر بك انجابت دياجره
قدمت في طلب العليا وانت لها كفؤ وازكى فتى طوعا تصاهره
مهر الفضائل صبر انت باذله والصدق من شرطها وانت ماهره
والحلم ان ضيم يوما انت ناصره والعلم ان كان اجنى انت هاصره
سر هكذا فالعلا تدني مقادتها لمن تدين لها منه عناصره
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى ان تستحيل امرأ غر مفاخره
منحتك الود منحا لا اعتصار له والود في الله ما ترجى اواخره
مني عليك سلام زان ناضره روض اشتياقي وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس وهو ممن يخاف الله فيما يحكي عنه ، وذلك في الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ:

ياقادما فضله في العلم والعمل قد كان اسير من طيف ومن مثل
وسيدا عمت الدنيا صنائعه انخ فقربك اضحى غاية الامل
وواردا جد مذ ان كان شب الى اندب في حفظ شمل الدين من خلل
احييت بالوصل حيا قد نزلت به نزول قطر بقطر سيم بالخلل
ان ساد قوم بجمع المال والخول فانت سدت الورى بصالح العمل
لازلت ياخير طب ماهر فطن تشفي برايك ما بالدين من علل
يانجل عبد العزيز ياامام هدى لم يرض مذشب ان يرعى مع الهمل
هجرت مالوف اوطان دعتك الى ما ليس يرضى به الرحمان من عمل
فقابلتك القلوب بالرضا وبما يعليك من طيبات الذكر عن زحل
اصفيتك الود في الرحمان حين صفت منك الخواطر من غش ومن دخل
عليك مني سلام الله ماطلعت شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبني في بعض وفاداتي على الغ من الحمراء اعوام ١٣٤٢هـ

يحق على للمبشر انكم قدمتم من الاحسان افضل ما خلع
يعين ان عاينت شخصك لى المنى وقلبى حاظ بالذى قبل قد ولع
طلعت طلوع البدر في حندس الدجا الا فاعجبوا للبدر في الغرب قد طلع
نزلت نزول الغيث في وسط مجدب فازهر روض العلم والفضل قد نبع
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى وشاد له ركنا قضى الجهل ان خضع
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت اوابدها ما ان يقال لها (هدع) (١)

---

١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تغيبت في جمع الكمالات معرضا عن العرض الفاني وما هالك الهلع
فشمر وجد السير ان الذى تريـ ـده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك أنت الوارث السر فاشكر الـ ـاله الذى يحميك من كل ماقذع
فلا زلت يامختار في كل مايزيـ ـن قدرك مختارا جماع العلاجمع
عليـك سلام من قريب يحب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له

ان لم تكن كـابـن مقلـة في الخط جد بابن مقلة
وخط فـي الـخـد خطا اخـدوده عيـن عقلـة
وارض بـخـطـة عجـز فما لها عنك نقلـة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدى محمد بن مسعود المعدرى بقوله

تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
ابو حسن مأوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في علي
فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن علي
فلو اطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلي

فاجابه بقوله :

لله درك مـن امـام عـادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذى قرن الفضائل منكم بفواضل
لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدى محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها:

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دهت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت انـاملها وهنا بـروضة ازهار
وخلقك هذا ام خلوق تعطرت بارواحه لبات صقع واقطـار
ونظم لئال فـي نحور خرائــد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تفتق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
اذا احتست الاذواق كأس رحيقه سكرنا حلالا ما رزئنا باوزار
يقلد جيدى من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

---

١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

وانى وربِ البيت لولا اعتقاده وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهاد وهادها وغنت بها الاطيار فى ملد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها جداولها كالايم (١) فى حين ادبار
وتصبح فى برد قشيب منمق وشته يد الوسمى وشيا بازهار
وينشق منها كلما هب ريحها شذى العنبر الشحرى فاح بمعطار
باحسن من شعر يعز على ان ارى رقمه فى غير صفحة أفكارى
فاقسم بالفضل الذى حزت خصله وبالشرف العد المشيد بايثار
وبالادب الغض الذى كان بعض ما منحت وما اعطيت من رفع اقدار
وبالود منى قد منحت صميمه فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لقد فقت يا ابن الاكرمين فما أرى لفضلك ندا عند نزع لاشعار
أسال اله العرش حفظ مقامك الـ ـسمى من الاسواء طرا وأغيار
بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ ـاله عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ أيضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع أجلة انصاريطلب ممن وفقه الله منهم أن يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع أساتذتهم فى بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده بظفره ، فلا يستهجنن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناء الكلل وربيبوا الحمامات حتى غدوا كما قال الشاعر

خطرات النسيم تجرح خديـــه ولمس الحرير يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عادتهم ان يقوموا بكل ضروريات اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليمكن له ان يوالى لهم الدراسة وهذا ماكتب به الاستاذ

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
لازال فى صالحات السعي سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صلى الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ماانتمو احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبابه وسط القبر
واعطاهم من فضله الغمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وجهى كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
ألا هكذا الايثار لاكالالى تغيـــ ـبوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذاك تقوم السوق والناس بين من يراج له والدالجين الى الخسر

١) الايم مخفف الايم بالتشديد الافعى

ولو لم تحف بالمكاره جنة الـــ ـــخلود تساوى الخب فيها معالبر
عليكم سلام الله ياخير من سعوا لتحصيل مايولى الهنا ساعةالحشر

وبعد فقد ءان لنا ان نكتفي من ءاثـار قلم الاستاذ بهذه النماذج الـتـى سقناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الـذى يقبل كل شيء، وهذا كله كما يراه القارىء لايخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد التوسع فى كل ماقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فـى (جـوف القرا) فاننا ماعدونا هناان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الـروضة الاريضة ولكن لانحسب ان القارىء يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونساله تعالى ان ييسرنا لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجم الامداح الكثيرة التي يخاطب بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخـذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله فى اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا وقاضيا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار فكثرة اصحابه وثبات مركزه فى الرئاسة ، وشفوفه فى المكانة الاجتماعية وفتاويه واحكامه التى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائـل المتاخمة لالـغ المفصحة كل الافصاح عن مكانته فى الافتاء والقضاء ، وهذه التموجات التـى لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هى من أثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عـن طبـق كما أن الترحم عـلى الاستاذ الـذى يعليه كـل منصف عندما يـذكر الكرم أو البخل فى الغ ، تحمل الناس عـلى أن يـرددوا اسم الاستاذ ، وأن يجعلوه ءاخر الكرماء السعيديين ـ كما يقول الاخ احمد رحمه الله ـ وهذه كافية غاية الكفاية فى مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب

فعادوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائـب

ولكن استاذيته التي وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا فى ءاثارهاالتى لاتخفى فى الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقـد كربت اعناقهـم ان تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا عللا بعد نهل حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ ءاب اليه قريبا حين ظهر له راى العيـن الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا فى ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهـم فى المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا أخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه أيضا ، ثم لانذكر الامن اشتهر منهم بعلم اوتدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته في الرئاسة اومركز آخر ، وأما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتنكب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر بالمدرسة الالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد ان فارقها لانه على كل حال ممن أخذوا عنه، وهذا هو شرطنا، وعلى الله التكلان

فلنتتبعهم بالقبائل ، فنبدأ بآل الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الايغشانيين والوفقاويين والتاكنزيين والتيغشيتيين بالمرابطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالأيسيين ثم الامانوزيين والكرسيفيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيريين ، ثم الرسموكيين ثم السملاليين ثم البعقيليين وما اليهم كالتازروالتيين ثم المجاطيين ، ثم الافرانيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم الازاغاريين ثم التاغاجيجتيين ثم التامانارتيين ومن اليهم كالاموكاديريين والاقاويين ، ثم الساموكنيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سنرتب ايضا ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم

١ ـ الاستاذ عبد الله بن محمد الالغي
٢ ـ صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغي
٣ ـ صنوهما احمد بن محمد
٤ ـ الاستاذ محمد بن علي
٥ ـ الاستاذ المدني بن علي
٦ ـ الاستاذ الطاهر بن علي
٧ ـ الاستاذ الحسن بن علي
٨ ـ سيدي صالح بن احمد
٩ ـ صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
١٠ ـ النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
١١ ـ النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
١٢ ـ النجيب سيدي احمد بن محمد التاهالي
١٣ ـ الشيخ محمد بن عبد التهالي
١٤ ـ السيد محمد بن الحاج بلقاسم
١٥ ـ العم سيدي ابراهيم بن احمد
١٦ ـ سيدي موسى بن الطيب
١٧ ـ صنوه المرحوم سيدي البشير

١٨ ـ الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
١٩ ـ الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
٢٠ ـ الاستاذ علي بن صالح الاوفقيري
٢١ ـ سيدى علي بن الحاج احمد التيغشيتي
٢٢ ـ سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
٢٣ ـ الاستاذ سيدى البشير صنوه
٢٤ ـ الاستاذ عبد الله بن مسعود التيبيوتى
٢٥ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٢٦ ـ الحاج مسعود الوفقاوى الاستاذ الكبير
٢٧ ـ النوازلي سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى
٢٨ ـ سيدى المحفوظ بن الهاشمي
٢٩ ـ سيدى أحمد بن بوهوش التاوييي الايغشاني
٣٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناءى الايغشاني
٣١ ـ صنوه سيدى محمد بن الحسن
٣٢ ـ سيدى محمد بن مبارك التاوييي الايغشاني
٣٣ ـ سيدى الحسن اخوه
٣٤ ـ سيدى الحسين بن صالح الناكنزى

الايسيون

٣٥ ـ الاستاذ سيدى المكي اليزيدى
٣٦ ـ سيدى الطيب اليزيدى
٣٧ ـ الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
٣٨ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
٣٩ ـ الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
٤٠ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى
٤١ ـ سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
٣٢ ـ سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
٤٣ ـ سيدى محمد بن الحنفى الفيلالي الحضيكى
٤٤ ـ صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكى
٤٥ ـ سيدى الحسن بن البشير الحضيكى
٤٦ ـ سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسيفيون ومن اليهم

٤٧ ـ سيدى محمد بن بومليك

٤٨ ـ سيدى محمد ـ فتحا ـ بن عبد السلام الكرسيفى
٤٩ ـ سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

٥٠ ـ سيدى الحسين التانضيلتى
٥١ ـ الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ ـ بلقاسم الانامرى التيملى
٥٣ ـ سيدى محمد بن بلا الانيلى
٥٤ ـ سيدي محمد المسناتى
٥٥ ـ سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ ـ سيدى احمد بن محمد الدويملالنى
٥٧ ـ الاديب سيدى محمد الكثيرى
٥٨ ـ صنوه احمد

الرسموكيون

٥٩ ـ العلامة على بن الطاهر
٦٠ ـ اخوه عبد الوهاب
٦١ ـ الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ ـ سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ ـ الاستاذ ابراهيم التازيلالتى

السملاليون

٦٤ ـ سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ ـ الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ ـ سيدى احمد بن محمد الورحمانى
٦٧ ـ الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ ـ الفقيه عبد الله المافامانى
٦٩ ـ الحسن بن عبد الله
٧٠ ـ الفقيه سيدى محمد التيفيتى
٧١ ـ العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ ـ الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ ـ سيدى عبد الله بن محمد الورحمانى
٧٤ ـ سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعقيليون

٧٥ ـ الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
٧٦ ـ سيدى على الباعقيلى القاسمى
٧٧ ـ الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
٧٨ ـ السيد الحاج الاحسن الباعقيلى ثم البيضاوى
٧٩ ـ احمد بن صالح الايغيرموسى
٨٠ ـ النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ ـ الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجاطيون

٨٢ ـ الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتى
٨٣ ـ الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريبى
٨٤ ـ سيدى جامع بن همو الازونيفى المجاطى الشهيد

الافرانيون

٨٥ ـ العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ ـ الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهير
٨٧ ـ صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ ـ الاستاذ احمد بن صالح من بنى عدى
٨٩ ـ سيدى احمد بن صالح الشكوكى
٩٠ ـ الاديب سيدى الطاهر الناصرى
٩١ ـ الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ ـ النجيب ابنه المهدى
٩٣ ـ سيدى محمد السلامى التاغونيتى
٩٤ ـ مولاى صالح التانكرتى
٩٥ ـ الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
٩٦ ـ صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

٩٧ ـ الاديب الكبير مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى
٩٨ ـ الفقيه سيدى الحسين الناطاروستى
٩٩ ـ سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ ـ سيدى محمد السلامى المقدم التاكانتى

١٠١ ـ صنوه سيدى على
١٠٢ ـ سيدى محمد بن على اوبالوش
١٠٣ ـ صنوه سيدى عمر
١٠٤ ـ محمد بن ابراهيم المانوزى الاخصاصى
١٠٥ ـ سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
١٠٦ ـ الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

١٠٧ ـ القاضى سيدى محمد بن عبد الله أوبالوش
١٠٨ ـ سيدى الحسن اخوه
١٠٩ ـ سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوى
١١٠ ـ سيدى محمد بن الحسن الموساكناوى
١١١ ـ الاديب محمد بن الحسين بوكرع
١١٢ ـ سيدى محمد بويشوارين الساحلى
١١٣ ـ النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

١١٤ ـ سيدى محمد المرسى المعدرى
١١٥ ـ سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغجيجتيون

١١٦ ـ سيدى ادريس بن الحسن
١١٧ ـ سيدى محمد بن مبارك الموش
١١٨ ـ سيدى ابراهيم بن محمد
١١٩ ـ صنوه سيدى احمد بن محمد
١٢٠ ـ القائد الحاج احمد اضارضور

التا مانارتيون

١٢١ ـ سيدى اليزيد الخلاسى
١٢٢ ـ الحاج عبد الله اليزيدى
١٢٣ ـ سيدى الطيب اوباحو
١٢٤ ـ سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
١٢٥ ـ سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
١٢٦ ـ سيدى سعيد بن على العنترى

١٢٧ ـ القاضي محمد الهاشمي الاقاوى

السامو كنيون

١٢٨ ـ الاستاذ سيدى العربى السامو كنى الشهير
١٢٩ ـ الفقيه محمد بن محمد بووازى
١٣٠ ـ سيدى الحسين بن احمد
١٣١ ـ سيدى محمد بن احمد الحافظ
١٣٢ ـ سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولابد انيفلت من احصائنا هـذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا فى الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتخلنا النجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقى بعد الانتخال فى ايدينا بعد ذلك من رايتهم امامك الآن ، ولاشك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا فى ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمة، فكل من يقدر انيكتب ما فى ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ماكتبه غيره اقوم تلاوة وانلم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ماجعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما فـى ضميره باللغة العربيــة كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التى اخذها وكانت له يد متمكنة فى بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحـل العلماء الاجلة وهم فى هؤلاء نحو الثلث ، وسترى انشاء الله وتمم مرادنا فى ترجمة كل مقدار خطواته فى الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن أفلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه أمامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التى تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لاتدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن عـلى حـق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذقال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى ، قال أولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الحظوة العظيمة فى علمه وفى رئاسته وفى قضائه فى كل ماتمسه يده ، فكان فى مقام يغبط فيه ، وفى منزلة تتطاطأدونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح في كل أرجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ واشادة للحق وهدا للباطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيرة تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط مايغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخي احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من اراني عنه ماكنت اجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفيي من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التي قضيتها منذ غادرت الغ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ ه فكان يقول عنه رحمهما الله معا ان الاستاذ هو ءاخر من يتقبل في الغ اى ضيف جاء ولايكاد يجيف بابه دون اى احد ءاه ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الغ كرم لاحقيقة ولامجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لايعدون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالغيين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لاتزال مسترسلة -كماترى- بعدمامضى زمن كادت فيه الغ تاتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجيلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الغ شرها فالتأمت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك الفظيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولادها؛ فبعدأن رزىء الاستاذ بفلذة كبده ؛ وبعد أن جـ وذبت الحبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبر أذنه ، فعاد الالغيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذى لاتخلو داره من علماء يزيديين أوافرانيين أو صحراويين أو سملاليين أو اخصاصيين أو بعقيليين او تمليين أوصوابيين او تامانارتيين ، ولايكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا ءاخر ومن اريحيته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كمايربى على ذلك تلاميذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافراني الذى يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدنى الناصرى وصنوه الاديب الطاهر بن المدنى ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ ه ومن الاستاذ الافراني أحمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكى اليزيدى والفقيه الحاج أحمد بن محمد اليزيدى وأخيه عبد الرحمن والفقيه أوالشلح الايسى والنوازلى الحاج أحمد من ءال بريك الوفقاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة ألجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبوزيد البوزاكارني شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، والاديب محمد بابه

الصحراوى ، فيتسابقون جميعا فى القصائد ثم تاتى حلبة اخرى من الالغيين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابنى الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغة المدنى ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيبيوتى وعبد الله بن ابراهيم الالغي وأدباء المدرسة الالغية ، فتتلاطم امواج القريض فى دار الاستاذ وفى دار الايغشانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ ه فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولمكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التى تستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب

هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبته الى ءاخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لايخرج من شديد منها الا الى ماهو اشد ، فعزم عزما أكيدا ان ينزوى فى داره وأن يطلق هذه المجامع وكانه شاهد الصخرة قد تدحرجت من قنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدرفايقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ماكان خطر له يوما رحمهالله ، ولكن الاعاصير لمتذره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفةمن عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدات من بنى عمران فجرفت كلماامامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقت الحملة ملاقت فى قبيلة أيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضاؤلا مخجلا كساكل منكان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسطالرامقين وقدظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر انلاغيرة ولاايمان ، ولاقصد حسنا وانكلذلكانما هو من أجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المغرضين كالقائد المدنى وامثاله ، ثملم يرزءوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأوهم كمازعموافقال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزيمتى وعلى ان راجعت هذا الهرج منجديد فرجع من ذلك الزحف الذى كانبعد عام ١٣٤٣ ه ثم لمتلبث طلائع مسغبة ــ ١٣٤٥ه ١٣٤٦ ه ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القربة ، وقد نال الاستاذ منهابعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده ــ ومعلوم ماللمجد من نفقات باهظة ــ وقد خلت الاهراءونفدت الذخائر،واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ه بخروج املاك ايشت منيده وهىالتى كانت تمده بتمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطرفى هذه المسغبة ان يشترى من الحبوب مثل الناس مايزيده الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم أمثال الاستاذمن الالغيين

اخبرني الاخ احمد قال حرث الناس عام ١٣٤٦ ﻫ فكان الاستاذ تخير المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يفد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثره فقال ماذايلاقي الالغيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان نستهم لننظرمن هو المنحوس فينا ؟ ـقال ذلك تواضعا وهضما للنفسـ ثمقال : ولكن واحياءاه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهم مليم ؟ فصارت عبراته تنتثر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة ـ وكان ذلكمنه يؤثر غاية التأثير ـ ثم صار يقول ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلات تترى فما ارعوينا وزلزلتنا النذر ونحن في اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غايةالتأثير ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحما مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قال الاخ:كذلك كان الاستاذ اذااطلق وعظه كثيرا مايهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل انيتعظ به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لايقدر اىانسان اخر انيصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجانسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المساغب وتلك همته التي تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ ﻫ ودخل العام الذي بعده وقد ارتاش الناس ، وضمتالمسغبة المشهورة اذذاك اذيالها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناسصباحا علىالعادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثمحمل على الحاضرينفيسكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء في الملاعب ثمقال ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهلهما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب؟ فمالنا أيها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف مناين أتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقدصبت علينا الكوارث من كل جانب ،بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا في الذنوب التي نسدر في غلوائها

غيرمبائين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المنوال فى كلام كهذا ، وعبراته تنهل على لحيته البيضاء وزفراته متوالية فى وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد أن يجلس بين الناس تأثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير أن يدعو للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذى قلب ذائب وذى نفس متطايرة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه فى الوعظ، فيفعم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك فى المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر فقال لى ابى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: ألا تزالون في موالاة الدروس ؟ أتركوا ما انتم فيه ، وافرغوا لي حتى تودعونى ـ هكذا بهذا اللفظ ـ يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جأش وهمته هى هى فى كل شىء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثاني ، فزار ضيعته بتالات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شئون الاسرة ، والآخرون يواظبون على دراستهم ، قال ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال لاتطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت أنا واياهم فأنا فى عصر وفى ناس وأنتم فى عصر اخر وفى ناس اخرين ، قال ثم حثنا على المتابعة وأن لا نزيل الستر عن دارنا ، فقال ان قدر الله ان تقسموا مابأيديكم فلا يطلعن أحد على ما عندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافراني والرئيس أحمد بن ابراهيم الايغشاني وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه مايجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ،فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتي القاضي المدرس الرئيس الكريم طيا لاانتشار له فى هذا العالم وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيىء لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى فى نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب أبيه وأخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تتداعى اركانها كأن تداعيها من هيبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتتسع لحضراتهم اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزىء أهله وتلاميذه منه برزء وقععليهم بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على فمرت شهور ولم تظهر مرثية له كأن الغ الادبية غير الغ بل كأن الارض بدلت غير الارض اوكان الوفاء الذى تدل عليه المراثى عاد بلقعايبابا ينعق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديبالطاهر الافرانى بلبل الشعر انصداح ، وصدى الادب الذى لايكاد يفرغ من قصيدة ألغية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد بلامرثية ؟ قال فاجابنى بأن مايقال له فى هذا الموضوع يقال لكل اديب الغـى ثمكانذلك سبباعلى أن القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآتية كما قال ايضا فى الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعدذلك قفاهماقاضى اقا سيدىمحمد الهاشمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثى ، معانه كان يليق انتتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تابى حرفة الادب الا أن تدرك صاحبها فى الحياة ان لم تجد منعة منهمة فولاذية كهمة الاستاذ ، أو بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكـثـرت الاعتذارات الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى — حرى دمعك القانى فقرح محجرا
فبت بليل نابـغـى مسامرا — كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى — له كبدا حرى وقلبا تفطـرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجـد — نصبرى عزما ايـدا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى — مدامع تهمى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد مولـه — تحير لايدرى اماما ولا ورا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى — هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الغيث فى محل هم الاسد فى الوغـى
هم الغوث فى أزل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان هاج من — جوىوعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خـيـار المومنين تـواردوا — شعوب وقد خلفت فيمن تاخـرا»
الم تر ما غال العقول وارمض النـ — ـفوس ، واقذى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة — ورزء اهان المـرزيـات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى — به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
ابىالحسن القرم الرضا خيرمناضا — بانواره افـق العلـوم ونـورا
خضم بامواج المعارف يرتمى — وروض بأزهار المعارف نـورا

١) عدياه : قصاراه وهو بالتصغير

همام له فى المجد همة سيد ... بصير اذاماورد الامر ا صدرا (١)
كريم له عند المكارم هشة ... كما شمت برقا فى الغمامة امطرا
يفيض بانواع المعارف والندى ... على كل عاف رائحا او مبكرا
على بابه فى كل يوم تزاحم ... كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
ومن علمه او كفه يقبس الغنى ... عن المزريين الجهل والفقر من عرا
فكم من عم فى مهمه الغى حائر ... رأى سره البادى السنا فتبصرا
وكم طالب يبغى المعارف امه ... فاصدره عن علمه متبحرا
هو الشيخ كل العصر معترف له ... بمن سواء من تربى ومن قرا
هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه ... بغير حجاب منجدا ام مغورا
هو البحر من اى النواحى اتيته ... انالك درا دون من وجوهرا
هو البدر اشراقا هو الدهر همة ... هو البحر معروفاهوالليث مجترى
هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما ... هو العلم الاسمى لمن ضل فىعرا
هو الصارم المسلول انصالاوسطا ... لدىالحرب ابصرت الهزبرالغضنفرا
غدا ذكره اسرى من الشهبوالصبا ... ومنمثل والليل والطيف فىالكرى
فكم طرقت اخباره سمع راغب ... فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
لقد افعم الارجاء اضواء بره ... وعطر ريا علمه المدن والقرى
فمن ظن ان العصر ضم نظيره ... فقدظناخت الشمسخابمن افترى
فقل لحسود ظل ينكر فضله ... اذا كنت ذاعينين فانظر لكى ترى
وللمدعى هيهات ويك افى الندى ... تجاريه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
تجمع فيه كل فضل مفرق ... على غيره كالصيد ضمنه الفرا
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى ... وكم جائر اردى وكم مفتر فرى
وكم موقف ضنك لدى حومةالوغى ... وقد صار فيه اليوم ادكن أغبرا
وحمحمت الجرد الجياد وضرجت ... دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
وجالدت الابطال واشتجر القنا ... وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وصمت بصوت المرعدات مسامع ... وافحم بالذعر اللسان فبربرا
وسيئت ظنون واصطككن فرائص ... ودارت عيون خيفة وتحيرا

---

١) قال النابغة الجعدى

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الناس اصدرا
ولاخير فى حلم اذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

٢) هذا ينظر الى قول المتنبى

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت على الجو اطراف السنابك عثيرا(۱)
فلا تبصر العينان الامضرجا جريحا والا مستميتا معفرا
جلا فيه كرب الدين لله دره بصادق باس لايحل التاخرا
له وثبات ، او ثبات كأنما يعاطى لدى الهيجا مداما معصفرا
يرى الكفر ان العز بالله لابما يلقبه الجهال جندا وعسكرا
وان جموع الكافرين وان طغت سترجع عند العزم جمعا مكسرا
فبيض وجه الدين بالجد ناصرا عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (۲)
وقاتل اعداء الهدى بشهامة اذاقت مرارات الردى من تنصرا
وجاهدهم فى الله حق جهاده فاوجب رضوان واجرا موفرا (۳)
الى ان دعاه الله بالفوز والرضا فلباه مسرورا بما كان احضرا
فخلف صيتا طائرا ومفاخرا مدى الدهر تستدعى الثناء المعطرا

---

۱) البيض بفتح الباء جمع بيضة وهى المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور
والشطر الثانى ينظر الى قول المتنبى
عقدت سنابكها عليه عثيرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
۲) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ماجاء فى قصيدة لابراهيم السكتانى السوسى فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل
واعظم مقدام اذا اشتجر القنا وماج بحر الحرب جحفله المجر
به يتقى فى معمعان الوطيس ان تمعرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجاء حق قيامها ودارت رحاها والتظى وسطها الجمر
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم الى العجز رغما مطعن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا وكدست الموتى وضاق بها البر
وجف من اوساط الحلوق لعابها وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانثنى عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر
هنالك مولانا يضىء جبينه حبورا كأن طافت براحته الخمر
يقاوم فرداً ثابت الجأش مقدما كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايعه العزم الوطيد وقائم من المشرفيات البواتر والمهر
الى آن يرد الجيش ادبارهم وقد تقسمهم حد المهند والاسر
والجميع مستقى من قول المتنبى:
وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
۳) حكى لى القائد الناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة ولم يقدر احد أن يتقدم لياتى بشلوه الا الفقيه سيدى على بن عبد الله فقد غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه

الا انما تلك المكارم لا الالى ... يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
واعقبنا حزنا يزيد وعبرة ... تفيض ووجدا لايزال مسعرا
ولكننا نلقى المقادير بالرضا ... وتسليم امر كان حتما مسطرا
مضى شيخنا الحامى الذمار مطهرا ... مبرأ مايخفى وما كان اظهرا
سأبكيه ما ناح الحمام هديله ... وان كان يبكيه بكاء مزورا
وتندبه عين اليراع معى وان ... جرى دمعها احوى ودمعى احمرا
وتبكيه عين المزن فى الروض اذحكت ... شمائله الازهار طيبا ومخبرا
وانى اعزى المجد فيه فانه ... ابوه الذى يحميه ان يتهورا
واندبه للعلم والدين والندى ... وخابط ليل جائعا متحيرا
واندبه للمشكلات يحلها ... ببرهان صدق بادها او مفكرا
واندبه للدرس فى الدست اذ غدا ... يقلده من فيه عقدا مجوهرا
وللوعظ تهمى العين من رقة به ... اذا قام فيه مغريا ومحذرا
واندبه للطالب العلم يجتنى ... من ءادابه او ماله متخيرا
وللمعتدين الظالمين يكفهم ... عن الظلم كفا يردع المتكبرا
وللدين والدنيا وللفضل والعلا ... وللبشر والترحيب بالضيف ان طرا
وللسادة الابناء ابنائه ومن ... أضيف له معنى فحاز التصدرا
وللجلة الاخوان والجيرة الالى ... حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا ... بنوه فعجز الحر ان يتضجرا
فلارزء الا دون رزئكم فلا ... يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
ولاتهنوا للحادث النكر انه ... اذا جل رزء كان بالصبر أجدرا
ففى الله للعبد المنيب كفاية ... تقيه اذا ابدى الزمان التكشرا
لما جزعى ؟ والموت حتم وانما ... مدى كل حى ان يموت فيقبرا
اما زار طيف الموت كل منبأ ... كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
فلا ملك تحميه عدته ولا ... عليم ينجيه من الموت مادرى
فاين ذوو التيجان من كل أمة ... الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
واين الكرام الشم من برمك ؟ اما ... تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
دعا الكل داع لايرد لمصرع ... يلازمه حتى يوافى محشرا
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى ... وان عاش احقابا ولكن ليعبرا
فتبا لها لم تصف الا تكدرت ... ولم يحل فيها العيش الا تمررا
وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها ... اذا هو بالزهد ارتدى وتأزرا
وجد حبال السوف اذ جد جده ... لزاد معاد فاتقى وتبررا
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة ... تسر اذا لاقى نكيرا ومنكرا

---

١) القعب بالفتح اناء اللبن والشيزى عود تصنع منه القصاع
قال الشاعر تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل فى اصحاب قليب بدر وكم ذا فى القليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن ... مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله ... فانك اهل ان تجود وتغفرا
وان الرجا فى جنب عفوك شافع ... كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة ... تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
وان تتلقاه برضوانك الذى ... يبيح له مثوى كريما ومنظرا
بجاه رسول الله من جنبه حمى ... حصين يجير الملتجى وان اجترى
عليه صلاة الله قدر كماله ... على عد ذرات الوجود واكثرا
واصحابه والتابعين ومن تلا ... ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرانى ، وقدتتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب ثم ضم الى ذلك مايألف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة التى تخاض بها المعامع ، وانلم يكن غالب علماء الغ الامثال علماء كل هذا العصر الذين لايطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هى ، فضلا عن ان يخوضوها لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التنانى الذى يقول : اننى وامثالى يحرم فى حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا الهزيمة لاننا سرعان ماننكشف فى المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلى بين الرصاص تذكر عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ، وكامثالها من المواقف التى اشتهرت عنه فى أيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثيرى

الدهر بعد تعرف يتنكر ... فسلامة من باسه تتعذر
مافتر عن اسنانه الا بدا ... متجهما عن نابه يتكشر
فاذا تذلل لامرىء يوما غدا ... من بعد اى تذلل يتنمر
واذا أتى عفوا واصفى موردا ... عما قليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه ... واذاله من بعد ما يتصدر
ورزية تمرى ضروع مدامع ... كل الرزايا عندها لا تذكر
عمت وخصت كل ذى ادب فما ... تلقاه الا حائرا يتفجر
ياعاذلى ومؤنبى فى عبرتى ... ان الرزايا فى الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من ... عيش يرجى او منى تتذكر ؟
طم المصاب وعم ابناء الورى ... فتحيروا من وقعه وتحسروا
من للمحابر والمنابر والعلا ... والضيف فى ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغى ... كشف الخفايا لبسها لايبقر
كم من غوامض قد جلاها فكره ... لولا ثقوب شعوره لاتشعر

١) لايكت : لايعد

نشر العلوم افادة واجادة | واشادة عن همة لاتفتر
من للحمى يحميه من لعوارف | ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمنت | من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعي الله ياروح العلا | فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك في امتثال اوامر | فلقيت رحمة ربنا تبتبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الـ | ـمولى تعالى جده تستغزر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما

موت العليم مصيبة لن تجبرا | لاسيما من فاق في العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعينا | ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حييت سيادتكم على | خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى | اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قـ | ـط حسبت ان البدر يقبر في الثرى
غبتم فاشخصنا العيون الى السما | أشخاص من سلب القوى متحيرا

وثانيتهما

لتبك فما في الارض من كان اغيرا | على العلم والاسلام مثلك في الورى
لنبك على موت الذى الدين زعزعت | بفقدانه اركانه فتقطرا
لنبك على فقد المحلى بكل ما | يزين الفتى حلما وعلما منورا
ابى الحسن الالغى شيخ زمانه | ومن فاق كل من غدا متبحرا
همام يفيد المرء في جلسة من الـ | ـمعارف ما لايستفيده اعصرا
عليم كريم لايمل جليسه | اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف | وعلم الغزالى في لسان القبعثرى
فماذا عسى ابديه من وصفه وان | غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
أبا حسن ابكيت اعيننا كما | أذبت بنا كل القلوب تحسرا
أجود بدمعي قائلا ومؤرخا | (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثي الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب بما طوقوا به اخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله السملالى كان أيضا من الراثين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم انني وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافراني ارسلها بعد سنة من وفاة الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمراثى

وهي

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاى ابى الحسن الالغى ، الاخ الفقيه المدرس النفاعة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشمائل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل، الاديب الاريب، سيدىمحمد والنجيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموقسعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة منالسادة الاعمام والاقارب والجيرة، ورحمة اللههذا وعليكمبتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوافي العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان علىحسب مقتضى الحال من غير افراط ولاتفريط ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بذى الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذسيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضي الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة في التاريخ

قولة الاستاذ الرفاكي في صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالمئاثر العالية ، والمفاخر الصمدانية• الكاتب المجيد البارع، الواقف فىفنالبلاغةبكل المشارع •وقدنزعت اليهاللطائف منعذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفائز من الاجادة بأىنصيب•أبو الحسن سيدى علىبن الحاج عبدالله ، بتحتالحصن ، منذرية سيدى عبد الله بن سعيدالساموكنى -كما في الحضيكي- التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فىبلده عنأخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، وأحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون شنشنتهم كتب الادب واللغة فبها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو فى نفسه قوى العارضة • لايطمع الفتح ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يدالطوع،وأمنت بأقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وانله فىميدان الراية ؛ وقد

أثبت له ماتبصره شعرا ؛ وتجده عند الاختبار صخرا. وعند الانتشاق شحرا: (١)
فمن ذلك قوله يخاطبني

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن ... وأروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن
ومن قل شكرى عن عوائد بره ... ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله ... ويتلى على أرائه حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى ... واحلى بعيد الجهد والكد من وسن

وذلك جواب لقولى فيه

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القنـن
الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النـوى ... على العهد والحنين شوقا الى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة ... ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطـن
ابى المجد الا أن تكون سريه ... نقيبا وان يتلى عليك حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت ... لديك وعدها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها ... عبير مديح اشهى للصبى من وسن (٤)

وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميذع من زرت مآثره ... برونق البدر بل برونق الشجر
ابى على مرعـف اليراع اذا ... ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على ... عد الرمال وعد الرمل والدرر

فاجاب رحمه الله فقال

مولاى من قد زرت بطلعة القمر ... طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت ... لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر ... على نظام حوى لطافة السحر
بعثت لى من بنات الفكر مالم أكن (٥) ... أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قد جبلت على ... احياء ميته يا اكمـل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت ... شمس وما زين عين العين بالحور

---

١) المراد بالشحر شحر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وقـد جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسنوه من الـروائـح الى عنبر هذا المكـان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشحرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

٢) خات العقاب يخوت خواتا كان جناحه دوى

٣) ملحضيض من الحضيض على لغة بلحارث بن كعب

٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه مع انها غير موزونة

٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا مايقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفى رحمه الله فى ٦ ربيع الثانى عام ١٣٤٧ هـ

هذا ماترجم به الاستاذ الرفاكى صاحب الترجمة ، وقد اتت اقواله كلها على اختصارها اجمالا لمابيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجانى المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ثم صار يلقنها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجانى الالغى على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولايزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه التعصب الذى يشاهد فى الفروع الاخرى وكفى فى ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التى حمل الوالد رأيتها ، كما أن الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدى المدنى الافرانى ، واستطاع الكل أن يتمشى جنبا لجنب مع مصافاة وأخوة تامة وحسن ظن • والمترجم تلقن التيجانية من مراكش

قولة المؤرخ علي بن الحبيب فيه

ومنهم اللوذعى الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم والفضل العميم ، صاحب القلم السيال ابو الحسن سيدى على بن عبدالله الالغى ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجانى رضى الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما فى ذلك أحسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بين قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن ‍ ‍ ‍ ‍ واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن

الى اخرها «وقد تقدمت فى ترجمة الرفاكى له»

ومما كتب به الى والدى «علم الاعلام وامام معتقلى الاقلام ، ومن له بكل فن ـ ولااقول الاحقاـ اى المام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحسيب ، سيدى الحبيب السكراتى ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلاباس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالتكم ، ماتضمن كل سول ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيت فاحيت هناك ساكنى القصبة ‍ ‍ ‍ ‍ واسترجعت اعظما بالشوق مغتصبة

١) كذا من خطه

فالله يبقيك ويقيك ويرقيك ، ومن بحر عناية نبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرته سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة، وعلمت في ذلك انني والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهذى فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح نصها

مولاى انى وان شطت بى الدار	وحكمت بالتنائى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهي منى	قلبى صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا	واثارت فلها فى العيث ءاثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما	لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
بآق على ذلك الود الصميم وهل	يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقى مابقيت على	عهد يجل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوقي ما	لخيل ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا	دة تتاح له بالعز انوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ	ـأبناء دارته والكل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علـ	ـيا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلعت	شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهي من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلب لاينطوى على نكر ومكر

له شرف قد جل عن ان يناله	غوائل ايدى الحادثات قدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه	كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائل	فمنهم جثوم حوله وقيام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ،وهو الذي بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة،فيهما يتمارسون وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه؛ اذاذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، اوالكرم فهو العامر لفنائه، أو العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله قصائد خاطب بهاأدباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال ولصاحب الترجمة يهجو ءال (فصك) دشرة مـن مداشر جزولة قوله

أتيت لامر حافز (فصك) وهي بلـ ـدة قد خلت من كل حسن واحسان
فألفيتهم قـومـا برابر يدعو ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أماتوا الندى فاقبروه واحيوا الـ ـمناكر فهى العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم ار مثل حالهم في خشونة الـ ـمعاش وفى اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتعبوا انفسهم في تحصيل العلم عند والدهم الى أن حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجـازوا فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولايقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذلتى على اتعاب نفسى ورعيى في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى بـرق المعالى فاهون فائت طـيـب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدى محمد بن عبد الله على حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مـدارك الرجال

الاديب سيدى محمد وستقرأ ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرءان حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده يقول له انني أريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لمايراه الاستاذ من عدم هذا النوع من المعرفة عند الالغيين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة به ، وقلما يتعدى الى حرف المكي اوقالون الاعند البعض منهم ثم لايلبث ان ينساه فاراد من ولده هذا أن يحيى ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس أماني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دووكادير لقضاء اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في الدار ، حين رجع الاخ سيدى محمد من قبيلة اداوزيكى اول عام ١٣٣١ هـ فكان يجاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة ـلسبب من الاسبابـ ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم ازدلاف

الهيب الى الهشيم ، فرضى حكم أحمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فأخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسيمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولايظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا ـ أخال ـ حوالى عام ١٣٣٣ ھ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من أجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولا من أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايغشانى وءاخرون ـ كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا) ـ فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت أول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولاتؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها ـ والمقصود بين اولاد سيدى المدنى ـ فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترائيا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثثت بعض اولادها ان ياتى به لننسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سياتى ان شاء الله، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ ھ مازال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابنى الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ ھ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدني وغيره . ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعضياوي ، ولاتزال ١٣٥٨هـ حية ولها أولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايغشاني ثم ماتت

فهذا ما أعلمه عن أولاد الاستاذ حفظهم الله وكلأهم وادام بيننا وبينهم ما بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المعسول)
في منفاي بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ
ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد
من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

1] فهرس المترجمين في هذا الجزء

2] الفهرس العام

3) فهرس القوافي

4) « الرسائل

5) « الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهـرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

الفهرس الثاني

الفهرس العام

الفهرس الثالث

فى القوافى

يذكر فيه القائل مع الشطر الاول اندل اخره على قافية القصيدة والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشارقة

الـزاى

السين

العيــن

الغيــن

الـفـاء

القاف

الكاف

اللام

الفهرس الرابع
فى الرسائل والوثائق والظهائر والمراسيم الرسمية

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلحية التي وقع فيها حرف مشددة

فهرس الخطأ والصواب

صفحـــة	السطر	
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل

كأن لم يكن الغ بلادى التى بها — سريت صغيرا بين شتى المسارب
كأن لم يكن أصلى ومنبت نبعتى — ومجمع اخوانى ومغنى أصاحبى
كأن لم تكن لى أرضها خير مرتقى — سموت بها فوق الذرى والمناكب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية ـ صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	جفنة
٤٥	٢٠	اغدايقى	اغد ايقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية ـ البادييـن	البادين
٥٣	٥	فى الحاشية ـ شطئه	شاطئه
٥٣	١٣	فـى الحاشية الضفاديـع	الضفادع
٦٠	٧	يتنساوون	يتنساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية ـ الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزرته	وحزرته
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٢٢	ولا يعرف	ولايعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصلى
١١٧	٢٢	شاور	ثـــاور
١٤٥	١	سيدى	سيـــد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرر	فكان يحـــرر
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ ﻫ	قبل١٢١٠ﻫ = ١٢٩٦ﻫ
١٤٧	٩	أتقن ـ اشتهر	أتقنوا ـ اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	الفادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحـــو	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفظر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضي	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما راى كمن سمع	وما راء كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والتمرجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بدارهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كـثـير
٢٢٧	٧	الشبيح	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجبحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرأنهم	ظهرانيهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايمى اوكادير	فى ايمى اوكادير
٢٤٠	١٣	الجـــارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابندورا	فابندروا
٢٤٤	١٦	ووليت	وووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يـــدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزبره
٢٦٤	١٤	... القواد	وكذلك القواد

صفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٥٠	٣٣	الادوزى	التازيمامتى
٢٦٨	٥	يخفف	يـخـف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غـــير	مـن خير
٢٨١	٢٣	بلا مزح	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	لـه ـ طب	لاه ـ طـاب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافـــا
٢٩٠	١٦	السارى	السار
٢٩٤	٢	الانزاضي	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلـعـا
٣٢٣	٤٢	ذك	دك
٣٢٥	٢٠	أخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	أن يغمر	أن يغمز
٣٤٥	١٢	أوتى	آتـــى
٣٤٥	١٧	يكر	يـكـرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية تينجدا	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة أنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون،سيدىاليزيدى	سيدىاليزيدى،التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفذة	بفلذة

هذه هى الاغلاط التى وقفنا عليها . وقد يكون هناك اخرى . فالقارىء النبيه لاتخفى عنه

